بقلم/

رحاب على عبد العال محمود

رواية

داهليا

سألت ما الأمل؟

هو أن أمتلك يقينا بالوصول..

" بداخل كل منا حفرة نحاول أن نملأها، ونخفيها عن الأعين خوفا أن يزال الحجاب.. "

(1)

بداية

قاعة (6) في الدور الثالث، مبنى كلية آداب وهو مكون من خمس طوابق، جامعة الكوامل بسوهاج تسمى أيضا (الجامعة الجديدة)، في الساعة الثانية عشرة ظهرا وهذا يعتبر الوقت الذي تنتهي محاضرة (النقد الأدبي) وخروج دفعة السنة الرابعة، تخرج فتاة تدعى "سمر حمدي سالم" ذات عيون سوداء، ووجه مستدير، ناصعة البياض، قصيرة القامة، تمتلك قدرا من الجمال، وتنادي:

- عهد...

توقفت عهد فتاة تملك عيون عسلية، قمحية اللون، متوسطة الطول، تتميز ببساطة الجمال والأناقة، ترى الابتسامة مرسومة على جبهتها، والطيبة تبرق في ملامحها، ويرتاح القلب وينجذب لها بلا مقاومة، فأجابت:

- أيوة يا سمر.

- كنت عايزة أتكلم معاكي شوية قبل المحاضرة التانية تبدأ ده لو فاضية؟

- طبعا أنا فاضية ولو مش فاضية أفضالك بس تعالي الأول نجيب ساندوتشات وقهوة عشان نعرف نركز كده.

- ماشي بس أنا مش جعانة.

- لا هتأكلي هجبلك ساندوتشات لسه عندنا محاضرة لازما نركز فيها.

- خلاص.. خلاص.. هاتيلي..

أخذوا طلباتهم وجلسوا يتحاورون وابتدت عهد مستفهمه:

- قوليلى مالك؟ ايه السبب اللي مخليكي زعلانه للدرجة ديه؟!

- ياسين بيخلي حياتي جحيم.

- ايه النغمة الموسيقية ديه! ده انتي لو قصداها مش هتجيبيها كده.

- هو ده وقت هزار! انتي ليه كده؟

- ايه اللي هو أنا ده؟

- بتهزري في أصعب المواقف وانتي مكتئبة وانتي حزينة، في عز حزنك بتضحكي وتهزري ولا كأن فيه مشكلة ولا فيه حاجه تزعل من الأساس، ازاي بتعملي كده؟!

- مش عارفة بس أنا كده شخصيتي كده هو تحسيها حول في المشاعر بس جميلة ولطيفة.

- فعلا انتي انسانة جميلة جدا كفاية ابتسامتك أنا بمجرد ما بشوفك وبشوف ابتسامتك بضحك، بترسمي الابتسامة على وجوه الناس انتي قلبك طيب أووووي...

- انتي اللي جميلة اضحكي كده عشان الدنيا مش مستهله إن حد يزعل علشانها.

- ازاي اضحك وهو بيعذبني كده!

- حصل ايه؟

- بصي بعد الزواج تغير 360 درجة مش هو ياسين اللي عرفته في فترة الخطوبة بقا شخص تانى معرفوش كان بيحبني وبيحاول يثبتلي ده، كان طيب وحنين ودلع وبعد الزواج مفيش أي حاجه من ديه، أنا عارفة الزواج مسؤولية وكل راجل بيعمل المستحيل عشان يقدر يصرف على البيت ويملئ بيته ويكفيه وأكيد مش حياتنا كلها هتبقى كلها حب ودلع وطبطبه بس الحكاية غير كده خالص مبقاش يحبني فعلا احساس مش هقدر أوصفه بكلمات لأنه بيتحس بس، فهماني؟

- أيوة فاهمه قصدك ايه.

- طب تعرفي احنا ساكنين في بيت عيلة وانتي عارفة يعني ايه بيت عيلة من خمس أدوار، وبيت عيلة يعني كل حاجه نعملها مع بعض، المهم أمه وأبوه عايشين الحمدلله وقاعدين في الدور الأول وأمه مش بتشتغل أي حاجه خالص في بيتها وأنا وزوجات اخواته الأتنين بنضفلها الدور كل يوم ونطبخ ونغسل وكل حاجه، المشكلة إني أنا واخدة انضفلها 3 أيام في الأسبوع وكل واحدة فيهم واخدة يومين بس حتى مش بنبدل كل أسبوع لا من ساعة اتجوزت من سبع شهور وده هو الحال ده غير الغسيل والطبيخ اللي بعملهم أكتر منهم.

ولما بقوله اشمعنا أنا أشتغل أكتر منهم يرد عليا ويقولي: وايه يعني متشتغلي مفيهاش حاجه اعملي بلقمتك، شايفة رده طب يقولي شكرا، كتر خيرك، يقولي معلش عدي بس ده ابدا بيركبهم عليا هو أنا مش مراته ولا ايه؟!

- خليكى انتي الكبيرة، اعملي لله هتاخدي حسنات.

- المشكلة في إن ليه مكنش زيهم ونقسم الشغل بالعدل بينا؟! هو بيحبهم جدا وبيعملهم ألف حساب بس أنا مراته وليا حق عليه المفروض هو اللي يتكلم أو إنه يطبطب عليا ويحاول يفرحني بس ده لا، ده بيرد عليا بكل برود وايه يعني متشتغلي وكأن مفيش حاجه حاصلة إنه طبيعي جدا.

- وايه تاني؟

- .....

- فيه ايه؟ بتعيطى ليه؟ اهدي بس.

- بيبص لغيري..

- ايه؟!!!!

- المحاضرة ابتدت يلا بينا.....

- صح ابتدت، بصي احنا ممكن نقعد ونكمل بس انتي لازما تبصي لمستقبلك وتحطي المشاكل ورا ضهرك وتركزي في اللي جاي، احنا هنروح المحاضرة دلوقتي وبعدها نقعد شوية ونكمل كلامنا يلا...

*****

حينما جلست أنصت للدكتور كان عقلي في عالم آخر لماذا يكذبون في فترة الخطوبة؟ يوهمونهم بأنهم خير الرفيق وخير شريك الحياة، يجعلوهم يصدقون أنهم الصدر الحنين ومكان الأمان عندما يقف ضدك العالم، تكذب وتكذب وتخدع شخص بصفات ليست بك هل تدعوا نفسك بعد ذلك بأنك رجل؟! لما تكسرها وتلغي شخصيتها وتصغرها أمامهم؟! إنها زوجتك ولها عليك حقوق.

الأسوأ إنها بالرغم من كل ما تفعله بل وتعمل أكثر من زوجات أخواته إنها تعامل بأسوأ معاملة لا كلمة شكر واحدة تطيب بها نفسها سواء من والديه أو من الزوج حتى، فكم من كلمة طيبة تجبر النفوس.. كم من كلمة طيبة تزيل جبالا من الهموم.. كم من كلمة طيبة تحدث وقعا جللا في القلوب.. أكثير عليها هذا الشكر! أخسارة فيها بعد كل ما تفعله! تدريجيا تذكرت أني بعدت عن انصاتي للدكتور كثيرا وآثرت أن أنتبه له وأفكر آجلا.

*****

جلسوا عهد وندى مرة آخرى بعد انتهاء المحاضرة، تحدثت عهد وهي تخفض صوتها:

- براحة كدة وقوليلي ايه اللي خلاكي بتقولي كده؟ إنه بيبص لغيرك!

جاوبت ندى في حزن كبير:

- حاجات كتير متعديش مش عاجبه أي حاجه ولا أقولك حتى وأنا معاه في المناسبات بلقاه بيبص لغيري مش عاملي أي اعتبار إني موجودة، حتى عيني عينك كده ومتقوليش يمكن مش قصده أو عادي أو ممكن تكوني فهمتيه غلط، لا يا عهد ديه مفهومه.

- أحسدك الصراحة بتقفلي كل الاسئلة مره واحدة.

- عشان نختصر وأقولك اللي فيها بدل ما لسه تقوليلي بتتخيلي أو غيرة أو أي كلام تاني ممكن يتقال.

- لا جدعه يا بت.

- أنا تعبت وخلاص بتجن وبتقطع كل يوم، هو أنا وحشة؟

- لا.. لا متقوليش كده انتي فعلا جميلة وديه حقيقة مش مجاملة فعلا.

- اومال ليه بيبص لغيري؟ انتي عارفة هو بيضربني.

- ايه!

- أيوة أوقات كتير بيجي متعصب أو يكون هادي مش فارقة المهم إنه يضربني بيخترع مشاكل وخناقات من غير سبب المهم إنه يزعق فيا ويتعصب علي أو إنها توصل للضرب في أوقات كتير، متتخيليش ألم ضربه ازاي؟ بحس إني هأموت.

- بعد الشر عليكي متقوليش كده.

- ده بيسبني وبألفاظ متتقلش وياريت لو جات على كده ده كمان بيسب أهلي من غير سبب، قوليلي ليه كل العذاب ده؟! أنا معملتلوش أي حاجه وحشه أنا بحاول أرضيه وأتمناله الرضا يرضى بعمل المستحيل إني أخليه فرحان، يبقى ليه يتعامل معايا كده؟

ليه؟ إنه يفضل يعذبني بالطريقة ديه، هو اتجوزني عشان يعذبني؟ ديه مش حياة يا عهد ديه جحيم...

- معقول ده الشخص اللي قولتي عليه في فترة خطوبتكوا إنه هو ده شريك حياتك، والدنيا حلوة معاه!

- كان بيكدب كان كل حاجه كدب في كدب، كله وهم يا عهد.

- اهدي يا سمر.

- أنا كنت ساكتة مش بتكلم وشايلة حزني في قلبي وساكتة بس خلاص تعبت ومحتاجة أتكلم عشان كده حكيتلك، فهماني يا عهد مش قادره أسكت أكتر عن كده، محتاجه أخرجهم قبل ما يقتلوني.

- اهدي، طيب انتي قولتي لأمك؟

- أيوة قولتلها وأهلي يعرفوا كلهم.

- وعملوا ايه؟

- ولا حاجه، وقولتلهم كمان إني عايزة أطلق.

- وقالوا ايه؟

- أمي رفضت قالتلي بالكلمة الواضحة "معندناش بنات بتطلق"، وده نصيبك وقدرك ارضي بيه وخلاص..

أنا تعبت، تعبت ومش عارفة أعمل ايه؟ أنا اتجوزته وأنا في الجامعة وكنت دايما بجيب امتياز وجيد جدا حاليا في الترم الأول وده أول ترم معاه بعد الجواز وجبت مقبول بالعافيه. يا خساره...

- بصي لازما تطنشي وتكبري الا هتتعبي أكتر ما انتي تعبانه اهو، حاولي تتعلمي أكتر واطوري من نفسك عشان تشتغلي، سلي نفسك بأي حاجه وركزي في مستقبلك، ده الحل الوحيد.

- هو فين المستقبل ده بس؟

- حاليا مش واضح بس أكيد فيه لو احناعايزينه، بس أهم حاجه انك متوقفيش.

لو هتفضلي كده تتعصبي وتحرقي في نفسك فمفيش حد هيتعب غيرك، فخلي بالك على نفسك أحسنلك..

- بحاول وبعمل اهو... بقولك احنا اتاخرنا، يلا كده كفاية.

- يلا، ولو تعبتي فجأة وحبيتي تتكلمي رني عليا ونتكلم براحتنا..

- ربنا يخليكى ليا يا عهد.

*****

ها وقد وصل إلى حد الخيانة، إنها جميلة بحق كنت صريحة معها تماما فهي تمتلك قدرا وفيرا من الجمال المشرق، وطلعة بهية، وقبسا من نور الأخلاق الوفير، وخفيفة الدم كالفراشة، ولكن إن كان لا يراها كذلك لما تزوجها من الأساس؟ لكن هذه ليست المشكلة لنقل أنها ليست جميلة ولكنها في غاية الأخلاق إذا لم يكن يتزوجها! ألهذا لحد الرجال سطحيين يختارون رفيقة عمرهم من خلال المظاهر فقط فكم من ثمرة مبهجة داخلها سوس أسود...

لنفرض أنك تزوجتها جميلة وقد حدث لها حادث بعد الزواج وتشوهت أو الحادثة أثرت عليها بأي شكل من الأشكال هل ستتركها إذا؟ إذا لم تكن تحبها لما

تزوجتها؟! بل حتى إن لم تكن تحبها لما تعذبها وتجعل حياتها جحيم؟ نعم هذه ليست حياة إنها جحيم.

يكسرها ويحطمها ويجعلها ذابلة تتمنى الموت، هذه جريمة من عدة الجرائم التي ارتكبها، كما أنه يعتبرها كيس ملاكمة يضرب غير عابئ ستموت أما لا، وليس بيدها حيلة، والدتها رفضت الطلاق بالرغم أنها تعرف كل شئ، تركت ابنتها في التهلكة إذا هما أيضا مشاركين في جريمته ولا تستطيع فعل شئ أن ترفض أن تواجه أن تقول رأيها أو تحقق رغبتها هي مقيدة من جميع الاتجاهات، مهددة بالموت في أي لحظة حقا لطفا بها يا الله...

هذه الحياة ستؤدي بها اما بالموت تعذيبا أو الموت حزنا أو تحيا في هذا العذاب لابد الدهر، ولو توفت لقدر الله يحزنون بعدها يا له من تناقض مثير للاشمئزاز, الأهل أيضا يقتلون بناتهم بأيديهم وإن هربت الفتاة من كل هذا العذاب يصبح الموت هو مصيرها الوحيد لقد جلبت العار إنها قاومت ظلمهم عصت استبدادهم ورفضت الذل والإهانة الآن الكل يبغي قتلها. البنت ليس لها رأي ولا يحق لها أن تدخل في نقاش أو أمر خارج حدود المطبخ والغسالة ونظافة البيت مكانتها هذه ولا يحق لها أن تتطاول أن تعلوا أكثر من هذا مفكره أن تصل لمكانة الرجال، سنين نادوا بحرية المرأة وتقديرها والكل ناشد بذلك ولكن الحقيقة المره أنها ما زالت أمه تباع وتشترى...

وبعد نصف ساعة وهي جالسة في المواصلات وباقي من الزمن أيضا نصف ساعة على وصولها للمنزل فهى تحسبها تماما منذ أربع سنوات في الكلية ذهابا وإيابا، طوال هذه المدة وهي حفظت فترة وصول السيارة إلى المنزل وعلى حسب سرعتها أيضا فلكل سرعة وقت محدد، مثلا لو كانت السيارة تسير بسرعة شديدة تصبح نصف ساعة وإن كانت مسرعة تصبح ساعه الا ربع وإن كانت متوسطة تصبح ساعه وهذا غير باقي المواصلات لكي تصل إلى المنزل، حقا هي دقيقة جدا وتمنت أن تصل المنزل بسرعة لإنها تعبت من دوار المواصلات وترغب بالوصول

بأسرع وقت، وهذا يكون حال كل مره تركب بها المواصلات فهي تسكن في مدينة طهطا قرية بنهو والمسافة كبيرة للغاية بين منزلها والجامعة وبما إنها تعاني من داء المواصلات فتتمنى أن المسافة تتقلص بأي شكل وتعد الثواني للوصول.

*****

" من رحم الآلآم تولد العزيمة ونستمر في القتال حتى نغوص في بحور النصر.. "

(2)

النهاية

تراك كبير صمم بشكل مبدع يتوسطه عشب أخضر مزهر ويلف هذا التراك مئات من الناس يشاهدون منافسة حامية تطلق اليوم وهى مسابقة العدو 100 يارده، يضم من أملاك مدرسة داهليا الداخلية بجميع مراحلها الابتدائية والاعدادية والثانوية، هي مدرسة غامضة، مبدعة، طوال السنوات الماضية لم يوجد بها طالب فاشل قط فالطلبة هناك عباقرة مبدعون، بنيت على مساحة 500 فدان.

ساحة كبيرة جميلة مليئة بالعشب الأخضر متزينه بالزهور والأشجار ويليها مبنى كبير، رسم على جدرانه رسومات فيزائية وكونية واحيائية ورياضيات فهذا المبنى يضم معامل الفيزاء وفيزاء الكم والكون والأحياء والكيمياء والرياضة فهو مبنى علمي.

وعلى جانبه الأيمن يوجد مبنى جميل أيضا يضم تعلم اللغات فعلى كل طالب أن يتعلم 11 لغة الزاميه مثل الانجليزية والالمانية والفرنسية والصينية واليابانية والكورية الايطالية واليونانية والهندية والروسية والهولندية وكل هذا غير اللغة الأصلية وهي العربية، فالمطلوب منهم تعلم هذه اللغات واتقانها للمستوى الاحترافي ودراسة تاريخ هذه البلدان وحضارتهم ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وعلمهم وآدابهم وفنونهم وسياستهم ودياناتهم، فهو مبنى يدرس الآداب بجميع أنواعهم والتاريخ والحضارات، كما يضم دراسة جميع الاديان في العالم.

اما على الجانب الأيسر يوجد مبنى رائع يدرس فيه التكنولوجيا والهندسة وكل ما يخص العالم التكنولوجي والهندسي وفي كل شئ مثل الحاسبات وعالم التقنية الرقمية

وهندسة السيارات والأجهزة وأي شى، كما يدرس فيه الفنون الابداعية والرسم الجميل.

وامامه يوجد مبنى يضم تعلم الرياضات بجميع أنواعها كالسباحة، والعدو، والكونفو، والكاراتيه، ...الخ، رسم على جدرانه الألعاب الرياضية والقوة. وخلف هذا توجد قاعة مؤتمرات كبرى تستطيع أن تحتوي بداخلها جميع الطلاب بجميع المراحل والأستاذة وكل العاملين بها وفوق ذلك بكثير، وعلى اليمين توجد المباني السكنية للطلبة ومعهم أيضا أساتذة التدريس من الرجال وعلى اليسار توجد المباني السكنية للطالبات ومعهم أيضا معلمات من السيدات، وامامه توجد قاعة كبيرة وهذه هي قاعة الطعام تكفي لجميع من في المدرسة وأكثر من ذلك، وكل يوم في وجبة العشاء على جميع الطلبة والطالبات والمدرسين والمدرسات والمدير ومساعديه أن يتناولوا معا العشاء.

وبعد هذه المباني يوجد بشكل دائري جامع وكنيسة، وبعدهم توجد مساحه مليئة بجميع أنواع الزهور مكان جميل وأماكن استراحة جميلة وامام هذا يوجد بحيرة كبيره رائعة تتميز المنطقة بالأشجار المليئة بالزهور الملونة تحيط حواف هذه البحيرة فتجعلها بحيرة ملونة رائعة، يوجد فوقها كوبري إلى الناحية الآخرى تضم أماكن التنزه والألعاب حتى تستطيع أن تجد لعبة الساقية وألعاب كثيرة، وبعدها مزرعة خيل لمن يحبه وبعدها مزارع المدرسة تجد بها كل ما ترغبه سواء خضروات أو فاكهه أو لحوم أو أسماك فتوجد مزارع سمكية وحيوانية ومزارع الفاكهة والخضروات فالمدرسة لا تشترى شئ من خارجها الا القليل جدا، وبعد هذا توجد مكان للمسابقات السنوية في جميع الرياضات من ضمنه العدو، وبعد هذا يوجد سور كبير يحاوط المدرسة وبعد هذا السور ترى الكثير والكثير من أشجار الغابة، اللون الأخضر يسيطر على المكان.

هذه المدرسة مبدعه بكل المقاييس ولهذا مصاريفها مرتفعة حقا، وعلى الطالب الذي دخل المرحلة الثانوية أن يبدأ يعمل اما في الزراعة والمزارع ويأخذوا أجرهم

على هذا العمل، واذا أراد أحد أن يدخلها من المدارس الحكومية أو مدارس داخلية آخرى عليه أن يوضع تحت اختبار ولابد أن يحصل على تقدير جيد جدا، وأن يدرس أولا لمدة سنه حتى يهيأ لدخوله المدرسة، ولهم الحق في هذا لأنها ليست مدرسة عادية فهي الأفضل والأغرب بين المدارس. فهي تدرس بمنهج مختلف تماما عن باقي المدارس والوزارة التعليمية تمت الموافقة على هذا ولكن الطلاب لن يسمح لهم بالعمل داخل المؤسسات الحكومية، اذا على الطلاب أن يعملوا في الأعمال الخاصة، ومع ذلك أولياء الأمور ماداموا يملكون المال لا يترددوا لحظة أن يرسلوا أبنائهم إليها وأي عائلة أو شاب أو فتاة أو طفل أو طفله يتمنون دخولها.

يوجد أيضا امامها الجامعة (جامعة داهليا) بنيت على مساحة 1000 فدان، تضم جميع الكليات لكل كلية مكان خاص بها تملك مبانيها والأماكن الرياضية وأماكن سكنية لطلابها، وقاعة طعام وقاعة مؤتمرات، مساحات للزهور والأشجار الجميلة، تضم أيضا جامع وكنيسة قد بنوا بشكل دائري أيضا، ومزارع وبحيرة ملونة وأماكن التنزه والألعاب وأماكن المسابقات السنوية، وهكذا كل كلية على حدا وعلى الطلاب الخريجين من مدرسة داهليا أن يدخلوا الجامعة التابعة للمدرسة واذا لما يقبلوا يحولون إلى باقي الجامعات الآخرى، واذا أراد أحد دخول هذه الجامعة من مدارس أو جامعات حكومية أو داخلية آخرى عليه أن يوضع تحت اختبار ولابد من حصوله على تقدير جيد جدا واذا تم قبوله عليه أن يدرس لمدة عامين حتى يتأهل للدخول لهذه الجامعة، فهي الأروع والأفضل وهنا أيضا على الطالب أن يعمل في المزارع والزراعة أو أي عمل آخر تقم به الجامعة في أي تخصص ويأخذ أجره على عمله هذا.

وفي المساحة التي تفصل بين المدرسة والجامعة توجد مستشفى كبيرة تضم جميع التخصصات وقسم شرطة يوفر الأمن يكونان مقابلين لبعضهما.

*****

اليوم هو آخر المسابقات السنوية للمدرسة الثانوية وهي مسابقة العدو 100 ياردة والمسابقون يتنافسون بشدة فالفائز في أي مسابقة يتمتع بشعبية كبيرة وسمعة عظيمة ترفعه وتعظمه ويستفاد منها في حياته، المكان امتلئ بالطلاب في جميع المراحل حاضرين للتشجيع والاستمتاع بمسابقة اليوم.

صاح بحماس شخص يقف على مقربة من التراك يهاتف متسابق ما بأعلى صوته:

- هيا أسرع.. أسرع آسر.. امامك مسافة صغيرة.. هيا اقطعها يا أخي..

استمر في هذا التشجيع لم يمل لحظة، وارتفع صوت المذيع متحمسا فرحا يعلن عن الفائز:

- والحاصل على المركز الأول هو آسر.... مبروك عليه الكأس.. والحاصل على المركز الثاني هو محمد سعيد.. والحاصل على المركز الثالث هو أحمد وحيد.. مبروك عليكم وأرجوا أن الجميع استمتع بهذا الأداء الرائع.

صاح أمجد قائلا لأخيه:

- لقد فعلتها يا أخي لقد فعلتها..

علق آسر موضحا:

- بل فعلناها.. لقد فعلناها سويا يا أخي.

- نعم فعلناها سويا.. هيا نذهب ونغتسل ونرتاح قليلا قبل ظهور النتيجة إنها ستعلن بعد ساعتين من الآن ولابد أن نرتاح قليلا لكي نستطيع أن نواصل ونفرح ونستعد لآخر اليوم.

- معك الحق هيا نذهب...

*****

وفي ساحة المدرسة كان هناك حوار قائم ابتداه مايكل سائلا:

- تتوقعوا من سيملك المركز الأول هذه السنة؟

رد صديقه بوبى:

- لا يوجد توقع هنا إنها معروفة جيدا هناك فتاة اسمها جيسي هذه الفتاة، الكل يعرف عنها أنها متفوقة للغاية لا تترك الكتاب من يدها وتتمنى حصولها على المركز الأول.

قاطعه دانى معترضا:

- لا، لا لن تحصل عليه.

سأل بوبى غاضبا:

- لماذا تقول ذلك؟

فأجاب دانى موضحا:

- بسبب أمجد وآسر هما من سيحصلوا على المركز الأول، أنسيت؟! لقد كانوا يستحوذون على هذا المركز طوال الخمس سنوات الماضية.

فقال بوبى متضايقا:

- هذا كان في السنوات الماضية اما الآن نحن في السنة الأولى من المرحلة الثانوية فاحتمال كبير أن لن يحصلوا عليها.

فقال دانى:

- ليس هناك فرق ولكن هذا اعتقادك وسترى من سيحصل عليه.

قاطع مايكل حديثهم قائلاً:

- إنه صحيح بالفعل إنهم مستحوذين على المركز الأول طوال الخمس سنوات الماضية وهما بالفعل طلاب ماهرون للغاية ويستحقونها عن جدارة وربما تكون المرحلة الثانوية من نصيبهم أيضاً

فسأل بوبى:

- كيف يفعلوا ذلك؟ يستحوذون على مسابقات الرياضية للمدرسة والمسابقات العلمية، كيف يفعلوها؟!

*****

في غرفة المدرسين دار نفس النقاش بينهم ابتداه الأستاذ جريني صائحا:

- ألم أقل لك أنهم هما الذين سيحصلون على المركز الأول هذا العام؟

فقال أستاذ هيد:

- نعم لقد قولت لي، إنهم معجزة حقا! كيف يفعلوا ذلك؟

تدخل أستاذ شادي متعجبا:

- من خمس سنوات وهما يحصلوا على المركز الأول من المسابقات الرياضية السنوية، كل منهما يستحوذ على مجموعة رياضات وبالرغم من أن المسابقات خلف بعضها لكن يكسبونها بجدارة، وبطريقة مبهره، وأيضا بيحصلوا على المركز الأول على دفعتهم فى المستوى التعليمي.

من مبادئ المدرسة أنه يمكن للطالب أن يسجل في أكثر من مسابقة ثم أن المدرسة تنسق بين المسابقات بحيث لا يحدث مسابقتين في نفس التوقيت.

صاح أستاذ جريني قائلا:

- في النهاية أتوقع لهم مستقبل مشرق.

*****

" هناك جرة فارغة وليست بمرئية تكون مكانا نلقي به
أجزائنا المؤلمة، هذه الجرة مكانها داخلنا ونغلقها بألف غطاء
حتى نستطيع أن نحيا في هدوء.. "

(3)

سوائل ليست ثابته

في عمارة ما، الدور الخامس، الشقة السابعة كانت هناك مشاجرة عنيفة بين زوجين، صاح الزوج ويدعى "حازم بهجت ابراهيم" يبلغ من العمر سبعة وعشرون عاما، عينيه عسلتين، قمحي اللون، شعر أسود، وجه مستدير، عريض المنكبين، طويل القامة، يعمل مدرس للغة الألمانية في مدرسة خاصة، متزوج من ابنة عمه وتدعى "ندى حسني ابراهيم" تبلغ من العمر خمسة وعشرون عاما، عينيها سودوان، بيضاء اللون، محجبة، وجه مستطيل، متوسطة الطول، تعمل موظفة في بنك، صاحبة شخصية متغطرسة، متعالية بجمالها وعملها، لا تهتم بالجوهر إنما بالمال والظاهر فقط على عكس زوجها حيث كان حازم يمتلك شخصية طيبة وشجاعة، لا تهمه المظاهر الخداعة إنما الأصل، كانتا شخصيتان مختلفتان ليسوا متوافقان البتة، كانوا على خلاف دائم ومشاحنات مستمرة في أي وقت وأي مكان.

استمر الزوج في الصياح قائلا:

- قولتلك إنه مش معايا، مش معايا..

ردت الزوجة بنفس مستوى الصياح:

- مش معاك أومال الفلوس اللي في البنك تبقى ايه؟

- تبقى ايه؟ هو انتي بتسألي تبقى ايه؟ تبقى حرص عشان لو حاجه حصلت لأي حد فينا فجأة نقدر نتصرف، لوحد فينا تعب أو أي مشكلة حصلت نكون عاملين حسابنا مش نقعد نلف حوالين نفسنا.

- ديه مش عيشة ديه احنا مش عايشين..

- ليه مش عايشين؟! احنا عايشين أحسن عيشة انتي اللي غريبة.

- انت بتسمي ديه عيشة؟! تبقى بتضحك على نفسك.

- انتي تجوزتيني وانتي عارفة عيشتي وحالي كويس احنا عايشين كويسين وأنا مش واقف في مكاني وبتحسن أول بأول انتي اللي مش صابره عايزة التقدم والنجاح يحصل في ثانية.

- انت عارف احنا مش قادرين نروح مصيف وجاي تقولي ديه عيشة.

- حرام عليكي.. حرام عليكي زهقتيني أنا بقول ايه من الصبح، اومال مش عجباكي عيشتي قاعدة معايا ليه؟

- اتجوزتك غصب عني وقاعدة معاك غصب عني وده كله بسبب إنك ابن عمي قال...

- وأنا هجبلك أهالينا وكل واحد يروح لحاله.

- ياريت...

*****

صوت مفتاح يضرب في باب المنزل ويدور ويرجع لمكانه ويفتح الباب بنجاح بعد محاولات عديدة، وتدخل منه سيدة في الأربعينات من العمر، عيناها سودوان، ووجه مستدير، قمحية اللون، وقصيرة القامة، مدت يدها وفتحت الأنوار وخلعت حذائها مكانها ووضعت الأكياس التي دخلت بها في المطبخ، ملامح التعب بدت على وجهها لكن هذا لم يمنعها من أن تغتسل وتلبس عباءة فضفاضة وتصلي ثم تدخل المطبخ لتجهيز الغداء وبعد فترة كبيرة وجدت ابنتها عهد تفاجأها بوصولها صائحة:

- سلام كبير أووي أووي على أحلى أم في الدنيا.

- حبيبة قلبي وحشتيني، طمنيني عليكي؟

- انتي اللي وحشتيييني أووووي أووووي يا جميل أنا الحمدلله زيى ما انتي شايفة، طمنيني عليكي؟

- أنا بخير طول ما انتوا كلكوا بخير، أخبار كليتك ايه؟

- خلاص آخر أسبوع في الدراسة الأسبوع الجاي والامتحانات بعدها بأسبوعين.

- ذاكري كويس خلاص ده آخر ترم وتتخرجي، يلا روحي صلي وارتاحي من المواصلات وأنا هسخن الأكل ونأكل سوا.

*****

وفي صالة المنزل كان هناك مشاجرة مشتعلة بين زوجين، الزوج "سعيد محسن" يمتلك من العمر ستة وخمسون عام، عينان عسليتان، طويل القامة، يعمل مهندس، فصاح غاضبا:

- أنا مش هديكي حاجه، عايزة ايه دلوقتي؟

الزوجة "نبيلة فؤاد" تبلغ من العمر خمسون عام، عينان سودوان، وجه مستدير، قصيرة القامة، تعمل موظفة في الشئون الإجتماعية، فرددت متحسرة متعجبة:

- عايزة ايه؟! أنا مش عايزة حاجه، اصرف على البيت ده واجب عليك اومال اتجوزت ليه؟ وخلفت ليه عشان تعذبهم وبس؟! لو مش هتصرف عليهم خلفتهم ليه؟!

- مش هصرف على حد وأنا كده واللي معاكي اعمليه، عايزة حاجه تاني؟

- معاهم ربنا...

- عايزين يشتكوني يشتكوني.

- يا راجل اعمل حساب لسنك دول عيالك، ايه يشتكوك ديه؟ انت عارف بتقول ايه؟!

- لا، يشتكوني أنا مش هصرف على حد.

- اومال اتجوزت وخلفت ليه ما دام مش هتصرف عليهم؟! انت بتودي فلوسك فين وانت مش بتصرف عليهم؟ دول عيالك، دول عيالك مش أعدائك بتعمل فيهم كده ليه؟ دول بيتمنوا رضاك.

- أنا معييش عيال ومش هصرف على حد وده آخر كلام عندي ومش عايزة أسمع صوتك تاني، فاهمه؟ لإن مش هيحصلك كويس...

*****

"بهجت ابراهيم" دكتور علاج طبيعي، يبلغ من العمر واحد وستون عام، عينيه سودوان، رأس مستدير، أسمر اللون، اشتعل الشيب في رأسه طويل القامة، تحدث إلى ابنه مهدئا له:

- اهدأ يا حازم، كل حاجه هتتحل بالتفاهم مش بالعصبية والصوت العالي، انتوا لسه صغيرين وياما هتشوفوا المشاكل والخلافات عادي تحصل ما بين أي اتنين متجوزين..

تحدث حازم عصبيا:

- تفاهم ايه أنا بفرشلها الأرض بدل الرمل ورد وبرضه مش نافع اللي فيها فيها بتكلم بالسياسة واللين وبرضه مش نافع.

- انت الراجل وتستحمل وتعدي.

- أيوة أنا الراجل وعشان أنا راجل مفيش راجل يستحمل اللي أنا بستحمله، محدش عارف حضرتها قالت ايه؟ ديه بتقولي إنها متجوزاني غصب عنها متجوزاني بس

عشان أنا ابن عمها وقاعدة معايا غصب عنها تفتكر بعد الكلام ده عايزيني أسكت أو أعدي، مفيش راجل يتقاله الكلام ده ويطنشه.

اتجه نحو والد ندى سائلا:

- صحيح يا عمي الكلام ده إنها اتجوزتني غصب عنها؟

رد والدها "حسنى ابراهيم" وهو أصغر من أخاه بهجت بأربع سنوات، يعمل محاميا، عيناه سودوان، وجه مستدير، شعر أسود وبدأت تشتاحه الخصلات البيضاء، طويل القامة:

- لا يا بني هي بتغيظك، الناس وقت الخناق بيقولوا أي كلام والسلام عشان يعصبوا اللي قدامهم.

- ده مش كلام يتقال فيه حاجات متتقالش عشان لو اتقالت مش هنتمنى نعرف اللي قدامنا أبدا، فيه حاجات متتقالش عشان منجرحش اللي قدامنا.

هنا تدخلت ندى موضحة:

- أنا كنت بحاول أغيظك بس مكنتش أقصد أضايقك أنا كنت بقول أي كلام عشان تتعصب، أنا آسفه أنا عارفة إني غلطانة ومش هعمل كده تاني.

- لا انتي كنتي صادقة في كل كلمة قولتيها، متحاوليش دلوقتي تغيري مشاعرك.

- ده بس عشان كنا في خناقة.. شوف لو قولت حاجه تاني تتضايقك اعمل فيا اللي انت عايزه.

قال والد حازم مهدئا:

- خلاص يا حازم خناقة وعديها ولسه هتشوف ديه مشاكل طبيعية بين أي زوجين، عشان خاطري أنا عدي..

صاح والد ندى قائلا:

- وعشان خاطري أنا كمان.. ده انت لسه ياما هتشوف..

تحدث حازم مع نفسه مستسلما:

- وها أنا لقد عجزت أمام رجائهم والحاحهم في كل مره يستخدمون هذا الأسلوب معي وأنا أرضخ لهم، كيف يأتون عليا هكذا؟ إنها خاطئة في كل ما تفعله ومع ذلك يستمرون في الضغط علي أنا لكي أصبر لكن لماذا؟ لما لا يتكلمون معها هي؟ لما لا يقولون لي اتركها وينصتون إلي؟ إنهم مدركين تماما لكل أخطائها ومع ذلك لا ينظروا لها، أنا الوحيد المتضرر في هذا الزواج ليسوا هم لذلك يقولون الكثير لأنهم لم يشعروا بما أشعر به ولم يمروا بما أمر به، كل ما كان يهمهم أن نتزوج والآن أن يستمر هذا الزوج لأجل العائلة.

انتقل يتحدث إلى والده:

- خلاص يا بابا..

فحدثه والده بارتياح:

- ربنا يعقلك أكتر وأكتر وربنا يهديكوا كلكوا...

*****

وفي غرفة الشباب والتي كانت مكونة من أربع أسرة أي أربع شباب كان هناك أمجد وآسر يستعدان لحفلة المدرسة فقال أمجد:

- اقترب، الكرافتة ليست مظبوطة، الآن أصبحت جيدة للغاية.

تحدث آسر سائلا:

- غداً سنحتفل في معادنا أليس كذلك؟

- بالطبع هذه مكافأتنا الصغيرة يا صديقي.

- أما زلت لن تقول لي أين سنذهب؟

- لا، لن تصبح مفاجأة إن عرفتها.. اصبر لغداً

- أنت أخ مروع أتعلم ذلك؟

- نعم أعلم يا صديقي...

قاطعهما دانى بصوت مرتفعا حيث أنه أتى من الخارج يستعجلهم:

- لما كل هذا التأخير؟ هيا بنا...

فصاح فيه آسر:

- وأنت أيضا مروع، لنذهب...

فسأله دانى متعجبا:

- أنا! ماذا فعلت أنا؟!

فرد عليه أمجد ضاحكا:

- لم تفعل شئ الا انك قد دخلت علينا في وقت غير مناسب وقاطعته عن شئ هام وأنقذتني أنا من هذا الشئ، هيا بنا لقد تـأخرنا...

فرد دانى مسرعا:

- اذا عليك أن تكافئني من أجل ذلك لن أصمت حتى تكافئني.

فقاله له أمجد ضاحكا للغاية:

- أتعرف إن أخبرت العالم أجمع لن أعطيك شيئا الا اذا أردت.

*****

وفي غرفة عهد المكونة من سرير بجانب الباب ومكتب يجاوره ودولاب متوسط أمام السرير وبلكونة صغيره ومكتبة صغيرة معلقة في الحائط حثث كانت عهد تعشق القراءة، فأيقظها أخاها يمتلك عيون زرقاء، شعر أسود، عريض المنكبين، طويل القامة، لائق بدنيا، ما زال طالبا في السنة الثالثة من كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية في جامعة سوهاج مثل أخته، فكان يصيح:

- عهد اصحي..

- ايه؟ فيه ايه؟

- أبوكي وأمك بيتخانقوا.

- وايه الجديد يا عمر؟! ده بقا روتين يومي هو مش هيرتاح غير لما يخلص علينا واحد واحد ويقعد وهو مبسوط كده.

- عندك حق كل مره بيتعصب ويزعق على حاجات تافهة أو من غير أسباب أصلا.

- اديك قولتها يبقى نحاول نطنش وننسى ونتجنبه عشان مش يحصلنا حاجه، هو مش بيتعب احنا اللي بنتعب بس.

- أنا اللي هيجنني إنه مش راضي يصرف علينا وبيصرف على الستات اللي بيعرفها وسايب أمي لوحدها بتصرف علينا وشايلة مسؤوليتنا هي صعبانه عليا جدا.

- ربنا يصبرنا كلنا، ثم دول متقولش عليهم ستات دول ميستهلوس كلمة ست أصلا.

- فعلا عندك حق، بس ما دام مش هيصرف علينا خلفنا ليه؟

- مفيش في ايدينا حاجه نعملها غير إننا ندعي ربنا يكون معانا ونخلي بالنا على بعضينا ونبص لمستقبلنا وبس.

- أكيد، بالنسباله مفيش أمل إنه يتغير، والحاجة الوحيدة اللي لازم نتمسك بيها هي إننا نهتم ببعض.

- هي ماما فين دلوقتي؟

- راحت ترتاح شوية في أوطتها.

- خلاص تعالى نضحكها شوية.

*****

في قاعة المؤتمرات تم اجتماع جميع الطلبة وتم استلام الجوائز للفائزين، وبكلمة مدير المدرسة الذي شدد على أن يستمتعوا بالاجازة ويكافئوا أنفسهم على اجتهادهم طوال السنة وينعموا بالراحه والهدوء، وختم بهيا نبدأ الاحتفال الليلة.

وعد عدد من الساعات والفرحة تعم على الجميع وانتهت الحفلة والكل ذهب إلى نومه ومن ثم بوقت ليس صغير شرق الفجر ويوم سعيد فالكل سيعود إلى بيته لمدة شهران والكل يستعد للرحيل الا أمجد وآسر فحقائبهم ما زالت خاوية لن تملئ ابدا استعدادا للعودة إلى المنزل فالمنزل لم يعرف طريقهم ولم يكن لهم عنوان.

*****

" علينا بالتحمل والصمود والصبر والتضحية لكن هناك نقطة وقوف عليك أن تتوقف حينها فهذه تشير لتآكل روحك ولن تعد ستعرف نفسك بعد تخطيك الإشاره لذا عليك معرفة الفرق بين التضحية والانتحار.. "

(3)

الشعرة الفاصلة

كانت عهد جالسة في غرفتها منهمكة في شئ ما كانت ملامحها تشير أنه شئ مهم فصاح عمر متسائلا:

- بتعملي ايه يا عهد؟

- خلصت كتابة قصيدتي واديني بشيلها في ملف.

- طب عايز أقراها.

- لا هقراها أنا، بتعلم الالقاء فعايزة أشوف رأيك في ديه برضه.

- شوقتيني اقراي، هي بتتكلم عن ايه؟

- عمر... هي فكرتها حلوه وهتبقى أحلى إني أنا أقراها وانت هتعرف بتتكلم عن ايه وأنا بقرأ.

- ايه التشويق ده! اقرأي...

- القصيدة عنوانها "مصري":

"مصري"

بلادي كنغرو هدباء
باطنها الذهب والماس

ومعادن كحديد ونحاس
تُخِرج أشجار ونخيل

ودوالي مبهرجة وقطن سليل
وبعبق الورد والياسمين

بلادي كنغرو هدباء

بلادي مقبرة الشهداء
فبلادي ليس لديها جفن

حتى لا ينهشها الأعداء
فبلادي محط الأنظار

فبكل قرن وزمان
يأتي عدو مختال

يهيج فساد ودمار
ثم يتقهقر مذلولا، مكسور البنيان

ويخلف مقبرة الشهداء
لكن بلادي تبقى شامخة

مرفوعة رأس، هدباء
بلادي مقبرة الشهداء

كم أرويكم عن شعب
أنشا أهرام وسواعد

كم أرويكم عن شعب
طيب القلب والكرم

كم أرويكم عن أرض

يحصد منها أمن وأمان

كم أرويكم عن أرض
تروى بالدماء

بلادي كنغرو هدباء
هذه بلادي وأفتخر

تحدثت عهد مستفهمه عندما وجدت عمر صامتا:

- ساكت ليه؟

أجابها وبدأ عليه ملامح الاعجاب:

- القصيدة جميلة و...

قاطعت حديثه والدته فقد طلبت منه أن يخرج لشراء طلبات المنزل فأجابها:

- حاضر يا ماما هشتريهم اهو بسرعة...

ثم توجه يحدث عهد مستعجلا:

- شوية وقت اشترى الطلبات المطلوبة واجي نكمل كلامنا فهماني؟

استعجلته عهد قائلة:

- روح اجري انت بس اشتريهم ونكمل بعدين...

*****

أشرق نور الصباح والكل يستعد وأولياء الأمور آتون ليأخذوا أبنائهم وفي غرفة أمجد وآسر ما زالوا نائمون ولكنهم استيقظوا ليودعوا أصدقائهم سامى ودانى وناموا

بعد ذلك، واستيقظوا على الساعه العاشرة وتناولوا الافطار وخرجوا لمكان ما عند البحيرة ولكن عندما أصبحوا على مقربة من البحيرة قام أمجد بربط عصابة على أعين آسر وأخذ بيده متجها به لمكان محدد ووقفوا بعد دقائق وطلب منه أن ينزعها.

المنظر الذي كان أمامه قد ألجم لسانه وجذب روحه فاذا به يرى فراش على الأرض وعليه سلة مليئة بالسندوتشات لا يعلم ما بداخلها والكانز والتورته ومع وجود البحيرة والأشجار والورود والموسيقى كان منظرا جميلا حقا، وقال له أخاه:

- احتفالا بانجازاتنا والأهم إننا مع بعض.

ومن ثم بدأوا الاحتفال معا وسماع بعض الموسيقى والجلوس بصمت مستمتعين بهذا المنظر البديعي.

*****

وبطرقة الجامعة أمام القاعة ودع الأصدقاء بعضهم في آخر محاضرة، يودعون كل شئ كأنهم لن يمتحنوا بعد ذلك فما زال هناك امتحانات لكن هنا شعور آخر محاضره، شعور مختلف إنها آخر محاضره في حياتنا لذا اليوم كان له جو خاص به ذكريات تحاوطنا في كل مكان هنا ضحكنا، هنا ذاكرنا، هنا درسنا، هنا انتظرنا بداية محاضره، هنا علقت النتائج ونحن واقفين أمامها واضعين أيدينا على قلوبنا، هنا سيرنا أول خطوة لنقدم للجامعة وها هنا نأخذ آخر محاضره، بالرغم من صعوبة الدراسة والجهد الشديد الذي بذلناه كانت أيام لا تنسى وسنظل نتمناها أن تعود...

- هتوحشيني يا عهد أووووي...

- وانتي كمان كتير يا منى..

- الترم عدى بسرعة وادينا اهو خلصنا آخر محاضرة.

- قصدك أربع سنين عدوا هوا كأنهم امبارح كنا بنقدم.

ضحكاتهم كانت من قلبهم ولكن عهد لاحظت عليا متضايقة فقالت لها:

- ايه ده؟ مالك؟

- مفيش..

- لا فيه أنا عارفاكي كويس متضايقة ليه؟

- طب مش دلوقتي نتكلم على الواتس بالليل ماشي.

- ماشي.

صاحت شيرين موجهه حديثها لعهد بطريقة غريبة بأسلوب اتهامي:

- عهد انتي مش بتردي عليا ليه في الواتس؟ كنت بسألك على سؤال في الشيت وانتي مردتيش.

أجابتها غير عابئة بأسلوبها:

- لأني كنت تعبانه ده غير إن عندي ظروف الفترة ديه عشان كده مش بفتحه..

ردت عليها شيرين وما زالت تحدثها بأسلوب سمج وغير مؤدب:

- فعلا، طيب.

ردت عهد بثقة وبأسلوب قوي وحازم:

- أيوة فعلا.

- سلام يا بنات أنا لازما امشي عشان متأخرش.

صاحت عهد:

- سلام يا عليا...

وغادر كل منهم إلى سبيله وهذا هو الحال دائما هناك افتراق في النهاية في كل اتجاه...

*****

في غرفة، في بيت جميل جلس حازم ووالدته "نعمه جميل" تمتلك عينيان عسليتان، ووجه مستدير، بيضاء اللون، محجبه، متوسطة الطول، تعمل كمدرسة فيزياء، والتي بدأت الحديث عندما وجدها ابنها حزينا سائلة:

- ايه اللي مزعلك يا حبيبي؟

أجاب حازم:

- يعني متعرفوش؟ كلكم عارفين بس ساكتين.

- يا حبيبي الدنيا عايزة صبر وديه بنت عمك برضه..

- بنت عمي بتأكل في لحمي من غير رحمه ولا تفكير، شغالة بتنهش فيا، عايزة تتطلق بأي شكل وأنا معنديش مشكلة انتوا اللي عايزين الجوازة ديه تستمر مع إنها واضحة جدا إنها متنفعش تكمل.

- استهدى بالله.. اصبر..

- اصبر ايه يا ماما؟ ديه مش شايلاني خالص مش بتشاركني في أي حاجه كأني أنا في عالم وهي في عالم تاني المفروض إنها مراتي يعني تكون واقفه جنبي نساعد بعض نفكر سوا نبني مستقبلنا مع بعض أنا مش مقصر في حاجه ولا واقف في مكاني وده ظهر ومستوايا المادي اتحسن عن الأول بكتير يعني ليه بتعمل كده؟

- مسيرها تعقل؟

- تعقل ايه بقالنا سنة وداخلين على سنة ونص ومفيش أي عقل ثم هي مجنونة لا ديه واحدة عارفة هي بتعمل ايه؟ ثم حضرتك مش ملاحظة حاجه؟

- ايه؟

- أنا قاعد بعيط وأشتكي المفروض إنها هي اللي تشتكي مش أنا اللي بشتكي، على العموم أنا الوحيد اللي متضرر محدش منكم حاسس بيا ولا عايز راحتي ولو استمريت أكتر من كده مش هبقى راجل وعشان كده المره الجاية لو عملت أي حاجه مهما كانت حتى لو صغيرة أو تافهه هتكون طلاق.

أنهى حديثه وغادر الغرفة على الفور وترك والدته تفكر في حديثه منصدمة.

*****

" عندما نسقط علينا الوقوف من جديد اصرار على الاستمرار والتغلب على الحياة حتى لا يقتلنا شعور القهر والحسره.. "

(4)

العنكبوت

- أمجد... هنا مكالمة من أجلكوا...

- سنأتي حالا..

أمجد وآسر أخان ليس لهما أحد في هذا العالم الكبير، يطبق عليهم المثل الشعبي "مقطوعين من شجرة" بالرغم أن لهما أم وهي سيدة غنية، سيدة أعمال لشركات الفاكهة والخضروات وتعيش في مدينة "سوه" ولكن هي لا تريدهما، عندما أتموا من العمر ثلاث سنوات وهم بالملجأ ثم المدارس الخاصة والاجازات يمكثون في المدرسة أيضا. قررا عندما بلغا السابعه من العمر أن يتحدثا معها وبالفعل تحدثا ولكن هي نبذتهم أخبرتهم أن والدهما خائن ومحتال لم يكن يعمل شيئا وهمها أنه يحبها وأنه رجل أعمال وتركها حينما رفضت أن تعطه شيئا وعندما حملت بهما بكل بساطة أصبحا عائق فى حياتها تركتهما حتى تكون اكثر حرية وتزوجت وأنجبت ابنة، أخبرتهم أنها لا تريد رؤيتهم مرة آخرى كما أخبرتهم أن عليهم نسيانها ويعتبرونها متوفية ولا تريد رؤياهم بعد ذلك ولو بالصدفة وهي لن تقطع عنهم الأموال ففي كل شهر ستودع مبالغ كبيرة في حساباتهم تكفي دراستهم والحياة وأسلوب الرفاهية الكبيره فهي ليست سيئة لهذا لحد.

وكان هذا اللقاء آخر لقاء لهما ومن وقتها وقد كرهوها وقررا أن لا يأخذوا أموالها ولكن تراجعوا لسبب أن عليها أن تخسر أموالا لا بد وأن تدفع لا بد وأن يكبرا جيدا ويصحبان رجلان عظيمان، انفاق الأموال عليهم كان عقاب بالنسبة لها، ومن ثم كرهوا والدهم فهو أيضا تركهم، ومن يومها أقسموا أن لا يتركوا بعضهم البعض وأن يصبحوا في مكانة عظيمة وأن يقاوموا أي تحدي للوصول إلى طموحهم. ومن حينها

وهما يستحوذون على المراكز الأولى في الدراسة والأنشطة الرياضية والفنية وأي شئ يقرروا أن يكونوا به، وأصبحوا أباً وأما وأخ وصديقا لبعضهم البعض كل واحدا منهما يدعم الآخر ويسنده يقف في ظهره يحميه ويدافع عنه ففي هذه الدنيا لم يملكوا فيها الا بعضهم البعض.

*****

أسرعت عهد تلبي نداء الهاتف وكان صوتها متضايق فسألها الصوت الآخر صاحبته تدعى "سهام محمد زياد" ذات عيون عسلية، جميلة الوجه، قصيرة القامة، صديقة عهد في الدفعة وانقلبت هذه الصداقة للأخوة القوية:

- ايه يا عهد مالك؟

- نفس السبب يا سهام الأستاذ شغال زعيق وعصبية، أنا تعبت هو مش بيتعب!

- مين الأستاذ؟

- الأستاذ هو بابا...

- آه صح نسيت.

- أنا تعبت..

- خلاص بقا المفروض تكوني اتعودتي..

- عارفه، عارفه إنه بقا كل يوم الموال ده نكد باستمرار والمفروض أكون اتعودت بس أنا تعبت وأعصابي مبقتش مستحملة مفيش أي جو هادي هو ليه بيكرهنا أووووي كده؟

- ده غلط على صحتك واديكي قولتيها مبيتعبش ومحدش بيتعب غيرك يبقى لازما تدوسي على نفسك شوية وطنشي..

- أنا عارفة إننا اتكلمنا كتير في الموضوع ده بس مش قادرة اعمل حاجه، ازاي هطنش وفيه شخص فوق رأسك بيوتر أعصابك كل ثانية؟

- عارفة إنه صعب بس مش مستحيل.

- ده مش بيتعب مفيش أي حاجه بتحصله هيمرضنا كلنا وهو اللي يقعد يرتاح.

- اديكي قولتيها بنفسك انتوا الوحيدين اللي بتتعبوا يبقى ريحوا دماغكوا عشان صحتكوا وحاولوا..

- عارفة ايه اللي بيضحك؟

إني ظاهرة لكل اللي حواليا إني شخصية قوية وبضحك دايما ومفيش حزن خالص وإن مفيش حاجه بتأثر فيا مع إني بموت من جوايا ومدمرة.

- حاولي بقا تخليها الأتنين يبقوا واحد والمخفي هو الظاهر وتتحكمي في نفسك أكتر من كده.

- وفي وسط ظروف ديه كلها وحالتي النفسية المدمرة وخلاص بنمتحن حاليا وكلها أسبوع ونتخرج ولازما ندور على شغل وبنفكر في مستقبلنا رأسه من رجليه فين وتيجي واحدة المفروض إنها صاحبتك تهون عليكي وتدعمك لا ديه مبتعملش كده ديه بتزود فوق همومك هموم تانية...

- مش فاهمه!

- شيرين جاية بتسألني قدام البنات ليه مبردش عليها على الواتس وإنها كانت باعته سؤال ومردتش وديه آخر حاجه حصلت بينا ومن بعدها أنا قررت أقطع علاقتي بيها واتخانقنا كمان.

- انتي قبل كده قولتيلي عليها بس مش فاكره...

- أيوة يا زهايمر...

- بس هي عملت ايه تاني؟

- قالت انتي ليه مبتفتحيش واتس ومردتيش على سؤالي يعني حتى هى مش فكرة إني أكلمها ولا لا الفكرة كلها سؤالها اللي كانت عايزة حله أنا رديت عليها قولتلها إني تعبانه وعندي ظروف مش بفتح متخيلة ردها كان ايه بقا؟! قالتلي: فعلا، طيب.

- كبري دماغك..

- هى مش مكسوفة من نفسها ده أنا اخدت فترة طويلة جدا ابعتلها على الواتس أطمئن عليها وهي بقا تدخل الشات تشوف الرسايل ومتردش ويظهر ليا علامة (seen) إنها شافته ومبتردش خالص وفضلت فترة طويلة وأنا أدخل أطمئن عليها وهي تدخل تشوف الرسايل ومتردش ومره دخلت كانت عايزة سؤال وأنا طنشت وكبرت دماغي وجاوبت على سؤالها وبعدها دخلت أطمئن عليها شافت الرسايل برضه ومردتش عليا وكمان دخلت مره أسالها سؤال شافته ومردتش عليا.

- ايه التصرف ده؟!

- زي ما بقولك ده غير الحاجات الكتير اللي قولتلك عليها ثم ده يعصب أكتر انك تدخلي تشوفي الرسايل ومترديش ده معناه انك بتدخلي تشوفي لو كان فيه حاجه تفيدك ولا لا يعني بتقولها ليكي بصراحة: أنا داخلة عشان مصلحتي، طب مترديش دلوقتي لو مش فاضية أو عندك ظروف ولما تفضي ابقي ادخلي وقولي مكنتيش فاضية بس هي بتدخل تقول اللي عايزة أو نقابل بعض ولا كأن فيه حاجه حاصلة أنا عايزاكي تقوليلي إني غلط إني بتوهم إن ده عادي.

- لا طبعا ده مش عادي ده تصرف مش كويس ويعصب وملهوش معنى غير كده.

- ده غير أسلوبها القاسي والخشن ومعاملتها الوحشة للكل، أنا بقا ايه اللي يجبرني إني ابقى على واحدة مش بتحبني واحدة استغلالية ديه مش صاحبة ديه مصلحجية حتى لو كنت بحبها هدوس على قلبي أنا بالنسبالها ولا حاجه ولا أخت ولا صديقة هي بتستغلنى وبس.

- اهدي متزعليش نفسك على الناس ديه.

- أنا اللي مزعلني إني حبتها وكنت بتمنى الرضا ترضاه ليه كده؟ وطبعا مش بس التصرفات ديه حاجات كتير حصلت وأنا بطنش حاجات بتفهميها بالشعور مش بتتوصف بالكلام ده في مره كنت بكلمها وفجأة سابتني ومشيت من غير ما تستئذن! طب تقول أي حاجه، لا هي مره واحدة سابتني ولا كأني واقفه! جماد واقف مفيش بني آدم بيكلمها انتي متخيلة الموقف فاهمه شعوري كان وقتها ازاي إني ولا حاجه؟!!!

- مش عارفة أقولك ايه الصراحة؟

- مش محتاجة تقولي حاجه ديه مواقف صغيرة جدا بس بتكشف معدن الأصدقاء الأصيل والخبيث منهم وهي بانت على أصلها وحقيقتها أنا حبتها بجد، أنا لما بحب حد بحبه بجد عشان كده لما بتجرح بتجرح بجد...

- دول ناس مش عارفة قيمتك وميتزعلش عليها.

- أنا فكرت مع نفسي وقررت أقطع علاقتي بيها وقررت لو عملت حاجه تاني وقتها هنفجر فيها وفعلا حصل ومسكتلهاش وعلمتها الصح كويس، خلاص كده كل واحد يروح لحاله أنا صبرت عليها للآخر على رأى أم كلثوم "انما للصبر حدود" واتحملت فوق طاقتي بمراحل بس خلاص كده مفيش سبب إني ابقى على حد مش باقي عليا أو إنه بيأذيني، اتعلمت الدرس متأخر بس الحمدلله أحسن إن متعلموش خالص.

- أولا انتي مغلطيش في حاجه الغلط منها وهي الغلط راكبها من ساسها للرأسها ثانيا اعملي اللي عايزاه أهم حاجه انك متكونيش غلطانه واعملي كل اللي يريحك أهم حاجه صحتك وفرحتك وراحة بالك.

- بالطبع مفيش حاجة أهم من صحتي وراحة بالي.

- ربنا معاكي دايما أنا بدعيلك علطول.

- شوفتي الوقت عدى بسرعة!

- فعلا لازما نربطه بحبل المرة الجاية..

- خفة دمك ظريفة أووووي بس وقفيها عشان هنام عايزين نذاكر كويس للامتحان...

- خلاص فاضل مادتين يعدوا بالطول والعرض..

- ربنا معانا يلا اقفلي وروحي نامي أو ذاكري.

- لا أنا هنام دلوقتي، أنا قولت أرن عليكي أتكلم معاكي شوية.

- تصبحي على خير.

- وانتي من أهله.

قامت وصلت العشاء وبدأت تقرأ من القرآن ونعمت بشعور من الراحة والطمأنينة وسلام يغمرها كأنها في عالم آخر وتصبح صلاتها وقرأتها للقرآن وقت الراحة لها من كل ما تلاقيه، إنها اعادة شحنها من جديد. وبينما هي غارقة في الراحة والسلام النفسي دخل عمر يسألها:

- سرحانه في ايه؟

نطقت عهد بهدوء تام:

- مش سرحانه بس مرتاحة جدا.

- صوتك كان عالي في التليفون لدرجة إني كنت هدخل أقولك وطي الصوت شوية.

- بجد! ديه كانت مشكلة وعدت.

حكت عهد لعمر كل ما حدث مع صديقتها وحينما انتهت انفجر ضاحكا:

- انتوا يا بنات دماغكوا فاضية جدا، ترد متردش ايه المشكلة؟ شافت مشفتش فين المشكلة؟ اعقلوا شوية شغالين تفكروا في حاجات تافهه وتركزوا في حاجات غريبة أي واحد عاقل وبيفكر كويس متجيش على باله الحاجات ديه، ده كلام! العالم بيتقدم ويطور وانتوا جايين تقولوا صاحبتي مردتش عليا وشافت الرسايل ومردتش لا وكمان زعلانين جدا، يا تافهيين!

- بتتريق؟ أيوة هي حاجات صغيرة جدا وتافهه بس بتوضح الأصيل من اللي مش أصيل، مها مكنش أنا بدعم ولو غابت كتير أقولها ولا يهمك ولما متردش عليا أقولها مفيش مشكلة كتر خيرك وأنا لما أجي أعمل كده ألقاها بتقطع فيا وتلومني وتعملها مشكلة...

- في ديه معاكي حق الدعم والتساهل واللين يكون من الطرفين مش طرف واحد بس هو اللي يدعم ويتساهل، وهنا بتوضح فعلا الأصيل والصديق من اللي أي كلام.

- كويس اديك قولتها بنفسك..

- طب قومي نأكل.

- هو انت كل ما تشوفني تقولي قومي نأكل.

- أنا غلطان يعني إني مهتم بيكي وبأكلك.

- تصدق كنت هبكي قوم خلاص نأكل.

*****

- مكالمة لك يا سيد نور...

- حولها لي هنا.....

"نور بدر الدين" في الأربعينات من عمره، عريض المنكبين، يمتلك عيون عسلية، ووجه جميل يطل منه البراءة والهدوء، طويل القامة، لائق بدنيا، يملك شركة للأفلام الوثائقية فهو يعشق هذا النوع من الأفلام، يعيش في بيت في الدور الثانى في الشقة الثانية، ووالده ووالدته في شقة في الدور الثالث وله ثلاثة أخوة أيان ومأذن ووليد بالتريب ونور يكون الأخ الأكبر. كل شخص منهم متزوج ومعه أطفال ويعيشوا في أماكن آخرى، عائلة متماسكة ومترابطة بالحب يخافون على بعضهم البعض، يعيشون تحت كنف الحب والود والرباط العائلي القوي.

نور مشهور عمليا حيث حقق نجاحات كبيرة في هذا المجال من عمله، ومعروف بطيبة أخلاقه وعقلانيته ولكنه عصبي ولكنه يصمت، يصمت وصبور إلى أبعد حد ولكن حين ينفذ صبره فمن الأفضل أن تتركه وشأنه لأنك لن تلقى ما يسر نفسك ستجد شيئا آخر لم تره قبل ذلك، وهو الآن يعمل على فيلم ما ولكن بينما هو منشغل بذلك يطلب فورا من قبل امراة يعرفها فيما مضى وتدعى "لونا يسرى" لزيارتها في مستشفى هافيتا في موضوع خطير ويذهب لها تاركا كل شئ بيده مسرعا يلبي طلبها.

*****

" إن كان لديك حلم فعليك التمسك به ولكن عليك اثبات انك تستطيع تحقيقه، هذا هو النضوج والجام العقول المضادة.. "

(5)

خفايا نشطة

وفي المدرسة بعد أن أدى حازم حصصه جلس صامتا يفكر في حياته الذي كان يحلم أنها ستكون جنة بينما أصبحت العكس جحيم، وبينما هو منشغل في أفكاره القاتلة لروحه أقبل عليه صديقه "وائل بسام خليل" يعمل كمدرس كيمياء في المدرسة، عيناه خضراء، وجه مستدير، وشعر أسود طويل، عريض المنكبين، طويل القامة، جسد رياضي، وروح مبهجة محترمة، وصاح عاليا عندما وجده مهموما هكذا فهو على علم بما يحدث معه فقال:

- دار المنكدين قريبة جدا من هنا يدوب شارع أو شارعين وتوصل بالسلامة...

ثم ضحك على حديثه ولكنه وجده ينظر إليه نظرة متكاسلة، فاقدة للروح تكشف عن أن الروح قد خارت قواها ولم تعد تحتمل الصمود أكثر من هذا، تنم عن أن النفس قد تعذبت دهورا كاملة وعندما خرجت خرجت مقطعة أشلاء غير قادرة أن تكمل الطريق، فتحدث وائل مندهشا:

- ايه اللي حصل عشان تعمل في نفسك كل ده؟ انت كده بتقتل نفسك..

أجابه حازم موضحا:

- نفس الموال.

- مشاكل في البيت برضه؟

- كلهم شايفين أخطائها ومع ذلك يبقولوا ليا أنا إني أصبر، بأي حق يطلبوا مني كده؟ هى بتحاول بكل الطرق إنها تطلق ولما بيجوا يصالحوا بينا بتفضل ساكتة هادية وكمان بتفضل تصالحني وتعتذر، هى عايزة تتجنني!

نظر إليه صديقه بأسى واستمر حازم في حديثه قائلا:

- أنا بقول خليني صابر وأديها فرص وعشان خاطر والدي بس هي بتعمل كل اللي تقدر عليه عشان تنهي العلاقة، فخلاص كده أنا جبت آخري المره الجاية هتكون طلاق..

- بقولك ايه سيبك من الكلام ده وتعالى نخرج بعد المدرسة ايه رأيك؟

- موافق أنا فعلا محتاج أخرج..

أنهى وائل الحوار ولكنه يعلم أنه لم ينهيه في عقل صديقه، يعلم أيضا أنه اتخذ القرار ولن يتراجع عنه لإنه تعب بسببها كثيرا، فعندما تنتهي طاقتنا ونصل إلى آخرنا ونتخذ القرار لن نتراجع عنه مهما حصل.

*****

أثناء العودة من آخر امتحان لي كنت مهلكة للغاية كنت جالسة على الكرسي بجوار النافذة لأنني لدي داء المواصلات طوال أربع سنوات ما زلت لم أعتاد على ركوبها بل تزيد عندي كما أنني أحب الجلوس بجانب النافذة، اعتدت النظر على الطرق والمنازل والمحلات المختلفة والأسواق والباعة المتجولون والسيارات الآخرى ولوحات الاعلانات، حفظت هذا الوضع، نفس المكان لم يتغير شئ، فاللوحة لم تتغير وما زلت أنظر وأنا مستمتعة بالطبع ليس كأول مره عندما ذهبت أنا ووالدتي للتقديم للكلية منذ أربع سنوات، حينها كنت شغوفة ومتحمسة للحياة الجديدة.

وأصبحت أيضا المواصلات مكان للنوم لابد أن تسمى مواصلات النوم، وبدأ عقلي يتحول من حالة السكون والراحة للصراع والآلآم، وجدت نفسي محاوطة بمشاكلي من أب ليس بأب لا يتعب لا يهدأ كل يوم خناق ومشاكل هذا ليس جو سليم تربى فيه الأبناء بطريقة سليمة ولماذا يفعل ذلك؟ إن كان يكرهنا فلماذا أنجبنا؟ إن لم يكن يريد

أن يتحمل مسئولية أسرة فلما تزوج من الأساس؟ تساؤلات كثيرة لكن بلا أجوبة، وهذا ليس بجديد ستظل الأسئلة معلقة إلى ما لا نهاية.

كل هذا على حساب صحتنا وحالتنا النفسية، أرواحنا تقطع ألف مره ولا يرحم لم يحن علينا ويتراجع عن ما يفعله ما هدفه من تلذذه بتعذيبنا؟ وليس بيدنا حيلة الا الصبر حتى يفرج الكرب.

*****

في غرفة شبه كبيره تتسرب أشعة الشمس من خلال النافذة، حيث تسلسل من خلال الستائر حتى تسقط على جسد نائم منذ الساعة الثانية ليلاً، ودخل رجل خمسيني العمر وعلامات الغيظ والغضب تعلو وجهه، ويصرخ منذ وجوده في الصالة:

- ابنك لسه نايم لحد دلوقتي؟ طبعاً هيصحى ازاي وهو سهران طول الليل مع أصحابه الفشلة اللي زييه!

وقف الرجل بجانب السرير واستمر صائحا بغضب:

- اصحى.. اصحى يا أفندي.

استيقظ سمير على صوت يصرخ، يرن في أذنه، وصداع يدق أبواب رأسه بسبب الاستيقاظ المفاجئ، والغضب الذي يسيل عليه كمن ارتكب جريمة كبرى، ويحاول أن يفهم ماذا يحدث؟ حتى يستطيع مجاراته، وينهي الحدث، وبعد صراعات بالتغلب على هذا الشعور يجلس أخيراً على السرير ويقول:

- نعم.. نعم يا بابا، ايه اللي حصل؟

- لا.. مفيش حاجه حصلت بس ابن عمك دخل كلية الطب وانت في كلية الحقوق، وأختك دايما بتجيب المركز الأول واديها امتحنت الثانوية العامة ومستنية النتيجة، وبنت خالتك دخلت كلية علاج طبيعي، وابن عمك دخل كلية الهندسة.

- يا بابا طب ما أنا بجيب امتياز كل سنه، ليا سنتين دلوقتي وبجيب امتياز كل مره.

- مليش فيه.. أنا كنت عايزك تدخل كلية الطب، انت أقل من عيال عمامك وخالاتك في ايه؟ طبعا مش قليل منهم في حاجه، كل حاجه عايزها بتيجي لحد عندك يبقى مجبتش ليه زيهم؟ تعبت قلبي معاك، واديها الشمس طلعت وانت يا باشا لسه قاعد نايم! لا.. لا مفيش حاجه حصلت.

انت فاشل وهتفضل طول عمرك فاشل، أنا معرفتش أربي، بس يا بني انت في بيتي ولسه بتاخد مني مصروفك، وطول ما انت في بيتي وبتاخد مصروفك مني هتعيش بقوانيني، ولو مش عاجبك يبقى تتفضل تطلع بره، فهمني.

وبعد خروجه من الباب، واغلاقه بعنف كل ما فعله سمير أنه نام ثانية وكأن لم يحدث شيئاً منذ قليل، وعلى الساعة الثانية ظهراً استيقظ.

*****

صاحت عهد مرددة:

- أنا مش فاهمه! فين المشكلة دلوقتي؟ عشان جاية وبتقولي محتارة ومش عارفة أختار ايه؟ وأعمل ايه؟

ردت يارا بحيره:

- أنا بقولك أهو... كنت بذاكر في أوطتي وجالي سمير وقالي:

- ثواني بتذاكري ايه وانتي أصلا مخلصة امتحاناتك ومستنية النتيجة يا بت؟

- بذاكر لغة انجليزية، بحاول أطور نفسي فيها، واهدي بقا عشان أعرف أكمل كلامي.

- اديني سكت أهو، كملي...

قالي:

- مساء الخير على أحلى قمر في الدنيا.

- مساء الخير يا سمير، أخدت الخناق على الصبح ونمت تاني ولا كأن حاجه حصلت، متزعلش يا سمير من اللي قاله.

- خلاص أنا اتعودت على كده، متشغليش دماغك.

- انتي شكلك خايفة من النتيجة! متقلقيش كلها أيام وتظهر وانتي شاطرة وهتحققي اللي عايزاه، بس أهم حاجه ادخلي الكلية اللي حباها، وحاربي المستحيل عشان تنفذي طموحك، يعني أنا مثلا كان نفسي أدخل كلية الحقوق فمرضتش أذاكر كتير لإنها بتاخد من مجموع قليل وطبعا كنت حريص برضه في المذاكرة لأحسن مش أجيب مجموعها وأضرب في الحيط وقتها.

سألته يارا مستعجبه:

- طب كنت جبت مجموع عالي ودخلت كلية حقوق برضه.

ضحك سمير ووضحلها:

- مكنش ينفع، كنت هتلاقيني وقتها مشحون بالبريد على كلية الطب علطول من غير مطبات؟ ومكنتش هقدر أقنع أبوكي إني أدخلها لأنه عايز يدخلني كلية الطب، إن كان هو لسه بيديني كل يوم موال علشان مش جبت مجموعها مع إني بجيب امتياز كل سنه ما بالك بقا لو جبت وقولتله عايز أدخل كلية حقوق، كنت هضرب علقة وأتربط

جوه أوطتي مطلعش منها، هو في نظره وفي نظر ناس كتير كلية الطب أحسن من كلية الحقوق وليها مستقبل كبير بس أنا بحب كلية الحقوق أنا نفسي أبقا محامي.

- أيوة، عندك حق فعلاً، بس محتاج منك مجهود كبير عشان تثبت نفسك.

- عارف عشان كده بعمل كل جهدي عشان أوصل، هي اه مغامرة إني أوصل في الآخر للي عاوزه وده هياخد مني كل طاقتي، ولكن ما طعم الحياه بدون تحريك المياه الراكدة، ما معنى الحياة بدون مغامرة والرقص على حافة العصا لكن بأسلحتي واستعدادي.

- بس عايزه أقولك حاجه: حقا إنك ذكى ومتلاعب، ولست بشخص سهل.

- أنفع محامي صح؟ أنا أقدر أقنع أكبر القضاة لكن عند أبوكي وخط أحمر ممنوع الإقتراب، وأتمنى حقاً أن يستمتع بنجاحي.

وجه سمير لأخته سؤالا:

- يارا.. نفسك تبقي ايه فعلا؟

أجابته مؤكده:

- معرفش، بس كلية الطب هي كليات القمة، وكل الناس نفسها تدخلها وأنا زييهم.

- فكري كويس ده مستقبلك، اختاري الحاجه اللي حباها.

صاحت عهد سائلة:

- خلصتي؟

- أيوة، خلصت.

- فين المشكلة بقا؟

- أنا دلوقتي محتارة أدخل ايه؟ وأصلا النتيجة لسه مظهرتش.

- امممم مقدرش أقولك تدخلى ايه، ده مستقبلك انتي مش أنا.

- مها المشكلة إني عارفة بكده، بس برضه مش عارفة؟

قاطع حديثهم جرس الهاتف، واضطرت يارا أن تذهب لوالدتها التي طلبتها مسرعة.

*****

جلسوا عهد، وسمر، وسهام في كافيتريا بعد أن كانوا يتقدمون لمدرسة خاصة فأخذوا يتسامرون وبدأت سهام قائلة:

- مش عارفة بس لازم شريك حياتي يكون شخص أحبه، أختاره، أنا مش عايزاه جواز صالونات.

ردت عليها سمر موضحه:

- عايزة أقولك بس مش عايزة أحبطك، إن ولا جواز صالونات نافع ولا جواز عن حب نافع.

علقت عهد على حديث سمر ضاحكه:

- بحب فيكي تفاؤلك الرهيب، يجنن الواحد.

- يعني أعملكوا ايه؟ أنا واحدة اتجوزت جواز صالونات وحبيته في فترة الخطوبة كمان، وبعد كده اديه بيطلع عيني.

أكملت سهام بهدوء:

- أنا عايزة أتعرف عليه، أعرف شخصيته ايه؟ ده عمري حياتي ولازم أختار كويس.

نصحتها عهد قائلة:

- بس خدي حذرك منه علشان ميضربكيش في ضهرك بعد كده.

قاطعت سمر حديثها قائلة بثقة:

- أيوة، زيي كده.

ردت سهام بعصبيه:

- ما تقومي تقتليني أحسن، يا بت متعقدنيش أكتر ما أنا متعقدة.

- أنا غلطانة إني بعرفك أخطائى علشان متعملهاش، وتبقى هبله زيي.

- هو حنين ولطيف جداً وبيحبني بس...

قاطعتها سمر ثانيا:

- كلهم بيبقوا كده في الأول.

قالت عهد بضحك:

- يا بنتي سيب البت تتكلم، وبعد كده هنخليكي تندبي براحتك.

- بس ده اللي أنا عايزاه يعني ممكن يكون بيكدب عليا، بيوهمني بحاجات مش فيه، يعني ممكن يكون بيمثل عليا ويوريني الصفات اللي أنا عايزاها، أنا خايفة أووووى، أنا مش عارفة أعمل ايه؟

- هى مامتك عارفة؟

- طبعاً لا، مكنتش هتفهمني.

وأكملت سهام قائلة:

- مش هيفهمونا، احنا عايزين شخص يحبنا، يكون سند، يعيشنا حياة جميلة، مش شخص ينكد علينا، مش حاسس بينا ولا كأننا موجودين أصلا.

وضحن عهد رأيها:

- معاكي حق، بس كان هيفيد رأي أمك هما أكبر مننا، وبقوا عندهم خبرة كبيرة، وعاشوا مواقف كتيرة، يقدروا يحكموا، عارفه هما بيخافوا علينا جداً، وعايزين مصلحتنا دايماً، مش هتلاقي حد في الدنيا ديه يخاف عليك أكتر من والديكي، في أي لحظة مستعدين يضحوا بحياتهم عشانك ولا يندموا لحظة بيعملوها والابتسامه تعلوا وجههم.

- أيوة عارفة، ربنا يخليهم لينا.

أكملت عهد حديثها:

- أيوة ممكن يغلطوا ويخطئوا في حاجات بس رأيهم على رأينا بنحاول نختار، محدش معصوم من الغلط.

أعقبت سهام خلفها:

- فعلا احنا معندناش خبرة كافية في الحياة وبمجرد ما يجي حد يقولنا كلمتين حلوين نتخدع علطول من غير تفكير.

أسرعت سمر قائلة:

- وده خطأ مين مها خطأهم هما برضه لو كانوا بيربونا على إننا نتعلم ونطور من نفسنا بس هما بيربونا إن البنت مكانها في المطبخ، إن البنت ملهاش غير بيت جوزها، يا بت اتعلميلك طبختين ينفعوكي بعدين، قومي اغسليلك ماعونتين ينفعوكي للزمن مش بيعلمونا إننا نكون واثقين في نفسنا وازاي نعتمد على نفسنا، إننا نمتلك معرفة وخبرة اكتر في الحياة.

فردت سهام:

- ولما يجي شخص يتقدملك يلا يا بنتي روحي اقعدي مع الشخص الغريب ده وقولينا رأيك فيه ايه بعد القعدة ديه ينفع إنه يكون زوجك ولا لا، اطمنتيله يعني ولا ايه، طب انتي موافقة؟ طب حسيتي ايه ناحيته؟ حسيتي انكوا متفقين ولا لا؟

كيف نختار جيداً ونحن لم ندرب لهذا الاختبار؟! ازاي هنختار واحنا ما تمرناش اننا نقول آرائنا، وامتى نختار وكيف نختار جيداً؟ نحن لم نملك خبرة من الدنيا تكفى لنتخذ هذه الخطوة.

صاحت سمر قائلة:

- نقاس من أعلانا لأسفلنا، إننا سلعة تُباع وتشتري، إن أعجبتك خذها، وإن لم تعجبك اتركها.

سبب اختيارهم للبنت مش بس بيكون على أخلاقها، بس لازما تكون البنت جميلة، طب لو حصل للبنت حادثة واتشوهت أو حصلها أي حاجه هيقبلوا بيها ويفضلوا معاها ولا يسيبوها ولا كأنهم يعرفوها.

غضبت سهام صائحة:

- ولما نيجي نختار اللي شكلهم جميل يقولولك الأدب أفضل، طب متقولوا لنفسكوا! البنت مننا تهتم بنفسها ولو زادت كيلوا واحد بس تتحول حياتها لجحيم وهما تلقي الكرش مدلدل قدامهم كده.

نطقت أخيراً عهد:

- هقولكم على موقف حصل كنت في عربية المواصلات وكنت قاعدة في الصف الأول ورا السواق جنب الشباك وكان السواق شغال يتكلم مع اللي جنبه بصوت عالي وكان بيتفاخر باللي عمله.

"إن واحد بيعرفه جاله عشان يتقدم لأخته فقاله: هخليك تقعد معاها مره واحدة بس، فشوفها كويس، وعاينها كويس، وخد وقتك براحتك لأني مش هخليك تقعد معاها

تاني، وطبعاً جه وطلعتاله، وقعدوا مع بعض ووافق عليها فقولتله: متأكد خلاص، عاينت براحتك؟ طيب لحد متتجوزوا مفيش كلام مع بعض تليفون من غير تليفون مفيش كلام مع بعض، ولا حتى تيجي البيت لو أمك واخواتك عايزين يجوا يشوفوها ويقعدوا معاها يشرفوا وينوروا، طبعاً قعد يتمنع كده، فقولتله: أنا قولتلك من الأول هتقعد معاها مره واحدة بس، مش شوفتها وعاينتها عايز ايه تاني؟ وفي اللحظة ديه السواق مال على الراجل اللي جنبه، وقاله: أنا معنديش دماغ للحركات والعمايل ديه، مكالمات وكل شوية يتنطللي في البيت مبحبش كده أنا، الراجل راجل...

سنه كاملة مريح نفسي لا مكالمات، ولا قعدة في البيت، واتجوزوا، عارف كمان ابن الواد بيخاف على البيت، اما ابن البنت يجي يخرب ويكسر، كل ما تيجي تجيب معاها عيالها يفضلوا يكسروا.

في مره اتخانقت مع جوزها، وجابت عيالها وجاية زعلانه بهدومها، قعدت معاهم وشغالين بيتخانقوا، فحلفت انها مها ترجع لبيتك غير بعد شهرين، واحنا مش هنصرف على عيالك خد ابنك ده معاك، والعيل الصغير ده كمان أصل كان فيه عيل لسه بيرضع فقوللته خده معاك، ده بيرضع من لبنها، واحنا بنوكلها بفلوسنا يعني هنصرف عليه.

ومال على الراجل اللي جنبيه وهو بيضحك: عارف يا أستاذ احتاس بيه، مكنش عارف يروح بيه فين، والناس دخلت في الموضوع وأنا أبدا، وطبعاً أختي مكنتش موافقة على الكلام ده، وكانت قاعدة مش على بعضيها، وبعد ما خلصوا الشهرين جه وأخدها ومشيوا لبيتهم، خدت هدومها بسرعة وطاروا، أنا فاضي للمشاكل ديه، وكل شوية جاياني زعلانه بهدومها، البت ما دامت اتجوزت ملهاش بيت ترجعله تاني."

- انتوا تعرفوا كان شغال بيتفاخر باللي عمله، ده كان بيتكلم بعلو صوته، كل اللي في العربية كان سمعه.

صاحت سهام بضيق:

- معقول فيه ناس كده! ده مجنون، ازاي يعمل كده؟

- هو حتى ميعرفش معنى الراجل، ازاي عيل صغير لسه بيرضع يمنعه من أمه بالشكل ده، ده لو هنقول الكبير يستحمل شوية، بس هو كان ممكن يعمل ايه لو مش قادر يصرف عليهم؟ يقوله يا تاخدهم يا تصرف عليهم، ويضغط عليه كده، بس مش بالشكل ده يكون تصرفه! وازاي يمنعهم إنهم يكلموا بعض في فترة الخطوبة؟ أومال هيعرفوا شخصيتهم ازاي؟ ازاي بيعامل أخته كده؟ يخليها تكره بيت أهلها، ده بيتها زي ما هو بيته، ده مش راجل ده! وشغال كمان يتفاخر بكده!

*****

" هناك أشخاص سيجعلونك تكره الحياه لكنهم مفيدين للغاية لأنك بسببهم تعلمت درسك وملكت خبرة بين يديك لذا عليك أن تشكرهم.. "

(6)

خيوط العنكبوت

في نفس الوقت طلب من أمجد وآسر أن يزوروا امراة تدعى لونا يسرى ولكنهم ترددوا فهي نفس المرأة التي طلبت أن لا يروها وجههم ثانية وأن ينسوها ولكن ها هي الآن هى من تطلب رؤياهم وأيضا مريضة بالمرض الخبيث ولهذا قرروا أن يلبوا طلبها ولكنه سوف يكون الأخير وذهبوا على مهل.

وفي غرفة الانتظار جلس أمجد وآسر في ركن ونور في الركن الآخر المقابل لهما منتظرين اشارة الطبيب بالدخول.

أتى الطبيب وسمح لهم بالدخول ودخلوا لغرفة بيضاء وعلى يسار الباب كرسين وطوالة صغيرة بجانبهم ثم في المنتصف سرير عليه امرأة ممتدة، ملامحها توحي بالتعب الشديد كأنها لم تعرف طعم الحياة ابدا، تحدثت بصعوبة وطلبت منهم الجلوس وجلسوا ثم قالت:

- بالتأكيد يا نور أنت تسأل نفسك لماذا دعيتك بعد 16 سنه؟ مرت سنين كثيرة لم نرى بعضنا ولو بالصدفة.

أجاب نور بهدوء:

- بالفعل هذا سؤالي، لكن الأهم هو صحتك الآن.

- صحتي ستكون أفضل بعد أن أخبرك ما أريد قوله لك.

ثم توجهت بالحديث إلى أمجد وآسر حيث كانوا صامتين تماما قائلة:

- ظننت أنكم لن تأتوا، كنت أتمنى أن تكونوا نسيتوا آخر لقاء بيننا.

رد آسر باقتضاب:

- لكننا لم ننساه وما زلنا نتذكر كل كلمة فيه، لكننا جئنا لنرى امراة مريضة فقط لم نأتي لرؤية سيدة طلبت من أطفالها وهم في السابعة من العمر أي لم تحسب لم حساب لصغر عمرهم والمفترض أنها والدتهم وهم أبنائها، لذا لنكون واضحين تماما ما هو سبب مجيئنا؟

حزنت لونا قائلة:

- من الواضح أنكم تتذكروه جيدا، إن اعتذرت لكم ألف اعتذار لن يكفيكم، أعلم بهذا جيدا، أعلم ما سببته لكم، أعلم مدى الجريمة التي ارتكبتها في حقكم، لكنني أتمنى أن تسامحوني وأنا على حافة الموت.

أسرع أمجد بثبات:

- لا لن تطوليه ولن تهئني به أبدا، فعلتي بنا كل ما تشتهيه نفسك، تركتينا لقسوة الدنيا ووحوشها تفترسنا تنهش في لحمنا وتنهب طفولتنا، سرقتي منا الفرحة والطفولة واللعب والمرح وأن يكون لنا أم وحرمتينا من أننا نصبح أبناء، وعيشتي حياتك بالطول والعرض فعلتي كل ما تبتغيه والآن آتيه لطلب السماح أحيانا السماح يكون جريمة في حد ذاته لا تستحقيه.

- لكم الحق في الرفض وفي كل ما تقولوه لكن فكروا ثانية.

- والمرض لن يعطيكي حق السماح، لن يكون جوكرك الذي تركتيه للنهاية لكي تكسبين به السماح، لن نتركك تسرقين منا السماح أيضا.

- معكوا الحق، معكوا الحق.

كان نور صامتا ينصت للحديث ولم يبدي عليه أي ملامح توحي بالرفض أوالاعتراض على تصرفهم أو الموافقة معهم لأنه اعتاد أن لا يحكم على الظاهر فقط، من يعلم من الممكن أن تكون فعلتها شنعاء لدرجة أن لا تستحق أن تدعى

بانسانه، ومن يعلم أيضا ربما تكون مظلومة وهما يفهموا الأمر خطأ، ومن يعلم احتمال أن تكون هي البرئية وهما الجناة لكن من المؤكد عليهم بر والدتهم هذا أمر لا نقاش فيه، ولكن هي بالفعل تعترف بجريمتها أي أنهم على حق وتصرفهم هذا طبيعي.

تحدثت لونا موجهة حديثها لأمجد وآسر:

- سأحاول أن أفعل شئ خير قبل موتي، سأحاول أن أعطيكم الفرحة ولك أيضا يا نور.

هنا ركز نور معها فهو ما زال يحاول يفهم لما أردات أن تقابله؟ وأكملت لونا حديثها موجهه كلامها للثلاثة؟

- من المؤكد أنك يا نور تتسائل لما دعيتك للقائي بعد 16 سنه من آخر لقاء كان بيننا والأمر سيان عليكما.

وتوجهت بالنظر إلى كل من أمجد وآسر، ثم أكملت:

- لن أطول عليكم الحديث إنني جمعتكم اليوم حتى تعرفوا أمر هام يخصكم وما زلت أطلب السماح منكم فلقد أخطات في حقكم بعيدا عن الخطأ الذي تعرفوه هناك خطأ آخر فعلته لكم ويخصكم أنتم الثلاثة أي أنني أطلب السماح مرتين وأنا أعرف أني أطلب المستحيل ما فعلته وما سأخبركم به سيكون من المستحيل طلب السماح أعلم ذلك.

أنا مريضة ولن أضمن عمري لا أعلم إن كان هناك أمل أو لا ومرضي هذا قد فتح عيوني على أخطائي أحببت أن أنظف كل شئ فعلته أن أكون انسانة غير أنانية لأول مره وأجمعكم مع بعض أن أكون أم لأول مره وأكون انسانه لأول مره، لقد تحدثت كثيرا أنا آسفة لم أقصد ذلك كما قولت لن أطول عليكم اعذروني.

أنا ونور تزوجنا لمدة ثلاث أشهر فقط التقينا صدفة على شاطئ مدينة كاربي أنا كنت هناك بستجم وهو كذلك ثم أحببنا بعضنا وتزوجنا في أقل من شهر واحد فقط كانت هذه الغلطة التي فعلناها السرعة كان لابد علينا أن نعرف بعضنا أكثر أن يفهم كل واحد منا الآخر وبالتأكيد من بعد الزواج والذي كان صغيرا لم نعلم أحد وقررنا المكوث في المدينة لمدة ثلاثة أشهر حتى نستطيع الاستمتاع والاستعداد للصحافة والاعلام لأننا مشهورين ولن يتركونا في حالنا وكنا نريد الهدوء والعزلة والجو الجميل فقط ولكننا بعد الزواج أصبحنا نختلف في كل شئ لم نكن نتفق على أي شئ ولو كان صغيرا للغاية أصبح الوضع لا يحتمل وأصبح الحل هو الطلاق كانت الغلطة أننا تزوجنا سريعا في أقل من شهر كان علينا أن نعرف بعض أكثر حتى نعلم إن كنا نستطيع الاستمرار أو لا أم كان اعجابا فقط لا غير وتطلقنا وعاد كل منا لبلده ولم نخبر أحد وعرفت بعد ذلك أنني حاملا بكوا.

ونظرت إلى أمجد وآسر الذين صاحوا سائلين:

- ماذا؟!

فقالت بسرعة:

- نعم هذا والدكم.

ونظرت الى نور قائلة:

- وهؤلاء أبنائك.

فصاح نور غاضبا:

- ماذا تقولي؟!

صاح أمجد قائلا:

- لا أنتي أخبرتينا أنه تركك تركنا أنه خائن، لم يكن رجلا وتركنا.

أكملت لونا قائلة بهدوء:

- لقد كذبت عليكم، عندما عرفت أنني حاملا بكم كنت خائفة أن أخبره ويأخذكم مني لذلك لم أخبره وبقيتم معي إلى أن أصبح عمركوا سنتين ونصف وحينئذ بدأت أشعر أني سجينة كنت مسؤولة عن روحين محتاجين للرعاية والاهتمام كنت مقيدة لا أستطيع فعل أي شئ أريده أو أفعله بصعوبة كنت أريد أن أحيا وأستمتع بالحياة ولكنكم كنتم عائق في حياتي أن أستمتع، وكنت خائفة أن أخبر والدكم ويجعلكم تكرهونني ولا تريدوا رؤيتي.

علق آسر بحسره:

- وماذا فعلتي الآن؟ لقد جعلتينا نكرهك ولا نريد رؤيتك.

أكملت لونا متغاطية عن جملته:

- معك الحق لقد فعلت، كنت خائفة أن تصبحوا فريقا علي وتحرموني منكوا لذلك لم أخبره، كما خفت من ردة فعله عندما يعلم أن لديه أطفال وأخفيتهم عنه لكن هذا لم يكن سبب قوي لأنني أنا لونا يسرى، لذا وضعتكم في ملجأ ثم في مدرسة داخلية ولم أقطع عنكم المال لقد استمريت أصرف عليكم لدرجة الرفاهية المال ليس المشكلة أنا معي مال كثير.

قال آسر محتنقا:

- نعم لم ينقصك المال بل كان ينقصك القلب.

أكملت لونا حديثها:

- والآن أصبحت مريضة ولا أعلم إن كنت سأنجوا منه أم لا، مرضي هذا فتح عيوني أنني ظلمتكم جميعا بسبب أنانيتي أني بعدت الوالد عن أطفاله وبعدت الأطفال عن والدهم، فقررت أن أصلح شيئا، وأصبح طلب السماح مستحيل أعلم ذلك لكن هو

كل ما بقى لي، لن أطلب غير السماح، ولكم الحق أن لا تصدقوني والفاصل بيننا في تحليل DNAهذا الأمر هو أن تقوموا بعمل وهو الذي سيثبت حديثي.

علق أمجد غاضبا:

- لم نفعل لكي شيئا حتى تفعلي بنا ما فعلتيه! لم نؤذيكي فلماذا فعلتي بنا كل هذا؟! لم يعد هناك كلام يقال وقبل أن نفقد أعصابنا سنغادر ولن تري وجوهنا بعد اليوم.

وغادر أمجد وآسر، وقام نور من مكانه وصاح غاضبا:

- لماذا فعلتي ذلك؟! لا يمكن أن تكوني انسانه.

وغادر على الفور.

*****

جلسوا الثلاثة في غرفة الانتظار والصمت يخيم على الوجوه لم يكن الصمت وحده هو من يخيم على وجوههم بل كان يرافقه ألم يعتصر قلوبهم حزن يكتسح كيانهم وعذاب يقطع أرواحهم ولم تكن الدموع تسقط على جباههم أحيانا عدم سقوطها تعني دمار الروح لم يعد هناك روح تبكي لقد تبعثرت والآن أنت تقف امام جسد فقط.

كان بداخلهم مشاعر كثيرة أيحزنوا من الماضي التعيس أم يفرحوا بالحاضر والمستقبل المشرق! مشاعر كثيرة لا يدروا كيف يتصرفوا؟ وما هو الشعور الذي يتركوا له العنان ليخرج ويسود كيانهم؟ وقطع نور هذا الصمت المطبق قائلا:

- عندما دخلتم علي هنا قبل أن ندخل وجلستم امامي اكتسح بداخلي شعور غريب من اتجاهكم شعور بالدفئ والحب شعور بالألفة أني أعرفكم من زمن بعيد شعرت أن قلبي ينجذب إليكم كنت أريد احتضانكم، لا أعلم ماذا شعرتم؟ لكني متأكد أنكم أبنائي.

تحدث أمجد مشتتا:

- نعم لقد شعرنا بهذا أننا نعرفك من قبل شعرنا برباط غريب بيننا لكن علينا عمل التحليل حتى نقطع الشك باليقين.

تحدث نور مسرعا:

- بالطبع، معكم الحق هيا نفعله لا نريد أن نضيع الوقت.

وبالفعل ذهبوا الثلاثة لعمل التحليل وبعد فترة من الوقت أظهر ايجابيته، نعم كانوا والد وأبنائه، كان بداخل كل واحد فيهما حزن رهيب بجانبه فرحة ترفرف في قلوبهم معلنة عن الأمان بعد الخوف عن حب يولد عن حنان لم يدركوه عن السند الذي لم يعرفوه وعن الترابط عن أسرة تكونت منذ لحظة لم يكونوا يعرفوا معنى الأسرة فها هما أطفال منذ الصغر وحيدين بلا أب أو أم بلا قريب بلا حبيب وها هو رجل تمنى أن يتزوج وعندما قرر الزواج اختار زوجة لم تكن تستحق أن تكون زوجة بل انسانه تمنى دائما أن يكون لديه أطفال وها هي أمنيته تتحقق سينعم بشعور الأبوة سيتمتع بطرب كلمة "أبي" وضعوا حزنهم في قارب واحد وقررا أن يبحرا سويا في رحلة واحدة طريق واحد سيبنوا بالحزن والآلآم بيت تدخله البهجة من كل جانب.

وأطلقوا العنان لتتلامس القلوب وتتهافت الأعين وتصرخ الروح وتصفر الآذان حيث التقى الأحباء بعد رحلة طويلة بالشقاء والآلآم وتصفق الأيدي لم نعد وحيدين لكل منهم تحققت أمنيته ودمع القلب بدموع الاشتياق والحب والتمني والرغبة، لقد نسوا ما فعلته لونا بهم نسوا الحزن حتى لا يعكر فرحهم بالحاضر والمستقبل لم يسامحوها لكن تركوها وشأنها، سيتخطوها، لماذا نقف على عتبة الماضي بينما يوجد أبواب تنادي لكي تفتح لمستقبل جميل، إن فرحة الإلتقاء غلبت مرارة الظلم والعمر يكفي للتعويض حتى لو كان أقل من ثانية، العمر لا يقاس بالدهور أو السنوات أو الشهور أو الأسابيع أو الأيام أو الساعات أو الدقائق أو الثواني أو الفيمتو ثانية بل يقاس بالفرح بالحزن باللحظات التي نقدرها تغيرنا تبكينا تضحكنا تضربنا تقوينا تكسرنا ترفعنا هذا هو العمر.

*****

جلس في مقعده في بيته يفكر لماذا ألغى نور مقابلته اليوم لماذا كان سارحا؟ هذا هو "نبيل ابراهيم" صديق لنور يعمل لديه كمحامي للشركة متزوج وله ابنتان في عمر السابعه والخامسة، حياته كانت متقلبة كثيرا مر بأحداث يؤلف لها الكتب والروايات ولكنه منذ بضع سنوات نعم بحياة جميلة ورائعة وهادئة لحد ما إلى ما يجعلها حياة تعاش بشكل مثير، من بعضها بتعرضه بالاكتئاب وبادمانه للكحول حتى تعالج منهم وعمل بجهد وتزوج وأنجب.

إن الحياة حقا تصبح مثيرة للشفقة لأى شخص لن يغامر خوفا من الفشل، إنه يفقد معنى الحياة عندما لا يمر على أوقات الحزن والانهيار والشعور بأنه في القاع حتى يصل للقمة وينعم بلذة الفخر حقا إنه جسد ميت حيث إنه راكد في مكانه يهاب أن يخرج عن القطيع ويرى أي شخص مختلف خارج عن القطيع أنه ضد الحياة نفسها، إن أصعب صعوبات الحياة هي التغلب على النفس هي تحدي نفسك.

ومن الخلف أتت زوجته ورأته مغرقا في التفكير فسألت:

- هل تفكر أن تتزوج؟

سألها نبيل مندهشا:

- ماذا؟

ردت عليه قائلة:

- لهذه الدرجة تفكر كيف تجد العروسة؟ معقول! كنت أخبرتني وكنت اخترتها لك بنفسي.

ضحك نبيل وقال:

- عروسة! معقول أن أبحث عن عروسة وهي أمامي.

- لا تغير الموضوع.

- أنا لا أغيره، ولكن القمر بين يدي فماذا أجلب بعد هذا؟!

تنهدت "تاثى" قائلة:

- حديثك هذا لن يغير كلامي.

ضحك نبيل مكملا:

- لن أتكلم، عليكي فقط أن تنظري إلي قلبي وستري من المتربعة عليه؟ من حبها محفور على جدرانه؟ كل ما عليكي هو النظر فقط بداخله.

كادت الفرحة تعلنها أمامه لكنها أمسكت لجام نفسها ومثلت أنها لم تركز مع حديثه بالرغم أنها كانت فوق السحاب بسببه لكن هذه هي المرأة لن تجعلك ترتاح مطلقا، وقامت بسؤاله:

- إذا عليك اخباري ما تفكر به ويجعلك مهموما هكذا...

تنهد نبيل وقال في ضيق:

- سأخبرك، أفكر في نور كنا سنتقابل اليوم للحديث في شغل هام لكنه ألغى الموعد وكان حزينا كان من الواضح أن شئ هام يحدث معه لكني لم أضغط عليه ليخبرني كان شاردا للغاية.

- إذا عليك أن تتصل به ثانية لتطمئن عليه ولا تقلق هذا هو حال الدنيا ساعة حزن وساعة فرح، لكن الآن انتبه لصحتك حتى لا تكونا أنتم الأثنين مريضان على أحدكما أن يكونا قويا للوقوف بجانب بعضكما.

- لكني اتصلت عليه ولم يرد.

- إذا لا تزعجه أكثر من ذلك أنا متأكده لو كان يستطيع أن يجيب لأجاب على اتصالاتك.

- سأنتظر لغدا وإن لم يجيب سأذهب إليه.

- هذا هو التفكير الصحيح.

- هيا نطمئن على البنات.

- هما يلعبون بالحديقة لنلعب معهم.

*****

" الكون كله كومة من التساؤلات وإياك أن تعتقد أنك ستملك كل الأجوبة وإن اعتقدت هذا فعليك اعادة التفكير حتى تنضج روحك.. "

(7)

اسدال الستار

- طوال هذه السنوات الماضية تمنيت أن تكون بجانبي، تخيلتُ نفسي وأنا أقف أمام مرآتها، وأنا أردد كلمة "أبي".. "أبي" لكي أشعر بمعناها، وماذا يشعرون أصدقائي وزملائي في الجامعة وهم ينطقوها؟ تخيلتك أمامي وأنا أنادي بها "أبي" وأنت تجيب.

كنتُ أُناقشك في مواضيع كثيرة، وترد علي، واستمريت على هذا الحال، وأخذتُ أسال نفسي: لماذا أفعل هذا؟ هذا ليس طبيعياً على الإطلاق، هذا مرض.

أووووه.. يا الهي.. لما أفعل هذا ؟ هذا مرض بالتأكيد، أن أتخيل شخص متوفي، أتحدث معه ويجيب علي ؟ أن أسحب شخص متوفي من عالم الأموات من عالم آخر له نظامه الخاص.

هذا بالتأكيد مرض، من المحتمل أني أفعل هذا لكي أشعر بحنان الأب، وبإحساس الأب الغائب، وكنت أعلم أنه إحساس مؤقت وسيذوب، ولكنه إحساس رائع، كم تمنيت أن يدوم! تمنُيتك يا أبي أنك معي فى كل لحظة أعيشها، أن تسعد لفرحتي، وتجزع بحزني، أحب أن أقول لك أيضا: أن أمي انسانه رائعة، تعمل كل ما باستطاعتها لتكون بجنابي تحاول أن تكون الأم والأب بقدر الإمكان، فهى تعانى بسببك احفظها لي يا الهي.

- فلماذا يا أبي وأنا الآن طالبة في الجامعة لم تحبني؟

- لماذا بعدت عني وكل ما بيني وبينك خطوتين لا أكثر؟

- لماذا توفيتُ وأنت حي ترُزق ؟

- لماذا توفيتُ وأنت تعيش معي تحت سقف واحد حتى الآن ؟

- لما قطعت كل روابط الإبوة بين الأب وإبنته؟

- لماذا؟

- لماذا يا أبي؟

- لماذا؟

كومة من اللا لماذا، كومة من التساؤلات، والتعجبات تتمحور باللا نهاية، من منا فى هذه الحياة يحصل على إجابته؟ فالحياة تتركنا معلقين، لماذا نصبح فجأة أشولة من التساؤلات؟ لما نصفع بكل قسوة من إيجاد تفسيرات لمشاكلنا؟

البعض منا يفشل فى إدراك لما خاننى حبيبي؟ والبعض منا يسأل لماذا المدير يبغضني؟ والبعض منا يسأل لما لم تصبح الحياة أسهل؟ والبعض منا يسأل لما فرصتي لم تبدأ بعد؟ والبعض يسأل لم خانني صديقي؟ والبعض يسأل لما لم يحبني زوجي؟ والبعض لما يعصاني ابني؟ والبعض لما يتركني زوجي؟ والبعض لما لم تحبني والدة زوجي؟ والبعض لما العمل سئ معي؟

حزمة من التساؤلات تفرتق العقل بلا رحمة، نلف بمذبحة العقل، وندور، وندور حتى يعلن عن انهياره، وصداع يغطي عقلك، وعينان زائغتان، ودموع لا تقطر، وتتمنى أن تسقط، وصوت مبحوح داخل حنجرتك يرفض الخروج خوفاً أن يسمعه شخص ويكتشف ما بداخلك، ويرجوك أن تكف عن التفكير، لكن هيهات.. فنفسك لن تتركك لتأخذ نفسك.

تلهث وتلهث، عقلك يأمرك أن تتوقف، وقلبك يقطع من أجلك، ونفسك تقطعك كأنها ليس جسداً واحدا بل ثلاثة أجساد.

فلماذا يا أبي ؟ "أبي" لا أعلم لماذا حتى الآن أرددها؟ ربما جزءاً مني يريد أن يحياها في الواقع، ولكن كيف؟ كيف من أب قاسي مثلك؟

حتى هذه الكلمة "أبي" لا تستحقها، فالأب ليس من ينجب فقط، ولا من يصرف أموالاً فقط، بل من يملك قلب من الجنة، من يجزع لحزن أولاده، يرقص فرحاً بسعادتهم، من يضم أولاده حوله ويجمع شملهم.

- إنى لم أحبك.. ولا أحبك.. ولن أحبك..

- أكرهك.. أكرهك لكرهك لي..

أرى في عينيك مدى كرهك لي، لم أفعل لك شيئاً يجعلك تكرهني لهذا الحد، فإني جئت لهذه الحياة وجدتك هكذا، أي ليس لي سبب أو أي ذنب فى تصرفاتك حتى أغيره من أجلك، ولكن للأسف هذا أنت من صنعت شخصيتك.

- أكرهك لمعاملتك السيئة لي.

- أكرهك عندما يتحدث أصدقائي عن علاقاتهم بآبائهم والتي معظمها جيدة.

- أكرهك لسعادتك بجعلنا تعيسين.

- أكرهك عندما تفرح بحزننا، وتتلذذ بمضايقاتنا، واحباطنا.

- أكرهك لمحاولتك أن تأيسنا.

لو كنت متوفيا حقاً لكان هذا أرحم بكثير، من أنك تحيا ولكن بقلب متوفي، وبشخصية لست فخورة بها، فالكل يفخر بأباه اما بالأخلاق أو المنصب أو المال أو كليهما معاً، ولكن أنت منزوع من أي صفة منهم، كيف قلبك استطاع أن يفعل هذا؟ ألا تشعر بندم! أنت رجل هل الرجال يفعلون هكذا؟

أنا أخجل من حالي حينما أشعر بهذا الشعور، حينما أشعر بالإشمئزاز منك، حينما أقول ما يشعر به قلبي اتجاهك، كيف إبنة تتمنى لو كان أباها متوفياً لكان أفضل من أن يحيا؟ هل يوجد كارثة أكبر من هذا؟ هل يوجد فخر بهذا؟ إنني أخجل من ربي، من نفسي، كيف أواجهه؟ كيف أواجهني؟ ولكنه فوق سيطرتي، خارج عن إرادتي، يتغلب علي، كما أنه لم يخرج من نفسى، إنني أحبك وأريد رضاك، يا رب إمنحني القوة لأصمد، إمنحني القوة لكي لا أقع، امنحنى القوة لأستمر.

دكاترة علم النفس، والفلسفة، والتنمية البشرية حيث قرأت كتب وروايات عديدة لكي أستطيع أن أتخطاك، يقولون لكي أصل إلى الراحة، والسلام الداخلي، لابد أن أتصالح معك في داخلي، يقولون لابد أن أنهي الأمر حتى أحيا.

حسناً إني لقد أنهيت نصفه تقريباً، فاعتبرتك متوفيا، لا يوجد أب لي لا مشكلة، فكوني فتاة تملك الإرادة، والإصرار، وتملك قلباً طيباً، فاعتبرتك شيئاً لم يكن، ولكن عندما تفتعل مشكلة، وتضايقني، فكنت أهدي نفسي، بعد محاولات عديدة أحياناً أنجح، وأحياناً لا، كنت أقول:

- اعتبريه متوفيا، ولكن يأتي صوت من داخلي ويجيب بسرعة البرق:

- كيف يكون متوفيا وهو يتكلم الآن؟

وكنت أجيب:

- صديقتي لا تنصتي له، التقطي حديثه، وأفعاله من أذن واخرجيه من الأذن الآخرى، كأن لم يتحدث أحد من الأساس، كيف تتركي نفسك تتأثرين بحديث شخص كهذا؟

إذا تصالحت معك، ولكنه نصف تصالح فقط، ولن يستمر، ففي النهاية لن أتحمل وسأنهار، كم أتمنى أن أخرج من كل هذا، من هذا الظلام، من هذه البيئة، أريد أن أكسب نفسي.. أكسب احترامي..

أريد أن أشعر أني مفيدة.. أريد أن أنجح..

أريد الحب.. أريد الرفقة..

أريد الحياة.. الحياة تستحق أن نحياها..

أحيانا أشعر أن الحياة شخص، ونتصارع من منا سيفوز.

متى سأعقد جلسة مع نفسي وأتصالح معكِ؟

متى أقفل الباب؟ وألقي المفتاح.

هذا كان حديث عهد مع نفسها عندما اختلت بنفسها في غرفتها متألمه...

*****

دخل حازم بيته متأخرا عن معاده يوميا، ترك مفاتيحه على الطاولة وجلس على كرسي الانتريه دقائق ثم وقف ودخل إلى غرفته وأثناء طريقه إلى هناك سمع صوت الدش يعمل فعلم أنها تأخذ حماما ولم ينادي عليه وأكمل طريقه إلى أن دخل غرفته وجلس على السرير ساكنا لدقيقة ثم خلع حذاءه وبعده خلع ساعته ووضعها على درج الكومدينو ثم وضع هاتفه وأثناء هذا لاحظ شريط دواء على الدرج لم يره من قبل ولم يرها تأخذه قبل هذا وإن كانت تأخذه لما لم تخبره بالأمر؟ فكر قليلا وقرر يصوره ويسأل طبيب عنه، فقام بتصويره وخرج مرة ثانية ونادى عليها كأنه لم يدخل الغرفة فخرجت بعد دقيقتين كأنها أسرعت لتخبئه هكذا ظن، فسألته مستفسره:

- انت وصلت امتى؟

رد عليها وهو متفرس في ردود أفعالها:

- دلوقتي..

- دقيقة هجيب حاجه تقيلة ألبسها عشان بردانه.

ظن أنها كانت حجة حتى تدخل تخبئه وعندما خرجت سألته:

- انت خارج تاني ولا ايه؟

- أيوة وانتي كمان اجهزي عشان هنخرج نتعشا بره؟

- بجد.. دقايق وأكون جاهزة.

- دقايق قولي ساعة...

- اضحك اضحك.

- على ما تجهزي هطلع وآجي تاني.

غادر حازم متوجها للصيدلية وقام باعطاء الهاتف للطبيب مستفسرا عن نوع الدواء الموجود في الصورة فأجابه أنه دواء يؤخذ لمنع الحمل، كانت هذه الإجابة بمثابة الصاعقة التي هوت فوق رأسه، كانت كافية لانهياره لكنه ألجم نفسه وتدارك أمره حتى لا يظهر شئ أمام الدكتور، واتجه بسيارته نحو البيت بعدما اشترى وجبات سريعة ودخل البيت واستمر يناديها حتى أتت جاهزة لكنه أخبرها:

- هاتي الأطباق وجهزي السفرة بسرعة.

- بس انت قولت هنخرج!

- لقيت لما نكون لوحدينا هنكون على راحتنا أكتر وجبت كمان شموع ونعمل قعدة رومانسية.

تعجبت منه ندى وبعد فترة كانت تنام على الكرسي كالحمل الوديع، كانت نائمة كالملاك، مفعول المخدر الموجود في عصيرها تم كما أراد وقام بأخذ عينة دم من ذراعها وتركها وذهب ليحللها ليتأكد أكثر، من المحتمل أنها أرادت أن تريه الشريط لتجننه أو لها هدف آخر وكان عليه التأكد من الأمر، في غضون بعض الوقت أكد التحليل حديث الطبيب كان مصدوما، كان يتمنى أنها كذبة ولو كانت كذبة كانت ستكون عذابا أيضا، لقد تزوج ليكون أسرة وتشاركه حياته انسانه يحبها وتحبه لكن ها هو البيت خاوي، أساسه المزيف قد انهار، لا يرى بيت هنا بل حطام بيت هوى، عندما وصل إلى البيت وجدها ما زالت نائمة كالملاك جلس واستمرت الأفكار تنهش فيه حتى استيقظ على صوتها قائلة:

- حازم.. حازم.. اصحى ايه الى حصل؟

فتح عينيه بثقل بسبب قلة النوم وبسبب ثقل الهم أيضا الذي استكان على صدره متربعا ولم يرد عليها، فاستمرت قائلة:

- أنا مش فاكره حاجه خالص غير إني كنت بأكل ده كل اللي فكراه.

- وأنا كمان، يدوب هجهز عشان المدرسة.

*****

وبقلب منكسر وبادراك مندمل قاد سيارته متجها إلى المدرسة، كان عقله مشرد في غياهب الحزن، واستمر يحدث نفسه:

- ألهذا الحد تكرهني! لما فعلت ذلك؟

لم يكن مبصر للطريق جيدا وفي غمضة عين كان يصرخ من الألم كل ما يدركه أنه صدم، وألم يكتسح كيانه وغاب عن الوعي ولم يعرف ماذا حدث له بعد ذلك؟

*****

كانت مريم جالسة، متأخذه من كتابها حياة، تغرق في عالمه، يفصلها عن الواقع، من أحب الأوقات إليها عندما تقرأ كتاب أو رواية ما، حقاً إن الكتاب سحر مباح، إن القراءة نعمة عظيمة، وبينما هي منهمكة في عالمها، قاطعها رنة الهاتف ونادت:

- سمر، ازيك حبيبتي.

- عهد...

- بتبكي ليه؟ مالك يا قلبي؟

- خلاص تعبت، مبقتش خلاص مستحملة.

- اهدي يا حبيبتي، فهميني؟ ايه اللي حصل؟

- أهدأ ايه؟ كان هيوقعني من على السلم، زقني ولولا إني مسكت نفسي، كنت هقع من عليه، يعني خلاص مكنش همه أموت ولا لا.

- الحمدلله جات سليمة.

- المره ديه ويا عالم المره الجاية هتكون ايه؟

- طب حاولي تاني تتكلمي معاه، تاخديه على كد عقله.

- بعمل كده ومش نافع، اعمل ايه تاني؟ أنا بتمنى الرضا يرضاه.

- سمر.....

- انتي مش في ايدك حاجه تعمليها، ولا أنا، بس أنا تعبت ومحتاجة أتكلم، أنا همشي دلوقتي.

- ليه؟ خليكي معايا شوية.

- محتاجه أرتاح شوية.

- ماشي، بس ارجعي كلميني، هفضل مستنياكي.

- حاضر، ومعلش إني بضايقك.

- انتي بتقولي ايه؟ عيب عليكي، احنا اخوات.

- ربنا يخليكي، عن اذنك دلوقتي، سلام.

- سلام يا حبيبتي

أغلقت الهاتف وبدأت تقول:

كيف؟ كيف وصلنا لحالنا هكذا؟
ألم نكن نحن الأحبة فيما مضى!
ماذا تغير؟ ماذا حدث؟
أيعقل أن ما كان بيننا كان وهما من ورق وهوى!
لكني أحببتك وما بيدي حيلة.. من منا السبب في الذي حدث؟
الزمن لا يغير ولا العيب فيه..
أنحن! أنحن من تعاهدنا على البقاء! على الصمود! على الوقوف فى وجه الصعاب!
ومع أول إختبار تهاوينا كما تتهاوى أوراق الشجر..
إن كنا لم نستطع الصمود في أول إختبار إذا نحن لسنا جديرين أن ندعوا أنفسنا أحباء.. ألم يكن من المفترض أن نقاوم أكثر من هذا! ألم يكن من المفترض أن نتمسك ببعضنا أكثر من هذا!
هل الأحبة حقا يستسلمون بهذه السهولة؟! أم نحن كنا لسنا أحبة من البداية ووهمنا أنفسنا بحب عظيم.. وكان في الأصل وهم كبير..

*****

بعد فترة كانوا والداه وأعمامه وندى في المستشفى منتظرين خروج الطبيب، كان الكل خائف مما هو آت، يتمنون أن قلوبهم تطمئن وتهدأ أرواحهم، خرج الطبيب فأسرع والد حازم سائلا:

- خير يا دكتور؟

- خير باذن لله، للاسف حالته خطره وهيتوضع في العناية المركزة..

- يعني ايه؟

- حضرتك دكتور وعارف.. ربنا معاه..

اهتز جسده خوفا، ارتجف عندما شعر أن الموت قريبا من ابنه لو كان الموت أتى إليه سيكون أهون، إن كان سيموت وفلذة كبده سيعيش فلن يكون خائفا، تقطع قلبه وهو يرى ابنه يصارع الحياه، يقاتل من أجل النجاة، لم يكن يستطيع أن يخفي مشاعره بكى وبكى، كانت تحضنه زوجته باكية مترجية من الله أن يشفي ابنها بينما كانت ندى صامتة لم يبدي عليها أي ملامح حزن أو أثر بكاء أي حركة توحي أنها حزينة لكن كثيرا منا يعلن ما يعكس بداخله.

طوال عشرة أيام كان والداه يبقون معه دائما بينما ندى كانت أيام تبقى وأيام لا، طوال هذه الفترة لم تعرف الراحة طريقهم، لم يعرفوا للنوم طريق، أرواحهم تشتت هنا وهناك، أنفسهم تقطعت خوفا، أرواحهم خرجت من أجسادهم ولم تدخل الا عندما حالته استقرت، عندما فتح عيناه ونطق وأصبح واعي لما حوله هنا تنفسوا بارتياح وهدأت أرواحهم من الهيجان وتراقصت النفس فرحة مرحة، لقد مروا بأسوأ أيام حياتهم والآن قد حان الوقت لينعموا بالراحة ويدق الفرح أبوابهم ويتراقصوا على أنغامه.

*****

" أصعب شئ في الحياة هو الترقب.. ترقب كل ما هو قادم..
الانتظار الذي يثير الروح ويبعثرها في الهواء لأجل تحقيق
أمل ما.. "

(8)

كيمياء متفاعلة

ذهب نور لوالده ووالدته وفي نفس الوقت جلس أمجد وآسر في كافيتريا بانتظار والدهما للذهاب إلى داهليا لمدرستهم حيث يستعدان ليعيشوا معه ووصل نور إلى البيت وبعد أن جلسوا الثلاثة قال نور وعليه علامات توحي أنه يريد أن يقول شيئا ولكن لا يعلم كيف يبدأ؟ أو ماذا يقول؟ فابتدأ حديثه قائلا:

- أنتم تعلمون أنني كنت رافض موضوع الزواج بتاتا بسبب أنني كنت أريد انسانه تحبني وأحبها تفهمني تكملني تصبح نصفي الثاني نكبر معا وتشيب رؤوسنا معا أيضا كما أنني تمنيت أن يكون لدي أطفال يحبونني ويملئوا قلبي بضحكاتهم.

تحدث والده سائلا:

- ما بك؟ أنت تريد قول شئ، لا تتردد كثير أخبرنا ما تريد اخباره، أنا أول مره أراك هكذا! لم نتعود أن نخاف أن نتكلم سويا!

- نعم أبي أريد قول شئ هام، ولا أعرف كيف سأقوله؟ لكن عليكم أن تتفهموني جيدا.. منذ 16 سنه أنا تزوجت من امرأة تدعى لونا يسري هي سيدة أعمال مشهورة، هذا حدث عندما كنت أستجم في مدينة كاربي طبعا لن تتذكروا الأمر إنه منذ وقت كثير هي أيضا كانت تستجم، تقابلنا سويا وأحببنا بعضنا وفي أقل من شهر تزوجنا لم نعلم أحد حتى لا يضايقونا الصحافة والاعلام كما أنني لم أخبركم لأنني كنت خائف أن لا تكون هي شريكة حياتي عندها أكون قد أقمت الزفاف وأخبرت الجميع ثم ينتهي الأمر باحباط كبير لم أرد أن أتألم وقتها ففكرت إن لم أفعل ذلك وحدث أمر سئ سأنسى بسرعة سيكون الألم أقل.

هكذا اعتقدت وقتها وكما أخبرتكم تزوجنا في أقل من شهر وكانت هذه هى الغلطة إننا اعتقدنا أننا نعرف بعضنا كان علينا ألا نتسرع حتى نفهم شخصياتنا لكننا تسرعنا وتزوجنا وبدأت الخلافات تشب بيننا وبدأنا لا نتفق على أي شئ مهما كان صغيرا نختلف في آرائنا في كل شئ، وقبل أن نقتل بعضنا كان لابد من الطلاق تطلقنا في أقل من ثلاث شهور على الزواج وكل منا ذهب لحاله نعم لقد اعتقدت أنني سأنسى سريعا ولكن كان الأمر صعبا.

لم أرد أن أخفي الأمر عليكم ولا أن تحضروا عرسي لكن كنت خائف أن لا تكون هي رفيقة الحياة وعندما أقم الزفاف والكل يشارك ويحدث شئ سئ أقع في مكاني عندها كلما أنظر لكل منكم سأراها اعتقدت أن هذا أفضل لكني كنت على خطأ لأنني حتى عندما فعلت ذلك لم يسهل الأمر أبدا، لم يبسطها علي أرجوا منكم أن تتفهموني جيدا، أنا حقا آسف.

تحدث والده قائلا:

- بالرغم من أنني مندهش ولي الحق في ذلك كما كنت أتمنى حضور زفافك هذا يوم نتمناه منذ ولدت لكن لا نستطيع أن نلوموك إننا نفهمك جيدا كان عليك أن تثق في نفسك أكثر أن تكون قوي تستطيع أن تواجه أي ظرف لا تجعل شئ يكسرك أو يضعفك، لا تحمل على نفسك كثيرا يا بني ارحمها أنا أتفهمك جيدا.

صاح نور فرحا:

- أحبك كثيرا يا أبي، أنا فخور لأنك أبي هذا من سعد حظي.

صاحت والدته غاضبة:

- نعم أنا أتفهمك جيدا، لكن كنت أريد حضور زفافك أنا كنت بستعد لهذا اليوم، ثم كيف تكون حزين ولا تخبرني؟! أن تكون خائفا ولا تقل لي!

تحدث والده ضاحكا:

- يكفي هذا الأهم أنه بخير لسنا بحاجه إلى الخوض في الماضي لنتركه بكل ما فيه وننظر فيما بين أيدينا.

ثم نظر إلى نور قائلا:

- هيا أكمل حديثك لأنني أشعر أن هناك موضوع آخر تريد اخبارنا به وأن هذا مجرد بداية افتتاح لما هو أهم وتريد قوله لنا.

*****

نظر نور بنظرة تعجب واندهاش لوالده وقال:

- كيف تعرف دائما ما أخفيه بصدري؟! نعم هناك أمر آخر وأكثر أهمية. بعد الطلاق ذهب كل منا في طريقه ولم أراها ثانية حتى اليوم، لقد قامت بدعوتي لكي ألقاها اليوم وذهبت لها في المستشفى وبينما كنت في غرفة الانتظار دخل علي فتيان يبلغان السادسة عشر من العمر وكنت أشعر بشئ يجذبني اتجاههم ودخلنا سويا في نفس الوقت لنقابلها، أتعلم يا أبي ماذا أخبرتنا؟! أنهم أبنائي وأنا والدهم.

صاح والده مندهشا:

- ماذا؟

تحدث نور مكملا:

- لقد حملت مني ولم تخبرني، كانت خائفة أنني سوف أخذهم منها فأخفت أمر حملها علي وقامت بتربيتهم حتى بلغا سنتين ونصف من العمر وأرادت أن تعيش حياتها أصبحوا عائق لذا وضعتهم في ملجأ ثم مدرسة داخلية كان هذا أفضل لها، كانت خائفة أن تعطهم لي وأجعلهم يكرهوها لذا فضلت أن تتركهم وحيدين حتى ترتاح هي، وعندما طلبوا رؤيتها أول مره أخبرتهم أنها تكرههم ولا تريد لقاؤهم مرة ثانية

وطلبت منهم أن ينسوها ولا يريها وجهيهما مرة ثانية، كما جعلتهم يعتقدوا أن والدهم تركهم ولا يريدهم. هذا كل ما بالأمر ثم بعد ذلك تركناها وغادرنا ومن بعدها قمنا بعمل تحليل وتأكدنا أن كلامها صحيح DNA.

صاحت والدته فرحة:

- هذا يعني أنك أب وأنني أصبحت جدة. كم تمنيت ذلك أن أحضن أبنائك وأحملهم لكنهم الآن كبروا على هذا....

لنتغاضى عن ما فعلته بك وأنك أصبحت غريب عنها فكيف تفعل ذلك مع أطفالها؟! كيف استطاعت أم أن تترك صغارها وحيدين في الدنيا؟ كيف تحرمهم من والدهم وحنانه بل تخدعهم أنه تركهم؟! كيف فعلت ذلك؟!

تحدث والده غاضبا:

- إنها لا تستحق أن تكون أم أو انسانه من الأساس، هذه جريمة في حقهم وحقك؟ أفضل شئ فعلتوه أنكم غادرتموها ولم تفقدوا أعصابكم عليها.

وضح نور قائلا:

- لذلك غادرنا تجنبا لهذا، ثم هي مريضة بالمرض الخبيث أي أنها بها ما يكفيها، ربنا يشفي كل مريض لا نتمنى لها السوء ولا ندعي عليها ولا حتى نشمت بها.

قال والده:

- والآن الأهم من ذلك هل تأكدت من التحليل أنهم أبنائك حقا؟

- نعم يا أبي إنهم أبنائي من لحمي ودمي.

تهلل وجه والده وقال:

- اذا ماذا تنتظر؟ أين هما حتى نقابلهم؟ لا أطيق صبرا حتى أحضن أطفالك.. أحفادي..

سأل نور فرحا:

- أسعيدين حقا؟!

أجاب والده مؤكدا:

- وكيف لا نسعد وهما قطعة من لحمنا ودمنا؟ قل لي كيف؟! كيف لا نسعد وهم أحفادي؟ كيف لا أسعد وهم أبناء ابننا الأكبر الذي طالما تمنينا أن نرى أبنائه بين أحضاننا؟ كيف؟ أنت خائف من ردة فعلنا! كيف تفكر في ذلك؟! إنهم من لحمنا ودمنا لا يوجد هناك ذرة تفكير واحدة إن كنا نقبل بهم عن حب أم لا أو لا نقبلهم من الأساس.. لا تخف يا بني واحضرهم إلينا سريعا لا نحتمل بعدهم أكثر من ذلك.

لا نريد أن نضيع وقتا أكثر من ذلك ونحن مبتعدين عن بعض لنجمع شمل الأسرة، تكفي ستة عشرة عاما من البعد والشوق والحنين والأمان، علينا أن نجتمع ثانية ونعوض كل لحظة بعد ولا نضيعها في التفكير بالماضي علينا أن ننسى الماضي ونفكر في الحاضر والمستقبل.

تحدث نور موضحا:

- وماذا عن باقي العائلة يا أبي؟ أخواتي وزوجاتهم وأبنائهم وردة فعلهم ماذا ستكون؟ أنا خائف من ردة فعلهم اتجاه الأولاد، لا أريدهم أن يعانوا أكثر من ذلك يكفي ما عانوه، يكفي شعور أنك يتيم الأب والأم وهم أحياء، إنه شعور لا يوصفه أي حديث يا أبي، لا أعلم كيف كانوا يحيوا؟ كيف واجهوا الدنيا؟ لا أعلم ما قاسوه ولكني لن أسمح أن يعانوا أكثر من ذلك، سأجعلهم يملكون السعادة بين أيديهم.

قال والده:

- وأنا لن أسمح أن يعانوا ابدا وسأكون معك في كل هذا، لا تقلق سأرتب الأمر بأكمله ولا تقلق من ناحيتهم،اطمئن. أين هما الآن؟

- منتظرين في كافيتريا.

صاح والده سائلا:

- كيف تفعل ذلك؟ لماذا لم تجلبهم إلى البيت؟!

أجاب نور موضحا:

- كان لابد أن يكونوا بعيدين عن حديثنا هذا حتى أستطيع أن أخبركم بالأمر وأعرف ردة فعلكم.

تحدث والده:

- اذا هيا اذهب واجلبهم فورا لا تتأخر اكثر من ذلك.

- لا أستطيع الآن علينا الذهاب إلى داهليا حتى أستطيع أن أستلمهم شخصيا، إنهم أتوا مع مشرف ولا يستطيع أن يتركهم لي قبل أن أذهب إلى المدرسة وأستلمهم رسمي ومعه الحق في ذلك، لذا لابد أن نذهب الآن للمدرسة وننهي الإجراءات ونعود فورا.

صاحت والدته متضايقة:

- أنتظر كل هذا؟! اجلبهم اليوم وسافروا غدا.

رد عليه زوجها قائلا:

- لا ينفع إنهم مسوؤلين الآن من المدرسة وعليه استلامهم رسمي من هناك ولا يستطيع أن يأخذهم دون الرجوع إلى المدرسة. اذهب يا بني رافقتك السلامة.

- سلام يا أبي.

أوقفه والده موضحا:

- عليك أن تبلغنا بما يجري هناك أول بأول وتطمئنا عليك، أتفهمني؟

- نعم يا أبي.

- هيا اذهب يا بني.

وغادر نور على الفور متوجها إلى أمجد وآسر وذهبوا معا إلى داهليا.

*****

جلس والد حازم مع الطبيب فأخبره:

- بالرغم إنه هيمشي بكره بس ده مش معناه إنه مفيش مستشفى في البيت هو لسه محتاج راحة وعناية كاملة في البيت لحد ما يبقى كويس خالص ويتعود كمان على الوضع الجديد بسبب الحادثة ديه اللي أثرت علي قلبه وبقى مريض قلب يعني هيغير نظام حياته تماما يهتم بصحته يلعب رياضة يتعلم يتحكم في أعصابه يعني تغيير شامل.

- الحمدلله هنعمل كل اللي هتقول بيه.

- أهم حاجه ميتعرضش الفترة الحالية لأي نوع من الضغوطات أو المشاكل، بالتأكيد هيتعرض ديه طبيعة الحياة عشان كده لازما يتعلم يتحكم في أعصابه بس في الفترة ديه محتاج ميتعرضش لأي توتر مهما كان.

- طبعا هنبعد عنه أي ضغط، أنا ما صدقت إنه بقى معايا.

- ربنا يخليهولك وخليه طبعا يستمر في المتابعة معايا.

*****

كنت جالسة أمام البيت مع أخي ووجدنا أمر غريب حدث فاذا بجارتنا ومعها طفلين ابن وابنه في عمر العاشرة والسابعة وكان الابن سيركب دراجته ويذهب لأمر

ما والابنه كانت ستخرج لأمر ما أيضا وأرادات أن تركب الدراجة مع أخيها لكنه رفض واستمرت الأم في اقناع الولد أن يركبها خلفه، وتقنع البنت أن تسير هى، لكن كل منهما تمسك برأيه فاذا بالأم تتعصب وتضرب البنت وتقول لها: أخبرتك أن تسيري لماذا لم تسمعي الكلام؟ وغادر الولد بدراجته والبنت غاردت سيرا.

هذا تصرف غير عادل إنها فضلت الولد عن البنت في تصرف واضح للغاية هل تعلم ماذا سيفعل هذا التصرف في نفس ابنتها؟ كيف يكون أثره عليها؟ ما زالوا هناك الكثير يفرقون في المعاملة بين الولد والبنت، لو يعلموا أن من لديه بنت امتلك قطعة من الجنة على الأرض البنت جوهرة جميلة تزين الحياة، نرى كثيرا أن من يحمل أمر الأب والأم هي ابنتهم الذين كانوا يعاملونها معاملة مختلفة عن أخاها، ولكن كيف تتحمل قلوبكم فعل هذا؟

صاح أخاها فيها قائلا:

- أنا جعان بعد اللي حصل ده يلا نأكل.

ضحكت عهد قائلة:

- ايه يا بني هو اللي بيتعب من حاجه حصلت قدامه بيروح يأكل! على كده هتتخن بسرعة.

- الواحد قرب ينفجر من اللي بيشوفوه ده.

- لا متحكيش كتير فيه عشان الضغط ميترفعش أكتر من كده يلا نأكل أحسن.

قال عمر فخورا بنفسه:

- أنا مش قولتلك نأكل من الأول مصدقتيش..

*****

رن هاتف عهد فلحقته عهد قائلة:

- أيوة يا سهام أنا اهو.

- آسفة إني مردتش عليكي لما رنيتي عليا بس مكنتش جنب الفون وكمان كنت مشغولة خالص وأول ما بقيت فاضية وشوفته رنيت علطول.

- ولا يهمك خدي نفسك، أنا بس كنت عايزة أسألك هو انتي بتكلمي سمر.

- لا ليا فترة كبيرة مكلمتهاش، ليه؟

- أصل ليا فترة برن عليها ومش بترد فقلقانه جدا عليها.

- ممكن تكون مشغولة لدرجة كبيرة مش قادرة ترد على أي حد.

- مهو ممكن بس المشكلة إن آخر مره كانت مضايقة جدا ومن وقتها مش بترد عليا.

- لا كده تقلق فعلا.

- أنا بفكر أرن على والدتها.

- لا استني شوية لو مردتش ابقي رني.

- بقول كده برضه.

- طب بقولك ايه أنا هستأذن شكلي مش هفضى اليوم ده.

- اتفضلي يلا خليكي تشتغلي شويه.

- اضحكي.. اضحكي.. ادي ميزة الصحاب بتضحكي على قفاهم.

- جدا اومال اضحك على مين.

أغلقت عهد الهاتف واتجهت لتكمل قراءة كتابها.

*****

في بيت حازم وفي غرفته حيث تمدد على السرير، كان يريد النوم وكانت بجانبه والدته فأخبرها بصوت عالي:

- ماما خليكي معايا هنا، أنا عايزك تكوني جنبي، مش هلقى حد يسندني غيرك.

تحدثت والدة ندى "سعاد أمين" حيث تمتلك عينان سودوان، وجه مستدير، محجبه، طويلة القامة، تعمل أخصائية اجتماعية:

- وتتعب ماما ليه يا حازم ندى موجود اهو وهتعمل كل اللي انت عايزه.

- أنا مش عايز غير والدتي جنبي هي اللي هتعملي كل اللي أنا عايزه ومش عايز أي حد تاني يعملي حاجه.

- بس ديه مش حد ديه مراتك.

- أنا تعبان ومش حمل مناهده من فضلكم سيبوني لوحدي محتاج أنام وخليكي جنبي يا ماما عايز أنام في حضنك.

غادرت ندى ووالدتها ومعهما والدة حازم والتي أخبرته أنها ستفعل شيئا ما وتعود إليه ثانية، وكان من الواضح عليهما أنهما تضايقا كثيرا فقالت والدة ندى متعصبة:

- بص يا حسني احنا هناخد بنتنا معانا واحنا ماشين دلوقتي.

ثم نظرت إلى ندى آمره:

- يلا قومي هاتي هدومك ولو أقولك هتمشي معانا دلوقتي ولما يكون مش موجود في البيت نيجي ناخد حاجتك ونمشي عشان مش نزعجه إنه يشوف وشنا.

اتجهت نحو حسني قائلة بعصبية شديدة:

- انت لسه قاعد لحد دلوقتي يلا هنقوم نمشي من هنا مش هنقعد فيه دقيقة واحدة.

قال حسني مستغربا:

- فيه ايه؟

تدخل والد حازم مهدئا:

- اهدي يا سعاد ايه اللي حصل؟ احنا مش فاهمين حاجه.

أجابته سعاد قائلة:

- اسأل نعمه، قولها ايه اللي حصل؟

قالت نعمه موضحه:

- حاجه عادية وهما مكبرنها، حازم عايزني أقعد معاه هنا أخلي بالي منه ومش عايز حد يعمله حاجه غيري أنا؟ فيها ايه؟

نظر بهجت إلى سعاد قائلا:

- وديه فيها ايه؟ هو عايز والدته جنبه مفيهاش مشكلة ثم كفاية خناق أنا مش عايز أعرضه لأي توتر، ووطوا صوتكوا عشان ميسمعش حاجه، اعقلوا شوية ومتمسكوش على الواحدة.

ألجم الأمر وجعلهم صامتين ودخل لابنه يرتاح بوجوده ويطمئن به، أما البقية جلسوا جميعا بالخارج يتحدثون في أي موضوع يخطر على بالهم.

*****

" فتيلة تأنسها فتيلة تصادقهما فتيلة ترأسهما فتيلة هكذا بداية تكوين الكارثة وننتظر الختام.. "

(9)

انذار ببركان

من قال أن النوم يأتي مسرعا؟ فعلي أن أقوم بطقوس معينه حتى أشعر بالراحة أو أفقد وعيي من الخوف فأنام، هناك أمورا منذ الطفولة تستمر معنا مع كبر عمرنا، تستمر ولا تضع بالا أو اعتبارا لعمرنا، تلاصقنا دائما، كنت أخاف النوم وأنا على حافة السرير علي أن أتوسطه حتى لا يأتي العفريت ويخرج من أسفل السرير يرجفني ولا يهنأ لي بال حتى أبتعد عن حافته، علي أيضا أن لا أنام ووجهي للحائط لابد أن أنام وظهري للحائط حتى لا يفزعني العفريت، علي أيضا أن لا أخرج قدمي من تحت الغطاء الا سيسحبها العفريت ولن ألقاها ثانية، وعلي أن أغطي وجهي جيدا حتى لا ينظر إليه، وأتدثر جيدا فالرعب يتملكني ولا يتركني الا بعد أن أقوم بهذه العادات، نسيت أيضا أنني لا أنام وفوقي المروحة حتى لا تقع فوقي وتقطعني أشلاء وتتناثر دمي في أرجاء الغرفة، وقبل أن أنام لا أنظر إلى الجدران حتى لا أبدأ بتخيل أجساد أشخاص أو حيونات أو أي كان، علي أن أحمي نفسي جيدا قبل النوم، طفولة بريئة تستمر معنا إلى الكبر، نقصها والابتسامه تعلو وجوههنا، ونضحك على أنفسنا أننا ما زلنا نخاف منها.

الآن فكرت في كل هذا وعلي أن أنام، لماذا تفكري بها يا عهد؟ فلتنامي بهدوء، أنتي لم تعدي صغيره يا عهد، لكن أنا خاطئة في هذا، في كل شخص منا صغير مختفي هناك، طفولة مرت من هنا، وحينما نتذكرها نضحك بشدة ونتمني أيضا أن نعود إلى الصغر، هذا حلم الجميع، ألم تنامي يا عهد إلى الآن؟ لا تزعجي نفسك ستنامي فاقدة وعيك من كثرة التفكير.

نعم سأنام فاقدة الوعي، يا ويلاه... ها هي الذكريات أتت... يا ليتني نمت مبكرا قبل أن تأتي، لن تأتي الطفولة وحدها، لن أضحك فقط فعلي أن أبكي أيضا، تهاجمني

قبل النوم تهاجمني كفريسة ليس لها سلاح وتنهش في بلا رحمه وتستمر في تأكل روحي.

بداخل عقلك أسوار من الذكريات حفرت منذ وصولك للحياة، بعضها تتمنى نسيانها، والبعض تتمسك بها تتمنى تكرار حدوثها بلا ملل أو كلل، والبعض الآخر عندما ترجع للوراء تنظر وكأنك تريد قطع الصفحات تريد محوها من شريط حياتك، لكن لنتخيل سويا أننا بلا ذكريات، حينئذ لا نتألم بجروح الماضى، لا نتأوه من خنجر حاد غرز بكل وحشية، لا نتحسر على شئ ضاع أو عزيز غائب، سنسعد حينها.

لكن فى الجهة الأخرى سنخسر شيئا آخر، شيئا جميل مثل أول طمأنينة، أول نجاح، أول انجاز، لحظات تميزنا كانسان، حينها سنصبح أناس بلا روح، سنخسر ماضينا وماضينا هو من يصنعنا، هو من يصنع مستقبلنا، اذا لا ماضي لا حاضر لا مستقبل، فهل حقا سنقبل نسيان قبح الدنيا على أن نقبل نسيان خيرها؟

*****

كان عمر صامتا يجلس وحيدا وبيديه كتابه ومنشغل تماما في المذاكرة وفي نفس الوقت كانت عهد تسير بخفه على أقدامها حتى وصلت إليه ثم فجأته بصوت مرتفع:

- انت بتعمل ايه؟

هب فزعا من مكانه يجيب كالتلميذ:

- بذاااكر... مش بلعب حتى اهو الكتاب...

ضحكت عهد كثيرا ونظرعمر إليها نظرة توعد سأفعلها بكي لا تقلقي:

- بكره عايزة أروح معرض الكتاب وعايزاك تيجي معايا.

- لا...

- ليه؟

- عشان لما بتدخلي يا عهد المعرض مش بنخرج منه قبل ساعتين، تقوليلي أنا مختاره الكتب هدخل أجيبها ونطلع علطول أدخل ألقاكي بتفتحي كل كتاب ورواية وتقرأي النبذه ديه واللي جوه الكتاب كمان، معرض طويل عريض شوفي انتي لما تمسكي كل كتاب تقريه كده احنا عايزين كرسي يا عهد.

- أنا مش معايا فلوس كتير فهجيب كتابين بس يعني مش هنطول..

- دول نفس الجملتين اللي بسمعهم منك كل سنه، أنا مش معايا فلوس كتير فهجيب كتابين بس وبتروحي قبل ما تتطلعي من البيت بدقايق تاخدي من ماما سعر كتابين وتاخدي مني أنا هناك في المعرض سعر أربع كتب، كده هتجيبي 8 كتب مش كتابين.

- انت عصبي ليه؟

- أنا مش عصبي، مين قالك إني أنا عصبي؟ أنا مش عصبي.. أنا حتى هادي اهو..

وجلس سريعا صامت وهادئ كأنه لم يكن يصيح منذ ثانية فضحكت عهد كثيرا...

- عمر...

- يا عهد انتي بتتأخري كتير هناك..

- يعني ديه موافقة....

كان هذا الحوار يقم كل مره وينتهي بقبوله.

*****

جلس الجميع بالصالة وبدأ الحديث عمه حسني قائلا ناظرا لنادر:

- انت ازاي تعمل كده؟ ازاي تطلع الراجل برئ ده لازما ياخد عقابه عن اللي عمله.

أجابه نادر:

- اللي حصل كان غصب عنه هو مش ذنبه حاجه.

- ازاي غصب عنه؟ ده خبطك وهو السبب في اللي حصلك وكمان تساعده في تصليح عربيته.

- أنا اللي غلطان أنا اللي كنت سرحان ومش واخد بالي من الطريق.

- لا انت غلطان مين اللي خبط مين أصلا؟

- يا عمي ازاي يتعاقب على حاجه ملوش ذنب فيها.

هنا تدخل والد نادر منهيا الأمر:

- خلاص كفاية يا حسني عايزين نضحك شوية لينا فترة مفرحناش.

غضب أخاه عليه قائلا:

- وانت كمان ازاي وافقته إنه يعمل كده؟

- يعني هعمل ايه؟ هضربه ولا همنعه ده راجل وعارف بيعمل ايه بالظبط، ثم ما دام قالك إنه مش غلطته وإن هو السبب مكنش مركز في الطريق يبقى معاه حق والراجل المفروض يطلع وكمان عربيته تتصلح.

نظر إلى نادر سائلا:

- وانت مكنتش مركز في الطريق ليه؟

صاح بهجت بنفاذ صبر قائلا:

- كفايه يا حسنى عايزين نضحك.

قامت والدة نادر من مكانها حتى تصمت أخ زوجها كأنه لا يعلم أن علينا ألا نعرض نادر لأي ضغط أو توتر وقالت لندى أن تأتي معها إلى المطبخ ومن ثم أتوا مرة ثانية حاملين الطعام فأسرعت والدة ندى تخبرها بصوت مرتفع:

- ريهام أكلي جوزك.

تركها نادر تأكله لم يكن يرغب أن يدخل في أي مشاكل أو خلافات الآن وهو مريض، فخاطبته والدتها:

- كويس انك وافقت إنها تأكلك ومخلتش مامتك تأكلك هي.

- ولما أخلي أمي تأكلني فيها ايه؟ بدلع على أمي شوية، ثم لو لقدر الله لو ندى تعبت هتطلب منك إنك تقعدي معاها يعني فين المشكلة؟

هنا صاح والده قائلا:

- زي ما قولت فيها ايه؟ بيدلع وعايز والدته مفيهاش حاجه انتي اللي زعلتي وعملتي فيها مشكلة.

توجه نادر بالحديث إلى ندى سائلا:

- قوليلي ساكتة ليه؟

أجابت ندى بهدوء:

- كل اللي هنا هما اللي مسكتني مع إني نفسي أتكلم.

- ازاي؟ مش فاهم.

صاح والد نادر قائلا بنظره توحي أن تصمت:

- ندى...

توجه نادر لها هادئ:

- باين عايزة تقولي حاجه قوليها فيه ايه؟

- أيوة وهما مسكتيني.

- وأنا اللي بقولك قولي أنا سامعك.

- أنا عايزة أطلق أنا مش هقدر أعيش معاك أنا لسه صغيرة مش هدفن عمري مع شخص مريض وده هيكون مجهود أكتر هبذله.

تدخل والد نادر قائلا:

- احنا قولنا ايه؟ بلاش كلام في الموضوع ده دلوقتي وعيب اللي انتي بتقوليه.

- عيب ايه يا عمي ديه حياتي اللي بنتكلم فيها.

تحدث نادر إليها:

- يعني مش هتكملي معايا مش هتقفي جنبي في محنتي حتى اصبري لم أقدر أقف على رجلي يدوب عدوا اسبوعين.

- لو انت مكاني كنت هتعمل نفس اللي عملته مكنتش هترضى تعيش معايا وخصوصا إنه كان هيبقى موضوع الحمل صعب وتتجوز غيري.

- مش لما تكوني عايزة تخلفي مني الأول.

- انت بتقول ايه؟

- عاملة نفسك مش فاهمه، انتي عارفة أنا بتكلم عن ايه بالظبط.

- قصدك ايه بالكلام ده؟

- كفايه بقا غش وخداع انتي لسه بتدعي البراءة والطيبة، أنا عارف كل حاجه، اومال أنا عملت حادثة ازاي؟ كنت سايق وأنا مصدوم ومنهار بسببك.

- انت أكيد المرض أثر على عقلك؟

- لا يا أستاذه أنا معايا دليل، انتي بتاخدي حبوب منع الحمل عشان متحمليش مني، نستيه على الدرج الكوميدينوا وأنا كنت يلا جاي من بره، صورته وعرفت أنه بيتاخد لمنع الحمل بس عشان أتأكد أكتر لانك ممكن تكوني بتوريني عشان تجنيني أو أي سبب تاني وده ميقلش عن انك بتاخديه عشان تمنعي الحمل ده ألعن، حطتلك مخدر في الأكل في اليوم اللي عملت فيه حادثة وجبتلك أكل من بره وأخدت عينة من دمك وحللتها وأكده انك بتاخدي حبوب منع الحمل، كنت مصدوم لدرجة كبيرة مش عايزة تعيش معايا، كنت سايق وأنا دماغي مش فيا مكنتش حاسس بنفسي غير وأنا بصرخ من ألم الخبطة.

نظر إلى عمه يخبره:

- عرفت ليه السواق ملهوش ذنب وإن ديه غلطتي أنا، أنا الي مكنتش مركز للطريق وإنه مش ذنبه حاجه.

صاحت ندى قائلة:

- أنا مش عايزة أعيش معاك، أنا مش طايقاك.

- وأنا هعمل اللي انتي عايزاه أنا متمناش أفضل معاكي، انتي طالق.

صاح والده:

- ليه كده يا بني؟ اتسرعت كده ليه؟

- اتسرعت ده أنا متأخر جدا كل اللي يهمكم إننا نتجوز ونكمل في الجوازة ديه بس خلاص احنا مش منسجمين مع بعض يبقى كفاية لحد كده أنا عملت كل اللي أقدر عليه إن الجوازة تستمر بس هي عملت كل اللي تقدر عليه إنها تنهيها.

ثم نظر إلى ندى يخبرها:

- حقوقك كلها هتاخديها مع انك مش تستهليها.

صاح والده يهديه:

- اهدى الأول أنا عارف إنها غلطت بس...

هنا قاطعه نادر يخبره:

- غلطت! حضرتك بتطلب مني ايه؟ إني أستمر وأنسى، أنسى ايه؟ أنسى إنها كانت بتعمل كل اللي تقدر عليه إنها تنهي العلاقة ولا أنسى إنها مش عايزة تحمل مني ولا أنسى إنها سبتني في محنتي، مفيش حد يستنى بعد ده كله ومفيش حد يستنى مع واحدة مش عايزة تعيش معاه، أنا أستاهل الأفضل وأستحق أحسن من كده.

صاح والد نادر يخبر الجميع:

- خلاص كفاية كلام لحد كده ونتكلم بعدين.

صاح أخاه غاضبا:

- لا مفيش بعدين لإن مفيش كلام يتقال أصلا وحقوقها كلها توصل في أسرع وقت.

- انت بتقول ايه يا حسني؟ احنا الكبار ولو صغيرين غلطوا احنا نصحح.

- انت مش شايف عمايل ابنك.

- هو بس زعلان دلوقتي ولما يهدأ هتصلح كل حاجه.

قال نادر وقد بدأ عليه آثار التعب:

- لا هي كده الأمور اتصلحت والطلاق أفضل لينا.

بدأ يزداد على نادر التعب والارهاق فقام من مكانه ودخل غرفة من الغرف فأسرع والده يسنده وساعده للوصول إلى السرير فأخبره:

- انت غلطت يا نادر، على العموم مش هنتكلم في حاجه دلوقتي الا لما تخف أكتر.

- هو مفيش كلام يتقال لإن أهم حاجه راحتي وسلامتي.

كانت ندى ووالدتها يجهزان حقائبها وتأخذ كل ما يخصها ووالدها بالخارج غاضبا وأخاه يحاول أن يأخذ بخاطره بينما والدة نادر تجلس مع نادر الذي كان نائما يريح نفسه بعد الارهاق الذي تملك منه.

*****

عاد نور إلى الكافتيرة التي جلسا فيها أمجد آسر، ومن دون ضياع للوقت سافرا إلى داهليا حتى يستطيع نور أن يأخذهما ليعيشا معاً وأثناء تجهيز أمجد وآسر لأغراضهما التي تكون الكثير فمن الواضح أن هذا الأمر سوف يسلبهما وقت كثير بينما ذهب نور إلى مدير المدرسة، والذى رحب بيه ترحيب حار وكانت الإجراءات سهلة وخصوصاً بعد تلقيه مكالمة من لونا، فقال:

- اعتبر ما سأقوله الآن نصيحة من أخ لك ولك حرية الاختيار فى تصرفك.

- بالفعل، تفضل.

- أمجد وآسر لهما معزة خاصة في قلبي ربما لتفوقهما المستمر سواء على المستوى التعليمي أو الرياضي أو الفني، إنهم فاقوا المستحيل برغم إنهم كانوا بلا أب أو أم، ربما بسبب أخلاقهم وطيبتهم وعلاقتهم ببعض أو ربما خليط من كل هذا.

إنهم عانا الكثير طوال السنوات الماضية، شعور أنك بلا أب يحميك يدافع عنك، يسندك، يطمئنك، يفرح لك تكون بالنسبة له كل حياته كشجرة احترقت جذوروها، كبيت بلا أساس، شعورك بلا أم كليلة شتاء قارس بلا غطاء، كوردة ذبُلت عند انقطاع الماء عنها.

مهما فعلنا لنعوض هذا الشعور لهما بفقدانهم الأب والأم لن نستطيع تعويضه، حقيقة أنا لا أعرف كيف عاشوا بهذا الشعور؟ كيف يتفوقوا ويتميزوا عن غيرهم ويجعلا من حياتهما معنى؟! كل ما أستطيع قوله أنك شخص يحبك الله كثيراً ويرضى عنك

حيث وهبك هذه الهدية أنك تمتلك المحبة والقوة بين يديك، وهذا سيجعل لحياتك أكثر معنى، وبهجة فاحرص عليهما جيداً، وعوضهما ما فقداه هذا كل ما عندي.

- يبدوا أن الله بالفعل يحبني، سأضحى بحياتي من أجلهما إنهما روحى الآن، وسأحاول أن أسعدهما، لقد كنت أنتظرهم، انتظرتهم كثيراً وها قد وصلوا كما تمنيت ولن أفقدهما ثانية.

*****

وفي الصالة اجتمع والد نور مع ابنه يدعى أيان كان ذات ملامح هادئة، متخن قليلا، طويل القامة، عينان سودوان، وشعر أسود وصاح متفاجئاً:

- ماذا؟

رد والده بهدوء:

- ماذا؟ أتريدني أن أعيد ما قولته من جديد؟

- لا ولكن هذا الأمر لا أستطيع تخيله! نور تزوج بدون اخبارنا وأيضا لديه ابنان.. وهو أيضا لم يكن يعرف!

- نعم، الحكاية برمتها في جنون تام يا أيان.

- والآن أين هو؟ وماذا سيفعل؟

- ماذا تقول؟ سؤالك غير منطقي.. سيأخذ أولاده تحت كنفه، نور تمنى دائما أن يكون أب، ولكنه لم يستطع اختيار زوجته، وحين اختارها كانت الأسوأ، أحياناً من فرط خوفنا أن نختار الخطأ يصبح اختيارنا هو الأسوأ.. ولكن هذا في الماضي، دعنا منه، ولا نريد فتحه من جديد، ولننظر أمامنا، الأولاد سيأتون في أي لحظة وعليكم أن تهيأوا أنفسكم لأفراد جدد في العائلة، هل هذا باستطاعتكم؟

- نعم يا أبي إنهم من العائلة، إنهم أبناء نور كيف لا نحبهم؟ كل ما في الأمر مجرد وقت حتى نتكيف مع بعض.

- بالفعل حتى هما أيضا كذلك، دع الوقت يلئم الجروح يا بني.. دع الوقت يجمع الوصال..

عليك أن تبلغ الباقي، أنا لم أرد أن أعطلكم جميعاً فجأة، ولكن عليكم أن تعرفوا وتستعدوا، أتفهمني؟

- نعم، يا أبي لا تقلق سأخبرهم جميعا.

سأذهب الآن أتريدني في شئ آخر؟

- لا يا بنى، اذهب..

*****

كانت مريم جالسة على مكتبها تستخدم الكومبيوتر، ففاجئها عمر قائلاً:

- مسكتك.

- خضتني.. ليه كده؟

- بحب أخضك، يعني هخض مين غير أختي؟ أروح أجيب حد من الشارع أخضه يعني، ما أنا معايا أخت زي القمر اهو أطلع عليها جناني.

- كويس انك معترف انك مجنون. أتمنى انك تكون مبسوط.

- جدا، بتعملي ايه؟

- بعمل CV علشان رايحة أقدم في مدرسة.

- انتي عمرك ما هتفقدي الأمل؟ ده الإنترفيوا التاسع اللي هتعمليه!

- وأفقده ليه؟ اسعي يا عبد وأنا اسعي معاك.

- كنت عايز أتكلم معاكي في موضوع.

- اممم، شكله خطير.

- هو انتي حبيتي؟ أو بتحبي حد؟

- سؤال مفاجئ! ليه بتقول كده؟

- عادي بندردش مع بعض؟

- لا مبحبش حد ولا حبيت حد.

- فعلا!

- انت مستغرب كده ليه؟ ده انت أول واحد المفروض متستغربش.

- ليه بتقولي كده؟

- يعني مش شايف حواليك اللي بيحصل!

البركة في أبوك، يخليك تكره صنف الرجالة كلهم.

- أيوة بس مش كلهم زي أبوكي.

- أيوة، بس أنا اتعقدت.

- يعني ايه؟ مش هتتجوزي؟

- أيوة.

- يا بنتي ...

- بص يا عمر أتجوز ليه؟ قولي؟ عشان أدور على فردة شراب كحلي للراجل مش عارف يجيبها بنفسه؟ ولا أجيب واحد ينكد عليا ويسقيني المر كل يوم، واحتمال كبير يضربني.

- مش كلهم زي بعض.

-عارفة بس ازاي هختار؟ هما بيكدبوا علينا في فترة الخطوبة، ويكونوا عاملين زي الحمام، وهما في الأصل مش بني ادمين.

ولا أتجوز عشان أشيل مسؤولية واحد مش عارف يشيل مسؤولية نفسه، واعمله الأكل، وأغسله هدومه، وأنضفله مكانه، في الأول أمه وأخته كانوا هما اللي قايمين بالعمل ده، وكان بيعتمد عليهم، ودلوقتي هيعتمد عليا، يعني بيفضل طول عمره بيعتمد على غيره، لا وكمان بيحقر من المرأة، وإن مكانتها إنها تشيل الزباله طب ما انت اللي عامل الزباله ديه، انت فاهم بتفكر ازاي؟

- عهد.. عهد.. عهد..

- ايه؟ في ايه؟

- روحتي فين؟ سرحتي مني مره واحدة.

- افتكرت واحد في العربية كان بيتكلم عن زوجته بطريقة وحشة.

- ازاي؟

- بص واحد ركب في العربية ومعاه بوكيه ورد جميل جدا وشكله غالي، الراجل كمان سنه كبير يعني في الأربعينات ودول سببين خلوا العربية كلها تسأله من فين الورد وبقى عندهم حس فضولي لمين بس الراجل قالهم على مكان المحل وقال كمان هو هدية لمراته بما انها قاعدة في البيت ومهتمه بيه وبيته من كل حاجه فحب يهديها ويفرحها شوية، ومره واحدة راجل يتكلم ويقول اومال أنا متجوزها ليه؟ مش عشان

تطبخ وتغسل وتنضف اجبلها ليه ورد وكلام فاضي ليه؟ ده لو فتحت بوقها تعترض أدفنها في مكانها.

تحدث عمر متضايقا:

- ايه الناس ديه؟ طب كلمة حلوة تتقالها تروق عنها الدنيا.

وضحت عهد قائلة:

- مفيش مشكلة إنها تنضف وتطبخ وتغسل اديها بتساعدك بس على الأقل كلمة حلوة تحسسها بمكانتها عندك انك بتشكرها.

- ربنا يحسن الحال.

- وانت بقا؟

- لا أنا برنس في نفسي أووى، ولا بعبر حد ولا حد معبرني.

- ربنا يحميك لشبابك يا بني، بخر نفسك.

*****

كانت عهد نائمة عندما رن الهاتف واستيقظت فزعه وعندما ردت تهافت الصوت المقابل مسرعا بصوت باكيا:

- الحقيني بابا عايز يجوزني..

- ايه؟!

في هذه اللحظة استيقظت جميع حواسها على هذا الخبر الصاعق:

- عايز يجوزني ابن عمي وأنا مش عايزاه.

- طب هو عارف برأيك ده؟

- أيوة عارف، أنا عايزة أكمل تعليمي أنا لسه في سنه تانية جامعة مش عايزة اتجوز دلوقتي.

- طب وعمك وابنه ده عارفين برأيك؟

- أيوة عارفين.

- يا سلام!

- مش عايزيني اكمل تعليمي، أنا أصلا مش عايزة اتجوزه.

- طب ووالدتك رأيها ايه؟

- والدتي بتحاول تقنعه بس هو مش راضي.

- خير خير تقلقيش انتوا بس حاولوا معاه.

- أنا مش عارفة أعمل ايه؟

- ولا أنا عارفة أقولك ايه؟

- أعمل ايه؟

- قولي يارب يا يارا...

*****

ذهبت عهد للنوم مرة آخرى لكن هيهات لقد تبعثر ولن تجديه الآن فنهضت من على السرير وجلست فوق المكتب وأخذت بورقة وقلم وبدأت بالكتابة:

هذه جريمة آخرى ترتكب في حق الفتيات ما زلنا في العصر الجاهلي لكنهم كانوا أرحم بكثير نعم كانوا يودون الفتاة حية تحت الرمال فور ولادتها أما اليوم فلا يودوها تحت الرمال اليوم يدفنوها تحت الرمال بوجود فتحة صغيرة تسرب الأكسجين إليها لكي تتنفس.

تصبح الفتيات أحياء أموات، مسلوبين الإرادة، يستعبدوهم ويفعلون بهم ما شاؤوا، يعيشون على فرحتهم هم وليست لأنفسهم، ستنفذ الفتاة الأوامر بدون نقاش ولو حاولتي أن تفكري في الاعتراض سيكون القتل مصيرك، وإن كنتي ستجلبين المشاكل فالقتل أيضا سيكون من نصيبك، يا فتاة الفرحة لن تعرف دربك، والراحة ليست لك، والحرية ليست نهجك.

نادوا بحريتها بتقديرها بتكريمها لكن ما زالت إلى الآن آله تنفذ كل الأوامر بدون تفكير، ما زالت تُعامل على أنها برده تضُع في أي مكان، منزوعة الرأي، والاحتقار عنوانها.

لنتخيل سويا أن تربى الفتاة تحت كنفهم جيدا تربى على ذرع الثقة في نفسها، أن تتعلم الاعتماد على نفسها، أن تمتلك طموحها الخاص بها، فالحياة أصبحت غير آمنة عليها أن تأمن نفسها جيدا لمواجهة صعوبات الحياة، لا أن تقتل حية.

"بؤرة عار"

رفرافة ضفائرها
تتراقص أمام عتبة بيت

بمرونة وخيلاء
حسناء تخجل الأرض منها

صبية لم تكن تثيرها الدنيا

كحجم إبرة لم توجد

وفي ليلة غبراء
أصبحت فتاة

وفوجئت بأيادي
من كل حدب صوب

حطمي الألعاب، واحرقي
الضفائر، واكتمي الفتاة

ألعنك وألعنك
لم أطلب أن أغدوا فتاة

فبسببك أصبحت
سجينة الجدران

وكيف أكتم أني فتاة؟
هذه خلقتي اسالوا الله...

أصبحت بؤرة عار..
مهددة بالانفجار.. وبقيت

على حافة الخيذران..

ألعابي حطمت،
وأحلامي طمست

وأصبح الخلاص هو الزواج

أصبحت سلعة
يقلبها الشاري كما شاء

وأصبح جسدي معرض
للقاسي والداني

توقفوا توقفوا
أني أريد الحياة

تمهلوا تريسوا
هذه روحي هى ما تدفن

الزواج هو الخلاص
فأنتي بؤرة عار

سنوات نادوا بي، وأني الكمال
كاذبون أنتم وألعنكم جميعا

وألعن نفسي أنى فتاة
حولتم ليلة عرسي

لليلة جنازتي

شوهتوا أنوثتي، وسلبتم هويتي
ودفنتم روحي إرضاء لمرضكم

وخوفا من سلب هويتكم

دهورا لم أزد عن جسد تشتهوه
وماعونا يحمل هويتكم

فتبا لكم أجمعين
وتبأ للفتاة

جريمتي أنني أنثى
بؤرة عار

وتركت القلم على المكتب بعد آخر حرف من القصيدة وذهبت لتكمل نومها فعليها أن تستقيظ لتكمل مذاكرتها.

*****

صاح وائل مندهشا:

- طلقتها؟

أجابه حازم بهدوء:

- أيوة أخيرا فكيت من القيود اللي كانت بتخنقني.

- وأهلك وأهلها وافقوا على كده؟

- لا طبعا هما ما زالوا عايزين الجوازة تستمر.

- معقول مغيروش رأيهم خالص!

- بص أنا حرفيا تعبت ومحدش حاسس بيا وجبت آخري وكل واحد فيهم عايش مرتاح ومبسوط وأنا الوحيد المتضرر بينهم وأنا لسه صغير إني أعيش باقي عمري في النكد ده أنا هعمل اللي ريح صحتي وأهم حاجه سلامتي.

- ناوي تعملي ايه دلوقتي؟

- ولا حاجه لسه مفكرتش في أي حاجه.

- حصل خناقات أثناء الطلاق؟

- لا أنا عطتها حقها كله وبسرعة جدا في نفس الأسبوع مع إني كنت تعبان بس عشان أخلص من كلامهم نهائي.

- وأهلها بيكلموك دلوقتي؟

- لا ومش عايز كلامهم.

- وأهلك؟

- بيكلموني بس حاسس إن لسه فيه عاصفة لسه هتبدأ، والدي معملش أي رد فعل لحد دلوقتي، هو بس عايزني أخف دلوقتي ومانع أي توتر أو ضغط يقربلي.

- ما دام كده يبقى أبشر يا معلم هتشوف أيام سوده...

ضحك الاثنان فأخبره حازم:

- ده من الواضح فعلا إني هشوف.

- هترجع الشغل امتى؟

- لسه مش دلوقتي يدوب قدرت أقف وأسند نفسي، أكمل العلاج وأرجع تاني، أنا بدأت أتحسن عن الأول وبعدت نفسي عن الخلافات اللي حصلت الأيام اللي فاتت ودلوقتي بحاول أتعلم إني أمسك أعصابي.

- ناوي تتجوز تاني؟

- يا بني أنا لسه مطلق وعايز أشم نفسي من اللي شوفته معاها ده أنا أخدت افراج وعايز فرح.

- كفاره يا راجل..

*****

" احذر أن تتغير مما تلاقيه من حولك.. عليك بالمحافظة على نفسك جيدا خوفا من أن لا تعرفها بعد ذلك.. "

(10)

كوكب

في تمام الساعة الواحدة صباحا، كانت سيارة سوداء جيب تدخل من أمام منزل وحارس البوابة يمسك بسماعة الهاتف ويرن على الشقة الثالثة فى الدور الثالث ويبلغه بوصول السيد نور ومعه ولدان، وبعدها بدقائق يفتح باب الشقة الثانية في الدور الثاني، فيضع نور المفتاح على الطاولة، وينادي:

- عم صالح.. عم صالح..

تفضلوا يا أولاد.. تفضلوا..

جاء عم صالح مهللا:

- نعم يا سيدي، حمداً لله على وصولك بالسلامة.

- مرحبا يا عم صالح، جهز ساندوتشات لي وللأولاد الآن.

- دقائق وتكون جاهزة.

أشار نور إلى أمجد وآسر وقال:

- لتأتوا معي، هذا هو الحمام، خذوا حمامكوا، ومن ثم بعدها نأكل، وننام حتى نرتاح من مجهود السفر وغدا نجلس سويا ونقابل العائلة.

بالطبع لا يوجد أسرة لنا كلنا لأني أعيش بمفردي هنا لذلك سننام معا في غرفتي، وغدا نبدأ في تجهيزات غرفة ونشتري كل لوازمنا، أموافقون؟

أيما الفتيان بالموافقة، ومن ثم ذهب نور لوالده وطمئنه على أنفسهم وأن غدا بعد الفطار سيأتي بهم إلى هنا وعاد ثانية لبيته، وأكلوا وناموا واستيقظوا على الساعة الثامنة صباحا وأخذوا فطورهم، وطلعوا لجدهم وجدتهم لأول مره.

خفقات قلبه زادت فالأحفاد أعزاء وخصوصا إن كانوا من الإبن الأكبر، كم تمنى أن يحضن أبناء نور لقد يأس من أن يرى له ذرية وها هي اللحظة التي تمناها دوما تتحقق أمامه لم يعرف ماذا يقول؟ مشاعره مبعثرة لا يدري ماذا يتصرف؟ غير أنه احتضنهم في صمت لم يتفوه بكلمه ودعى الحضن ينطق هو بكل ما يدور في ثنايا القلب وما أبلغ القول حين يفهم من الشعور، وبدأ الحديث قائلا:

- هل جهزت غرفتهم يا نور أم ليس بعد؟

- اليوم يا أبي سنبدأ في التجهيزات، كنت سأنزل بعد ساعة أو ساعتين لكي أتفق مع العمال الذين يجهزون الغرفة ويلونوها في أقل وقت، وأحضر مستلزمات الغرفة.

فصاح أمجد قائلا:

- ولماذا يا أبي تحضر أشخاصا يقوموا بتجهيز الغرفة ونحن موجودون؟ أنا وآسر نستطيع أن نفعلها وفي وقت أقل بكثير منهم.

"أبي" لقد وقعت هذه الكلمة كالصاعقة في نفسه لا بل ليست كلمة إنها نجمة أرادها ولم يكن أمسكها بعد وها هو يتلقفها ويتنعم بها أخيرا، لقد سقطت في نفسه كسقوط المطر بعد انقطاعه لمدة وكانت الأرض قد جفت فهينئا لقد تذوقها، أدرك نفسه فورا حتى لا ينتبهوا وجارهم في الحديث.

لم يكن يعلم أنه كان يوجد صراع في داخلهما لنطقها، لم يكونوا تعلموا بعد نطقها، كانوا خجولين لنطقهما، ما زالوا عليهما السير في طريق واحد، أن يتحدا أكثر وأكثر، إنها حقا معركة صعبة وعلى الثلاثة أن ينتظرا وقت ليس بكثير.

قال نور مكملا:

- أتعرفون كيف تجهزونها؟ ولكن لما تتعبون أنفسكم؟

تدخل آسر:

- إننا نستطيع تجهيزها، كلنا ننزل ونأتي بالألوان وكل مستلزمات الغرفة التي تحتاجها ونشتري الأسرة سنكون معا في شراء كل شئ، توجد متعة رهيبه عندما تفعل شئ بنفسك، انجاز ولو صغير.

- مثلما ما تريدون...

*****

صاح حازم به بعد ضحكاتهم المرتفعة:

- قوم يا بني شوف الأكل اللي قرب يتحرق ده أنا جوعت.

- انت ليه مش واثق فيا؟ ده أنا هأكلك أكل عمرك ما أكلته.

- آه أنا متخيل من غير متقول.

- مش هرد عليك.. أكلي هو اللي هيرد...

أثناء ضحكاتهم رن جرس الباب وأسرع وائل يفتح فصاح:

- عمي أخبارك ايه؟

حياه والد حازم أثناء دخوله ورحب به ابنه قائلا:

- فيه مقولة بتقول "حماتك بتحبك" وائل طابخ أكل انهارده ربنا يستر علينا منه.

رد وائل مازحا:

- شوفت يا عمي عمال يتريق على أكلي ازاي؟

أنصفه عمه بهدوء:

- قوله لو مش عجبك يقوم يطبخ هو.

لاحظوا الأثنين أنه متضايق وملامحه توحي بأخبار ليست جيدة فاستاذنه وائل منهيا الحديث:

- عندك حق ويوريني أكله. بعد اذنك هدخل المطبخ أشوف الأكل وصل فين.

- اتفضل.

بدأ حازم الحديث مفكرا لسبب تضايق والده:

- وائل هيقعد معايا في الشقة يسليني ويعمل صوت في البيت وكمان بدل ما يروح كل يوم بيتهم وهو بعيد ومواصلات كتير.

- كويس اللي عملتوه.

- مالك يا بابا فيه حاجه مضايقاك.

- بص يا بني أنا كنت ساكت الأيام اللي فاتت عشان صحتك وراحتك أنا كنت خلاص هفقدك ويعلم ربنا أنا كنت فين وحالتي كانت ازاي؟

- أنا عارف يا بابا انك بتحبني أكتر من نفسك مش محتاج تقولي.

- ومرضتش أتكلم في اللي انت عملته عشان صحتك بس أنا مش قادر أسكت أكتر من كده، اللي عملته أكبر غلط، طلقتها وده كان غلط.

- عشان تصدقوا إني مش عايزها.

صاح والده غاضبا:

- مش انت اللي بتحدد عايز مين؟

رد حازم موضحا:

- لا، ديه حياتي أنا، أنا حر، أنا اللي هتجوز مش حضرتك ومن حقي أختار اللي أنا عايزه.

تحدث والده وهو في أوج غضبه:

- لا مش حر، انت من غيري مكنتش جيت الدنيا ديه، صرفت عليك من لحمي ودمي؟ حوشت اللقمة من بوقي وعطتهالك من غير ذرة ندم كنت بديهالك بابتسامه كبيرة بقلب صادق، حميتك من الدنيا لحد كبرت وبقيت راجل، سهرت عليك لما كنت بتتعب، تعبت وحفيت علشان أعيشك عيشة كريمة، وفي الآخر تعصيني وتخرج عن طوعي، انت وكل ما تملك ملكي.

- بالرغم من.....

كان حازم سيتحدث لولا أن والده قاطعه آمرا:

- انت هتناقشني؟ أنا معرفتش أربي فعلا بس ملحوقة.. انت هترجعها ودلوقتي تيجي معايا نروحلهم تصالحها وترجعها.

تحدث حازم بأدب:

- لا أنا مش هرجعها ومش هصالح حد، أصالح! أصالح مين؟ أنا اللي مظلوم مش ظالم عشان أصالح.

أصر والده يأمره:

- هي كلمة واحدة هقولها يا ترجعها يا تبقى لا ابني ولا أعرفك ومتبري منك.

صدم حازم من حديثه وصمت دقيقة ثم نطق باصرار وعناد:

- لا مش هرجعها.

هنا سال الغضب على حازم كالسيل الهادج يخبره:

- يحرم عليا بيتك ولا لسانك يخاطب لساني، وانسى إن ليك أب أو أم أو عيلة لإن محدش منهم هيسمعلك كلمة أو يرد عليك.

غادر والده البيت وتركه واقفا مصدوما مما جرى، دموعه نزلت على وجهه، القلب ينبض متحسرا على حياته، إنه يختنق حيا ولا يعرف كيفية فك الحبل؟ أتاه صديقه من الداخل وقد سمع كل كلمة دارت لقد كان الصوت مرتفعا فتحدث يهدي صديقه الذي جلس باكيا والتعب والارهاق بدا عليا جليا وكان عليه أن يهديه حتى لا يتعب أكثر من ذلك.

- متفكرش في حاجه دلوقتي حاول على كد ما تقدر صحتك أهم، انت لسه تعبان برضه.

نطق حازم بعيون متعبة:

- أنا محتاج أقعد لوحدي شوية هدخل أوطتي.

- مش هتأكل أنا خلاص قربت أخلص.

- كل انت وأنا لما أصحى هأكل.

*****

دخل غرفته وعيون صديقه معلقة به وجلس يحدث نفسه مهموما:

كيف يفعل بي ذلك؟ أنا لم أطلب منه غير السلام لا أريد العيش معها إنها حياتي ولي الحق في اختيار زوجتي، كيف يتحكم بي هكذا؟ لقد أصبحت رجلا وبالتأكيد لهم علي السمع والطاعة لكنهم لم يفهموا معناهم جيدا إنهم يستخدموها أسوأ استغلال، لقد أحضرني إلى هذه الدنيا وفعل كل ما يتطلبه الأمر لكي أصبح رجلا، إنها مسؤولية عظيمة وقد نجحوا فيها ولهم الاحترام والتقدير لتحملهم كل الصعوبات

حتى ينشئوني لكنهم لم ينجبوني ليستعبدوني، عليهم أن ينشئوني جيدا حتى أصبح راشدا لكن حياتي تصنع بقراراتي واختيارتي أنا، نعم أحيانا تكون خاطئة وعليهم نصيحتي وتوقفي عنها إن كان لازما لكن هذا لا يدل أنهم على صواب دائما هم أيضا يخطئوا وأنا أيضا أخطئ وأصيب، هذه هي الدنيا نخطئ ونصيب ونتعلم من أخطائنا.

تربيتي واجب عليهم وليس لهم الحق أن يذلوني بهذا، حياتي ملك لي، إن الحب والواجب ليس للبيع والمبادلة بمعنى البيع أيضا، عليكم أن لا تمنوا علي واجبكم أو حبكم لا تفكروني وتذولني بهذا دائما، كأن حبكم وواجبكم قيد يقيدني وهذا ليس صحيح أن عليا أن أسدد دين حبكوا وواجبكوا لأجل أن أوفي حبك وكرمك بغرض المبادلة والبيع الصريح لأنه حينها سيكون حب مشروط مثل الشخص الذي يعمل وفي النهاية يأخذ أجره، هنا تصبح العلاقة ليست علاقة حب ليست علاقة ابن ووالديه لابد أن تصبح العلاقة محببة، علاقة قوية تربط بين الآباء والأبناء يجب أن يكون الشئ كحب لا كمبادلة وبيع، إن استمرار الآباء بتذكير الأبناء بمدى فضلهم عليهم يبعد المسافات بينهم أكثر وأكثر يجعل الأبناء يشعرون بالغربة داخل المنزل، يجعلهم يريدون أن يخرجوا منه بأي شكل ويصبح واجبهم اتجاه والديهم مجرد عمل منبعه ليس القلب بل تأدية عمل فقط هذه من الأخطاء الكبرى التي يقع فيه الآباء، ويقل بعد ترك الأبناء المنزل تأدية واجبهم اتجاههم ويقل حبهم لهم وتكون غلطة من بالبداية؟ غلطة الآباء...

إن المناقشة أسلوب يوطد العلاقات ويبث الثقة في الأبناء، أبي قد رفض أن أناقشة ووصفه بعصياني له والرد عليه بغير احترام، لما معظم الآباء يعتبرونه هكذا؟ إنه مفهوم عليه التصحيح عليه ان يسمعني أن ينصت إلي بكل جوانحه أن نتناقش، هذا لا يقلل من شأنه، أحيانا يجب تربية الآباء قبل الأبناء. اترك أبنائك يجربوا يتعلموا من أخطائهم أن يعتمدون على أنفسهم يثقوا بأنفسهم وعليك بمتابعتهم من بعيد وبحرص كبير لكن لا تتركهم يفعلوا شيئا لا يجب أن يفعل، عليك أن تعرف متى تتركهم؟ ومتى توقفهم؟ متى ترفع يدك؟ ومتى تدخلها؟ اذا عليك غرس كل الأخلاق

والمبادئ الحميدة، أن تعلمهم كيف يعتمدوا على أنفسهم؟ حتى يستطيعوا مواجهة الحياة، لا أن تتركهم ولا تعلمهم كل هذا ومن ثم يخطئوا وتأتي تقول هذا نتيجة قرارتكم الخاطئة وأنتم ما زالتم لا تستطيعون مواجهة الحياة بمفردكم.

لقد تعب كثيرا من التفكير ولم يجد الا الصداع يتملك منه ووضع رأسه على المخدة، وترك نفسه للنوم لعل يجد في أحلامه ما يريح نفسه بعد كل هذه المعاناة.

*****

وبعد أسبوع كامل كانت الغرفة مزخرفة بطريقة بديعة، كانت الجدران والأرضية والسقف كل شئ في الغرفة ينطق عن الفضاء، امتلئت بالنجوم والكواكب والمجرات، كانت الغرفة عباره عن لوحة فنية تسمى الكون، حتى الأثاث والزينة والمحتويات ينطقوا عن الفضاء، حيث ولع أمجد وآسر بالفضاء عكس على غرفتهما، وليست فقط الغرفة بل البيت بأكمله امتلأ بالألوان، بالبهجة، والسعادة بعد أن كانت محرومة من الجمال، الآن أصبحت تنطق بالحياة.

*****

لقد ضيعت الكثير والكثير من عمري والآن حان وقت المواجهة لابد من أن أتقدم ولا أقف مكاني إن الحياة جميلة وأريد عيشها، ضيعت الكثير في الآلآم وجلد الذات والقهرة على لحظات تعيسة، روحي تعبت من كل هذه المحن: ظروف البيت من أب يدق فوق رأسي ولا يتهاون يوم عن الدق وبيديه هذين يريد أن يلقيني في غياهب الجنون يريدني أن أفقد عقلي، وبين تعامل الأصدقاء الذين من المفترض أنهم يزيلوا الهموم عنا لا يزيدوها ويلقوا حملا آخر، غير تعامل الناس مع بعضها والذي أصبح مخيفا لحد كبير تسير في الطريق وتحرص من كل شخص تراه والشارع

أصبح بعبع تخشى الخروج والسير فيه لا بل عليك أن تخاف وأنت داخل بيتك تحرص أيضا ولكن من ماذا أحرص؟ لا أعلم لكن عليك الحرص للأمان فقط..

العمر يجري، في لحظة تكون تعد الساعات والأيام بصعوبة بالغة وتظل تتزمر من طول الساعة أو اليوم أو الشهر وفجأة تجد نفسك عدى ست سنوات عليك، إنها حقا صعبة وعندها تسأل نفسك كيف ومتى عدى هذا الوقت؟ ماذا فعلت حتى أثبت نفسي؟ أفعل شئ مفيد وأترك أثرا به، وهنا يبدأ جلد الذات على العمر الذي ضاع وتتحسر على الأيام وهي تجري، الحسرة نفسها تقتل النفس بالبطئ، لذا علي أن أفعل شئ ألحق نفسي قبل فوات الأوان، سأتخطئ أبي ولا أفكر في تصرفاته اطلاقا، وسأتعامل بحذر مع الأصدقاء ليس كلهم فهناك من يشفون الجراح.

أوقات تأخذ الضربة من شخص لم تكن تتوقعه وتكون الأشد، لكني سأتعامل بحذر مع البقية، عندما يصبح الصديق ثعبان يستمر في عضك عليك أن تخلع له أسنانه حتى تطمئن لكن هناك نوع من الثعابين يقتل بالخنق بالعصر اذا وقتها عليك قتله قبل قتله لك، أي أزل هذا الصديق من حياتك قبل أن يقتلك أو يقتل شئ جميل بداخلك. نعم يا صديقي أحيانا الصديق يقتل أشياء جميلة بداخلنا ثم يأتي بكل برود ويسأل من أنت؟ وكيف تفعل ذلك؟ عليك الحذر أن هذا الصديق لا يغيرك لا تجعله يزل فيك شئ جميل ويخرج شئ أقبح عليك الحرص على نفسك من تركها له، وربما من المفترض أن أسألك هذا السؤال لماذا أذيتني حتى أصبحت شخص لا أريده؟ ماذا فعلت حتى قضيت على الأشياء الجميلة بداخلي وأطلقت العنان لنصفي الآخر ليتحكم؟ حقا الصداقة تكون على حافة أمرين نعمة ونقمة وأي منهما يكون مصيرك اعرف كيف تحيا معه جيدا؟

سأتعامل بحذر مع الناس، لم يعد هذا الزمن زمن الطيبين والقلوب الصافية هذا كان في زمن ولى ولم يعد له أثر غير الكتب والتاريخ يثبتوه والفيدوهات تؤكده غير هذا كنا سنكذبه فورا من الذي نراه الآن، ما نراه الآن يجعلنا نكذب أي شئ يقول أنه كان يوجد في زمن آخر أناس قلوبهم على بعضهم البعض أناس يقتسمون اللقمة،

ومن المضحك أن الناس في زمننا هذا ينكبون على هذا الزمن، ويتحسرون على هذا الزمن الذي ضاع ويتمنون العيش فيه لكن أحب أن أخبركم لو تستطيعوا الذهاب إليه ستلوثونه بكم وتقبحوا هذا الزمن ويا حسرة على هذا الزمن. لكن بيديكم تستطيعون أن تجعلوا هذا الزمن أفضل بمن فات أصبحتم تندبون لكن دون حراك، الأمر بأيديكم ارجعوا إلى صفات تركتموها وأخلاق نبذتموها وستجدوا أنفسكم تنعمون في زمن جميل.

ما الخطأ في هذا الزمن؟ لنفكر قليلا سنجد هو التربية. نعم آباء اليوم معهم الله في توفير سبل العيش الجيدة وندعوا بتقويتهم وصمودهم في الحياة إنها مسؤولية صعبة جدا أنهم مسؤولون عن أسرة وتريد توفير متطلباتهم، لكن هنا شئ مهم هو التربية نعم معكم الله في تحمل هذه الصعاب لكن عليكم بالتربية ولا تبرروا عدم التزامكم بالتربية بنضالكم في جلب سبل الحياة لهم لأن في الزمن الذي ولى كانت سبل العيش أصعب بكثير من الآن ولا تريدوا أن تتخيلوا كيف كان؟ وبالرغم من كل هذا كانت التربية واضحة للغاية.

نرى بعض من صفات هذا الزمن: أب يصعب البر على أبنائه، نرى أب يلقي أبنائه خارجا ويزيل يده من الاهتمام بهم، نرى زوج يحقر زوجته امام أبنائه، .... إلخ. نرى أفعال كثير تشير لجيل مخيف، في زمن هذا أصبح الخوف من الناس ليس من الحيوانات أصبحنا نطلب من الحيوان الوفاء ونسينا أن نطلبها من الانسان نسينا أن نضعهما فينا، أصبحنا نحرص من الانسان أكثر من الحيوان. في النهاية سأحاول بشتى الطرق أن أصل إلى مبتغاي وسلامي النفسي، أن أعافر أن أصل إلى ما أتمناه لكن علي بالصمود بالقوة والتفكير جيدا، هذا وعد مني ببدء حياة جديدة.

كانت عهد في غرفتها غارقة في هذا التفكير وتأخذ وعد بالحياة وبعد أن انتهت ذهبت للنوم وكانت قلقة وهذا القلق يسايرها في كل مره تذهب للنوم.

*****

جلس حازم ووائل يتناولون الغداء وكان في نفس وائل شيئا يريد قوله ولكنه حبسه بداخله حتى انتهاء الغداء وعندما جلسوا بعد هذا يشربون الشاي أخبره:

- عملت ايه مع أهلك؟

أجابه حازم بهدوء:

- ولا حاجه محدش من العيلة رضي يكلمني وبابا صمم على موقفه وطردني.

- ووالدتك؟

- برضه نفس النظام.

- وناوي تعمل ايه؟

- هحاول تاني معاهم واسترضاهم متنساش بر الوالدين ورضاهم عليا بس إني أرجعلها تاني ده لا يمكن أبدا يحصل.

- وانت أخبارك ايه؟

- أنا أحسن من الأول بكتير وبقيت أتحرك وأمشي من غير ما أتعب جامد زي الأول.

- لا أقصد حالتك النفسية؟

- أنا مش عايز أتكلم في الموضوع ده، مش عايز أفتحه عشان عايز أنساه.

- أهم حاجه صحتك وسلامتك وخلي بالك على نفسك أكتر من كده.

- روح نام عشان تعبان وعايز أنام.

وقام حازم من مكانه منهيا الأمر كأنه يحاول أن يهرب من حديثه ودخل غرفته وأغلقها جيدا خلفه وجلس حزينا على ما جرى معه إنه أصبح وحيدا بلا أب يسنده وأم تخفف عنه وبلا حب يحاوطه وأزيلت الشجرة التي كانت تظلله وأصبح بلا عائلة

وحيدا غريبا، فأمسك هاتفه وفتح تطبيق الفيس بوك وقرأ منشورا لفتاة تدعى"عهد حسين" أتى أمامه بالصدفه، وبدأ يقرأ:

بقيت وحدي
ومبقاش ليا غير وجعي
اتهد السقف فوقي
وملقتش يد تساعدني
يشيلوه من فوق
كل اللي لقيته
ناس غريبة
مع إنهم أهلي
من دمي ومن لحمي
وبدل ما تتمدلي ايديهم
كسروني ودفنوني
وبقيت أنا وحدي
وحيد ومن عيلة
غريب وليا عزوة
قطعوا فرعي عن جذعي
وقتلوني وأنا عايش

كانت الكلمات تصفه جيدا كأنها فصلت من أجله، شعر كمن اخترق روحه وأخرج ما به على شكل حروف وكلمات، زفر بضيق ونام سريعا حتى لا يضع نفسه امام الحزن ينفرد به ويعذبه كما يشاء.

*****

" وأنت في عجلة الحياة.. توقف لتتأكد انك ما زلت انسان.. "

(11)

اللعنة

وفي غرفة عهد أتى عمر إليها محدثا:

- انتي فاضية يا عهد؟

- أيوة فاضية ولو مش فاضية افضالك.

- مضايق شوية وعايزة أخرجهم.

- اديني سامعة اتفضل..

- لما كنت في الثانوية العامة قالولي اتعب دلوقتي عشان ترتاح في الكلية، واديني في الكلية فقالولي اتعب دلوقتي علشان تتخرج بتقدير كويس، وتشتغل في مكان أحسن، ولما أتخرج لازما أجري وأتعب لحد ما ألقى شغل ولما ألقى شغل لازما أثبت جدارتي فيه، وأطور من نفسي، وأتعب عشان أفضل موجود فيه.

ولازما أحسن من مستوايا، ولما مستوايا المادي يتحسن أشوف بقا بنت الحلال اللي أكمل معاها حياتي، وعشان أكون أسرة ويكون ليا عيال ولما أتجوز أدعي ربنا يرزقني بأطفال عشان يكون ليا عزوة.

ولما يبقى عندي عيال لازما أتعب، وأشتغل كويس علشان أعرف أعيشهم عيشة كريمة، وفي نفس الوقت لازما أربيهم كويس، وأخلي بالي من حالتهم النفسية عشان يكونوا متوازنين نفسيا، وأنتبهلهم، وأهتم بصحتهم، وأربي، أكبر، وأعلم عشان يبقوا ذريه صالحة، ولما يتجوزوا ويخلفوا أساعدهم, وأكبر، وأعلم، وأفضل معاهم، وأراعيهم، وأحط عيني عليهم.

دايرة كبيرة بنلف فيها، طب امتى هنرتاح؟ احنا كده بيضحك علينا مفيش راحة.. مفيش راحة..

نطقت عهد مرهقة:

- تصدق إني أنا نفسي وجعني بمجرد إنك قولتهم، ايه ده؟ لا يا عم احنا خلينا قاعدين في الكلية أحسن، وبكده مش هنكمل الدايرة ديه..

- هو ده وقت هزار؟

- ومهزرش ليه؟ خليك فرفوش..

اومال أموت بحسرتي! الحياة تبقى ايه من غير ضحك؟

- عهد...

- بص يا بني الحياة صعبة، الحياة عبارة عن عدة اختبارات، اختبار خلف اختبار خلف اختبار وهكذا دواليك.

القوي فقط ليس من يضرب أو يهاجم بل من يقف صامدا متلقيا الضربات تلو الآخرى.

إن لم تنتبه للحياة ستسرقك ولن تلحظ ذلك الا بعد فوات الأوان. فلا تدعها تستدرجك بل عليك أنت من تستدرجها، لا تدعها تلهثك، توقف خذ نفسك واجبرها أن تلحقك.

عليك أن تحيا الحياة بابتسامه، عليك وأنت ملقى في غياهب الظلام.. ترى النور ينبثق من ثقوبه، وأنت مخطوف في سير الحياة عليك أن تنظر خلفك لترى أنك على الدرب الصحيح أو لا، أحيانا كثيرة عليك أن تبطأ حتى تعرف نفسك.

- أتعرف ما المشكلة؟ أننا عندما نكون في خضم معركة ما أو حزن ما، ندعها تسيطر علينا تتملك منا، لا ننفصل عنها حتى عندما نكون بالقرب من أحبائنا، نسحبهم معنا في هذا الظلام.

وأنت في عجلة الحياة، عليك أن تستمتع.

وأنت تعمل ابتسم.. وأنت متعب ابتسم..

وأنت تدعس ابتسم.. وأنت تهان ابتسم..

وأنت تتأوه ابتسم.. وأنت تفرم ابتسم..

تفائل وأنت تأيس.. خذ الحياة كتحدي..

خذ الحياة كلعبة.. خذ الحياة كحياة..

ادخل بقلب شجاع..

واجه.. قاوم..

لا تخشى شيئا..

ما الذي تخشاه؟

الإهانة؟

الخطأ؟

الفشل؟

السقوط؟

الإنهيار؟

فأقول لك يا صديقي، عليك أن تمر بكل هذا حتى تصل إلي ما تريد..

لن تصبح الشخص الذي تتمناه الا بعد أن تمر على الإهانة، الخطأ، الفشل، السقوط، الإنهيار.

لابد أن تشعر بقساوتهم..

تتذوق مرارتهم..

تأكل حسرتهم..

تشرب قهرهم..

تتلف بصعوبتهم..

عليك أن تتمرغ بهم، حتى يصبح جلدك أقوى، أصلب، مرن، مدرك،

حينئذ ستنال ما حاربت من أجله..

ما قاومت.. وواصلت حتى تبغاه..

إن كنت خائف منهم؟

حسنا.. اجلس مكانك.. ولا تندب بعد ذلك..

يا صديقي عدل تراكيب عقلك.. وافهم معنى الحروف..

الإهانة فخر..

والخطأ تاج..

والفشل نجاح..

والسقوط عظمة..

والإنهيار قمة..

إن كنت مسكت مبتغاك..

نظف عقلك.. وافهم الحروف جيدا.. ومدد بصرك.. لترى خلف الكلمات.. سترى الحقيقة.. تلمع أمامك.. ففي الحروف مبتغاك..

وأخيرا نطق عمر مندهشا:

- معاكي حق في كل ده.

صاحت عهد بابتسامه:

- كويس انك عقلت.

- كنت عارف إني جاي للمكان الصح اللي هيعرف يخليني أطلع من مضايقتي وأعرف أفكر كويس.

- ده مدح! معقول أخويا بيمدحني!

- متتعوديش على كده، بس ايه اللغة العربية الفصحى ديه.

- نتيجة المذاكرة والتعود بقا.

*****

وفي ليلة من ليالي جلسات الأسرة متجمعون معا، نادى أمجد صائحا:

- آسر.. آسر هيا لتشرب القهوة.

- دقيقة..

آهات انطلقت من أفواههم حيث اصطدم اصبع رجل آسر بالباب وتوتروا لحظات عندما توه الإثنان معا، أيلحقوا من؟ من هو المصاب؟ ماذا يحدث؟ أمجد الجالس أمامهم والذي توه دون أن يقم من مكانه وأمسك برجله أم آسر الذي اصطدم بالباب وأمسك رجله هو الآخر، حقا إنهم تؤام لهذه الدرجة! من يصاب يشعر الثاني به بنفس الإصابة، نفس درجة الألم، نفس المكان، هذه رابطة حازمة جدا تحدث بين قلة حازمة من التوائم.

وفى يوم ما كان آسر بالخارج قد أحب أن يسير قليلا، ولكن أمجد أحب أن يجلس بالبيت، لم يتمنى الخروج حينها وكان نور ووالديه وأمجد جالسون في شقة الجد، وبينما كانوا منغمسين في حديثهم واذا بأمجد يقفز منحنيا للأمام ممسكا بقلبه يصرخ بعلو صوته متألما بشدة وقد انخلع قلب نور لأجله وصاح فزعا:

- أمجد.. ماذا جدث؟ ما بك؟

دقات الساعة تدق بشدة، لا إنها نبضات قلبي، أنفاسي تلهث، لا أستطيع التنفس، لماذا أشعر بالخوف الشديد؟ لماذا أشعر أني عاريا وحيدا؟ لماذا أشعر بالبرد القارس يحوطني؟ إنني خائف، أشعر بأني أتلقى صفعات من البرد والخوف في ليلة شتوية، لما أريد البكاء؟ يا الهي... إنني سأموت خوفا.

فقلبي يعتصر عصرا، إنه يختنق من الخوف، الإرتجاف، إنني أشعر أن شئ سئ حدث، ماذا يا ترى قد حدث؟ إنني لا.. لا أتفائل خيرا.. يا الهي...

سمع صوت يناديه، إنه والده يحدثه فزعا عليه:

- أمجد.. ما بك؟ أمجد.. أمجد جاوبني، ما بك؟ أنت بخير؟

- نعم.. لا.. لا شئ.. لا شئ.. إنني بخير...

قام من مكانه والتقط هاتفه، وضرب رقم معروف، محفوظ باسم أخيه وانتظر الرد، وكل ساعات العالم توقفت، وقلبه يعتصر، يتمنى سماع الصوت ولكن هيهات فالأفجع أن هاتف أخيه مغلق، ووقتها صاح عصبيا، متوترا:

- كيف هذا؟ إنها لم تحدث قط! ماذا حدث؟

سأله نور:

- لماذا أنت مضطرب هكذا؟ وبمن اتصلت؟

- إنه آسر، إنه لا يرد علي.

- ربما شحن هاتفه انتهى، لا تقلق هكذا...

وفؤجئ بصوت مرتفع، عصبي، وبوجه يختنق خوفا، وقلقا، وسينفجر بكاء يصيح:

- إننا لن نخرج الا ونتأكد من شحن الهاتف مكتمل أو لا حتى نستطيع أن نطمئن على بعضنا البعض والآن هو لا يجيب علي.

حاول نور تهدئته:

- اهدأ يا أمجد بإذن الله لن يحصل له شئ سئ، اطمئن.

- سأنزل، سأبحث عليه بنفسي في كل مكان، لن أترك شبرا واحدا لن أبحث فيه.

- أين ستذهب الآن؟ وحينما يعود ولا يجدك سيقلق عليك، فعليك الآن بالصبر وسيأتي. اجلس.. اجلس وإن تأخر كثيرا سننزل معا نبحث عنه ولن نترك مكان لا نبحث فيه.

فجلس أمجد ولكن قلبه لم يهدأ، فكلما تأخر الوقت ولم يعد كلما صرخت خفقات قلبه، والدم ينفجر من عروقه، واذا بصوت الهاتق يدق الآذان وسط هذا الصمت المميت، وكان هاتف نور وأمسكه وبدأ يتحدث واذا وجهه يضيق ويضيق، ينكمش

مخنوق، ملامح وجهه لا تبشر بالخير، ملامح الخوف ترسم عليه كأنه لوحه، وبمجرد أن نطق بأى مستشفى كان القلب قد انخلع من صدر أمجد.

*****

استيقظت عهد وبدا على وجهها الابتسام فمسكت ورقة وقلم وبدأت تكتب:

أحلامي.. لم ألقى وصفا لك..

فمسكت ورقة وقلم وروحت أتلاعب بألف عباره وعباره.. حاولت أن أتراقص بالكلمات.. وأقص من الحكايات..

أحلامي عجيبة.. كأنها سوبر مان..أم باتمان.. أم سلسلة من خوارق غريبة..

أحلامي خارقة للطبيعة.. خارقة للزمان.. تكسر قيوده المخباه..

فعندما أغطس في نوم عميق.. تتسلل أحلامي إلي..

أحيانا أشجار تنطق.. جبال ترقص..

وأحيانا أمواج تترك شاطئها لتتغزل بالرمال الصفراء..

وأحيانا تأتيني دفعة واحدة كأنها تتحد معا علي.. تتجاوز المنطق.. تتجاوز خيوط الزمن..

فماذا بك؟ هل صاحبك عاقل أم مجنون؟

فمن المؤكد أنني مجنون.. مختل..

شخص عجيب أنا..

ولكني أتمنى أن لا تتغيري.. استمري.. فما أروعك أحلام!!!

فمن الجنون أن لا يوجد شخص مجنون..

المجنون اليوم هو الأسعد.. المجنون اليوم يكون نابغة هذا الزمان..

وهذا سؤالا يطرح نفسه:

من منا المجنون؟ من!

*****

دخل عمر على عهد ووجدها ممسكة بكتاب وتقرأه بتركيز فصاح مستعجبا:

- هو أنا كل أجيلك ألقاكي ماسكه كتاب وبتقرأي؟

- أحلي حاجه هي القراءة جرب هتستمتع...

- لا متحاوليش أنا عارفك عايزة تخطفيني بالكتب..

- هيبقى أحلى خطف حصل في حياتك... عارف يا عمر الكتابة سحر مباح، تستخدمه وتتعمق فيه كيفما تشاء، جريمة ترتكب بدون عقاب.

القراءة تسلب الانسان عقله في عوالم شتى تخطفه من عالم الواقع إلى عالم الخيال لدرجة أن يجعله يتمنى أن يعيش في هذا العالم الخيالي ويترك عالمه الواقعي، يجعله يصدق كل شئ فيه يعيشه ويدركه يتخيل نفسه أنه يعيش في هذه الأرض على هذه البقعة بالتحديد في هذا الزمن المحدد، يجعله يصدق أنه بطل الشخصية أو أي شخصية آخرى واذا أصيبت شخصية ما يجعله يتأوه مثلها يشعر بنفس درجة الألم بل يرى نفسه أنه هو من أصيب، واذا الشخصية كانت في حدث فرح يجعله يفرح من قلبه ويقوم يرقص مرحا بفرحة غامره كمن هو الذي حدث الفرح معه.

يسرق قلبه لعواطف شتى يجعله يحب ويكره ويرضى ويتذمر ويعجب ويشكوا ويبكي بحرقة ويضحك بشدة، القراءة لعنة تصيب القارئ وتحركه كما تشاء، كأنه مسلوب الإرادة لا يملك أن يتصرف بأي شئ، حين يؤمر أن يضحك يضحك، يؤمر أن يبكي يبكي، أن يرقص يرقص، يحزن يحزن، اذا القراءة لعنة والكتاب تعويذة والكاتب ساحر.

تخطفه في عالمها بل يظل معها حتى الانتهاء من قرائتها بل إلى ما بعد الإنتهاء منها فسيبقى مفعول السحر عليه، هل ينبغي علينا الخوف والهرب مهرولين مبتعدين عنه لابعد مكان، لكن هيهات الذي يحدث عكس ذلك تماما حين نرى ساحر خطر نهرب منه جزعين لكن هنا يحدث عكس المفهوم كأننا في بعدا آخر من الزمن في بقعة غريبة من الكون، ما يحدث أننا نذهب إليها بارادتنا والفرحة محفورة على جدران قلبنا والابتسامة مرسومة بأبهج ألوانها، ونهرع نشتريه ورقيا أو نحمله بي دي إف pdf من على الإنترنت ونغوص في عالمه أي أننا نسمح له بتملكه لنا ويفعل بنا ما يشاء نعطيه الحق أن يتلاعب بنا بعواطفنا ويسافر بعقلنا ما هذه التعويذة التي تسحرنا وتبقى محببة إلى قلبنا.

أتعرف ما هي خطوات الاستحواذ كما قال إد وارين في فيلم كونجرنك الجزء الأول The Counjring 1

1) Infestation

2) Oppression

3) Possession

وهذا ما تفعله القراءة بنا تستحوذ علينا بالتدريج ونرى أنفسنا لسنا كأنفسنا روحنا تنسحب منا، ندرك التغيير يحاوطنا بكل لحظة فنرى أنفسنا نتكلم بلهجة ما غريبة أو نفعل حركة ما غير معتادة منا أو نصور تشبيها ما مختلفا بل يظهر هذا التغير على الملأ ويلاحظوه الآخرون ويتهموننا بالجنون نعم القراءة جنون عندما تبدأ تنفصل عن

عالمك وتأخذ عالما خيالي ويرتسم على حياتك اذا إنها جنون عندما تلتهم كتابا في غضون ساعات اذا إنها جنون عندما تضحك أو تبكي على شخصية في عالم خيالي إذا إنها جنون.. لكنه جنون محبب، جنون ممتع، جنون قيم، جنون مفيد.

*****

.....

" فكر جيدا في الأمور واصمد امام المحن وتحلى بصفات تجعلك قوي.. "

(12)

أدرك من أين يسقط البنزين؟

دقائق كثيرة وكثيرة وكثيرة وكانوا منتظرين انطفاء اللندة الحمراء، منتظرين قلبهم الذي بداخل، والد نور الذي كان جالسا، صامت يدعوا الله أن يشفي حفيده، ونور الذي كان يجئ ذهابا وايابا غير مستقر الفؤاد، اما أمجد الذي كان واقفا مستندا على الحائط، ساكنا لا يحرك رمشا كأنه بركان خامد وسينفجر في أي لحظة.

صاح نور قائلا:

- دكتور...

التف الجميع حول الطبيب متلهفون متيقظون لما سيقوله، والذي أخبرهم:

- البقاء لله.. إنه توفى في لحظتها.. لم يكن هناك شئ نستطيع فعله..

صمت تام خيم على المكان، والذهول يكسوا الوجوه والوجوم يغطي الأرواح انقطعه صوت والد نور يهمس له في أذنه يقول:

- لا تقع الآن.. أعرف أنه حقك.. ولكن علي أن أذكرك أنك إن وقعت الآن ستفقد كل شى، أنت فقدت ابن ولم تستطع أن تفعل له شيئا، إنه خارج عن ارادتك ولكن يوجد ابن آخر بجانبك الآن وسينهار في أي لحظة وعليك أن تسنده فإن وقعت ستخسر الأثنين معا والقرار لك.

وما كان على نور الا أن يتمسك بما موجود بين يديه، يحاول أن يحميه من أي شئ، يخفيه بين جنباته من خبايا الدنيا، وخبثها، وشرها، إنه يحمي حياته الآن أكثر من أي وقت مضى، ولن يسمح بفقدانها، لم يعد يجرأ الخطأ أن يحدث.

فإذا به يحتضن أمجد في حضنه الذي كان الآخير تائه، كأنه لم يدرك بعد بما يدور حوله، فكان صدره يعج ببركان خامد ثائر لا تعلم كيف؟! يتردد داخله جملة الطبيب قائلا:

- البقاء لله.. إنه توفى في لحظتها.. لم يكن هناك شئ نستطيع فعله..

- البقاء لله.. إنه توفى في لحظتها.. لم يكن هناك شئ نستطيع فعله..

- البقاء لله.. إنه توفى في لحظتها.. لم يكن هناك شئ نستطيع فعله..

- البقاء لله.. إنه توفى في لحظتها.. لم يكن هناك شئ نستطيع فعله..

تتردد الجملة بداخله ومع كل مره يزداد الاضطراب، يبدأ الوعى أن يفوق ويضربه بكل قسوة: استيقظ إن أخاك توفى، استيقظ أنت لا تحلم، لست في عالم آخر لا وعي، ولم يستقيظ كاملا الا بخروج أخيه من غرفة العمليات مغطى الوجه وهنا انفجر البركان، ترجت المستشفى بصوته ينادي أخاه:

- آسر... آسر... آآآآآآسر... آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآسر...

أخي.. رد علي يا أخي.. لا.. لا.. لا.. لا.. أنت لا تستطيع أن تموت.. لا تستطيع أن تتركني وحيد.. لا تستطيع أن تتركني هنا.. إننا اتفقنا سنبقى معا.. أخي لا تتركني الآن، أخي أرجووووك... إني أترجاك بحبك لي رد علي.. لا أستطيع العيش بدونك يا أخي... إني أحبك يا أخي... أجبني يا أخي.....

في هذا الوقت كان نور قد نسى أن له ابنا توفى، ومن يراه يرى أسد يقف بكل قوة وجسارة بجانب أمجد، يحاول أن يحتضنه، يهديه، نعم الأمر كان لابد من الحزم، كان لابد أن يضع الآلآمه جانبا حتى إن كانت جزء من روحه حتى يحمي الجزء الآخر منها، الأمر توجب أن يتعامل مع الآلآمه وصدمته بكل سرعة وقوة.

الأمر تتطور فّإذا بأمجد يهيج ضربا بآسر يترجاه أن يستقيظ، لا يتركه الآن، أن يجاوبه، وهنا أمسك نور بأمجد يبعده عنه ويطلب من الممرضين أن يستمروا في

طريقهم، ولم يتوقف أمجد عن الصراخ، عن الهيجان، كان يتخبط في الحائط، يتلوى من الألم، كان بداخله قلبا قد انخلع من مكانه، وروحا أحرقت، ماذا يسمى ما كان يعج بصدره؟ أيسميه نارا؟ تأكل فيه حيا! أم زلزال يقسم الأرض نصفين، مقطعه حسرة!

*****

دخل عمر على عهد ووجدها حزينة فبدأ حديثه قائلا:

- انتي هتفضلي حابسة نفسك في أوطتك كده كتير؟

تحدثت عهد بصعوبة:

- اومال عايزني اعمل ايه؟

أجابها عمر:

- خلاص يا عهد عدى أسبوعين من موت يارا وانتي حابسة نفسك في أوطتك ولازم تبدأي تخرجي نفسك من حالة الحزن والسكوت ده.

- ارتاحت مكملتش حاجه على جوازها وماتت اللي يشل بقا إنه والدها بيبكي مع إنه هو اللي قتلها، قتلها لما قرر يجوزها وهي لسه بتدرس وغصب عنها.

أوقات كتير بيكون قرارات الأهل خطأ وبدل ما يريحوا بناتهم بيقتلوهم بيرموهم للجحيم بايديهم، والبنت مش بايدها حاجه.

أجاب عمر بسرعة:

- الوعي والعلم هو اللي هيحل كل ده.

نطقت عهد متعبة:

- فعلا الأب بيكون ماشي بمبدأ أنا أبوك وبس مش بيفكر إنه يصاحب أولاده وبناته إنه يكون ليهم كل حاجه أب وأم وأخ وصديق ينزل لسنهم لجيلهم يفكر هما بيفكروا

ازاي؟ لا خالص هو بيعاملهم كأب وبس وكمان بيعاملهم بمبدأ التخويف والترهيب اللي هو عاملني كأبوك احترموني بالخوف بيكونوا خايفين منه بدرجة كبيرة جدا.

- عندك حق بس فيه آباء ماشيين بالمبدأ ده وفيه آباء بيربوا صح من الأول بس بنسبة قليلة.

ساد الصمت في المكان فقال عمر:

- بصي انتي لازما تخرجي نفسك من الجو ده والحالة ديه، لسه هتواجهي صعوبات كتير ومطبات أكتر في حياتك ولازما تكوني قوية ولو وقعتي تقومي مبقاش فيه وقوع خلاص.

- أيوة بس أنا كنت بحبها وهي أتظلمت.

- حقها مضعش، هي عند ربنا وهيجازيها كل خير.

- عارفة..

- هتوعديني تستمري.

- أوعدك.

*****

دخلت والدة عهد غرفة ابنتها وبدأت قائلة:

- انتي قاعدة حزينة كده ليه؟ ليكي يومين استنيتك تقولي بس مجتيش فقولت أجي أنا، قوليلي ايه اللي مزعلك؟

- مفيش حاجه يا ماما..

- انتي بتخبي عليا؟

- أنا مش عايزة أتعبك.

- اومال أتعب لمين لو متعبتش لبنتي هو أنا عايشة ليه؟ قوليلي يلا...

- كل المشكلة إن لحد الآن ملقتش شغل، أنا خلاص اتعلمت واتخرجت ومش لاقية وظيفة لحد دلوقتي، اومال هحقق حياتي امتى؟ وأسيب أثر امتى؟

- يا حبيبتي هو انتي لحقتي انتي يدوب متخرجة من سنة واحدة!

- يا ماما انتي مش شايفة إن الكل بيقول الحق نفسك عشان تلحق السباق، امشي بسرعة عشان العالم ماشي بسرعة أكتر مما تتخيل، الحق اعمل مستقبلك، لازما تبدأ من دلوقتي عشان تسابق الحياة، هو حضرتك مش بتشوفي فيدهوات التحفيز والحماس والتنمية البشرية؟

- قصدك فيدهوات القتل بالبطئ..

- مش فاهمه..

- بصي أنا مش متفقة مع كل الفيدهوات، أنا بحس إنهم بيهدموا بيحطموا زي ما حصل معاكي اهو وأكيد بيحصل مع ناس تانية.

- ازاي؟

- بيخليكوا تجروا وتجروا وتجروا عشان في الآخر تحصلوا، اقفوا ثانية خدوا نفسكوا عشان متقعوش في النص لازما تستمتعوا بالحياة لازما تفكروا كويس انكوا بتهلكوا نفسكوا لازما تستمتعوا بعملكوا، اقفوا بصوا وراكوا عشان تشوفوا أخطائكوا وتتعلموا منها خدوا الحياة كلعبة وتحدي، استمتعوا بكل حاجه تعملوها.

بيقولوا لازما تكونوا قائد وأصحاب شركات اومال مين اللي هيشتغل ويشتري من الشركات؟ بمعنى القائد هو اللي صاحب الشركة بس من غير موظفين وعمال مصنع ولا حاجه، تعرفي كمان من غير المشترين ولا حاجه برضه لإنهم بيشتروا ولو

مشتروش يبقى الشركة فشلت ومبقاش قائد، الكل بيكمل بعضيه الكل موصل للتاني كلنا مميزين المشكلة في القناعة والرضا، المشكلة في إننا مش فاهمين شخصيتنا ايه؟ أو ميولنا ايه؟ أو عايزين ايه في حياتنا؟ أو أهدافنا ايه؟ أو مواهبنا ايه؟ احنا ماشين كده عشان كده مش فاهمين حاجه.

الكل بيناشد ويقول لازما تبقوا أصحاب شركات وإن الموظف ولا حاجه وده مش صح اللي يفرق واحد مالك شركة واسمه معروف وبيمتلك أموال كتير وواحد تاني يدوب مرتبه على كده أو مش بيكفيه ومحدش يعرف اسمه بس مش معنى كده إنه مش مميز لا ده مميز، مميز بفكره بعمله بشخصيته بأخلاقه، واحد بيصحى من النوم بدري جدا على شغله وبيروح بيته بعد يوم طويل من التعب ويهتم ببيته ويربي أولاده ده مميز مش عادي، الطالب اللي بيصحى الصبح بدري على دراسته ويركز أثناء الشرح ويذاكر ويعمل أبحاث ويقرأ ويتعلم ده مميز مش عادي.

كل شخص مميز بفكره بشخصيته بعلمه بعمله بأخلاقه بقيمه بقيمته كل شخص وفيه حاجه معروف بيها مفيش حاجه اسمها مميز وعادي فيه حاجه اسمها مميز ومطفي. المميز وعرفناه أما المطفي ده اللي قاعد في مكانه مش بيحاول يعمل أي حاجه دماغه تايهه في الكون مش بيهتم بأي حاجه ده المطفي، اللي مش بيشتغل مش بيتعلم مش بيعافر مش بيحاول ويحاول ويجرب حاجات كتير عشان يوصل، المفروض لو الانسان عايز يبقى حاجه أكبر أفيد أشهر يبقى نقول افهم شخصيتك صح، عيش عيشة كريمة اللي عايزها، فكر صح عشان توصل مش مجرد محاولات ويقول عمل اللي عليه ولو عمل كل اللي عليه ومتأكد من كده يبقى لو موصلش مميز برضه كفايه إنه حاول. ولازما نفهم أهم حاجه إننا بنكمل بعض بشخصياتنا بعلمنا بعملنا بأخلاقنا حتى الدنيا لازما تدوق مرها عشان تستطعم حلاوتها ناس كتير اتكلمت في التنمية البشرية بس اللي فهمها صح قليلين جدا.

تحدثت عهد وبدا عليها الارتياح:

- بس أنا خايفة برضه.

- أيوة لازما تخافي الخوف مطلوب عشان تحققي بس مش الخوف اللي يمنعك ويوقفك في مكانك.

- أنا بحاول وبتعلم حاجات جديدة.

- وافضلي حاولي وجربي الجديد لحد متكوني اللي عايزاه.

- بس برضه خايفة..

- طبيعي ولازما تكوني قوية عشان تعرفي تواجهي.

وانتهت المناقشة باحساس عهد بالقوة بعد انطفائها ولكن ما زالت خائفة قليلا وهذا طبيعي للغاية وقامتا الأثنتان يجهزان الغداء سويا.

*****

صاح وائل مندهشا مما رأى:

- انت هنا؟

أجابه حازم ضاحكا:

- لا، حازم لسه واقف على باب المدرسة، ينفع أنا؟

- انت بتهزر؟ بتعمل ايه هنا؟

- ومهزرش ليه سؤالك يضحك والسؤال التاني برضه يضحك، تفتكر واحد جاي المدرسة عشان يعمل ايه؟ جاي لشغلي..

- بس انت مقولتليش انك هترجع الشغل، أنا كنت معاك الصبح ومقولتليش!

- كنت عايز أعملها مفاجأة ليك وأشوف تعابير وشك اللي شايفها دلوقتي.

- وانت متأكد إنك كويس وقادر ترجع الشغل؟

- أيوة الا لو مكنتش رجعت.

- حازم انت لسه بتاخد علاجك وكمان مشاكلك مع أهلك.

- وعايزني اعمل ايه؟ لو قعدت في البيت هدي فرصة للحزن والألم يتغلبوا علي وأموت في اليوم مليون مره، أحسن حل إني أرجع الشغل، الشغل هينجدني من إني أتجن، أنا ليا فترة كبيرة في البيت واتحسنت كتير عن الأول وقادر إني أشتغل أما أهلي فمش هقف عند اللي حصل أنا لازما استمر في طريقي.

- أنا فاهم بس خايف عليك.

- عارف، بس صدقني الحل الوحيد إني أرجع الشغل.

- عندك حق.

- قوم نشوف شغلنا مش جايين نقعد هنا كمان.

*****

كنت جالسة في غرفتي أسمع خناق أبي كان الصوت عاليا للغاية ولم تستطع طول المسافة بيني وبينه تحجبه ولا الوسادات استطاعت ولا اشغال نفسي استطاع وسمعت كل ما دار، كنت وحيدة في غرفتي وأخي بالخارج وأصبحت بمفردي أمام أفكاري، إنني أخشى الوحدة إنها تكون طعما لنفسي.. تتركني فريسة لأفكاري لكي تنهش في بلا رحمة.. تستمر في تقطيعي جزئيا جزئيا.. لا يهدأ لي بال، ولا يغمض لي جفن.. صداع يعصرني عصرا.. وصدر يعلوا ويهبط.. وضمير يختنق ضيقا.. وروح تتمزق أشلاء.. وفؤاد يقطر دما.. وأعين تبكي جزعا.. فيا ويلي..

تكورت على نفسي حتى أصبحت كرة تستطيع أن تتلاقفها يمينا ويسارا تكورت كما الجنين أحاول أن أحتمي لكن من ماذا؟ من أبي! الذي من المفترض أنه سندي!

*****

إنها حالة غريبة أمجد قد توقف عن هياجه وشارك في كل شئ، في كل مراسم الجنازة كان قويا لم يكن هو الشخص الذي كان يهيج ويصرخ ويتلوى أرضا فما هي الا ساعتين من اختفاء الممرضين بأخاه، واحتضان والده له، ممسكا به كي يتوقف عن هياجه الا وكان متماسكا قويا، يشارك في كل شئ، كان نور خائفا عليه، تمنى لو يبعده وخصوصا في وقت الدفن، إنه كان تؤامه ومن الرابطة الحازمة أيضا ولكنه كان سيرفض، ولكنه تعجب من التحول المفاجئ هذا وخاف أن يكون خلفه بركان ينفجر، وجاء موعد الدفن ونور كل ما يشغل عقله هو أمجد كيف يحميه من انهياره؟

إنها مهمة صعبة أن نرى قلبنا ممزق على روحنا، نار تأكل منا، ونقوم ونصمد لكي نحمي باقيها من التأكل، إنها ملحمة صعبة، والقوي النفس فقط من يستطيع أن يفعلها، ليست مستحيلة وليست سهلة، وبعد انتهاء المراسم بلحظتها كان أمجد يجلس بجانب المقبرة ومعه المصحف وبدأ يقرأ بصوت جميل، بصوت عذب، بصوت جسور وقوى كمن يريد أن يقول بمن بالداخل: أنا معك لا تقلق.. أنا معك لا تجزع.. كن قويا ولا تخف.. أنا معك.. كن ثابتا عند السؤال..

اقترب نور منه وقال بصوت كله حنان أبوي خالص:

- ماذا تفعل يا أمجد؟ هيا سنغادر الآن حتى نستطيع أن ناخذ العزاء وكي ترتاح في البيت، لقد تعبت وعليك أن ترتاح.

توقف أمجد ونظرا له باصرار :

- أعلم أنك خائف علي ولكني لن أبرح من مكاني هذا، أتعرف أنه الآن يسأل، ملائكة تسأله وأنا سأكون بجانبه، مدعما له حتى أقويه لذلك سأجلس هنا، بجواره وسأستمر بقراءة القرآن ولن أبرح مكاني هذا حتى أطمن عليه، لابد أنك تتسائل كيف سأطمئن عليه؟ وسأجيبك أنه شعور تستشعره، ترتاح له، ويهدأ به قلبك، حين يأتي الأطمئنان ستعرفه، أما اولئك الناس الذين سيأتون للعزاء لا يهموني في شئ، الأهم الآن أخي.. أن يطمئن..

تبسم نور في وجهه، إنه على حق في كل ما يقول ولكنه تردد، زاد الخوف بقلبه أكثر مما هو موجود، حيث يخاف أن يظل تفكيره في أخاه وينفصل عن واقعه، وما كان على نور الا وأخبر والده وأخواته أن يقفوا بالعزاء وأنه سيكون بجوار أمجد ولن يرجع الا به، وبمجرد أن غادروا كان نور جالسا بجوار أمجد ممسكا بمصحف وبدأ يقرأ وقلبه متصلب، ثانية وسينفجر بكاء وآلما على ابنيه، من الساعة العاشرة صباحً والآن الساعة الثامنة مساءً وأمجد لم يتوقف لحظة الا أن يرتاح لمدة عشر دقائق كل فترة ما ولم يتحدث مع والده ابدا ولا نور حاول.

وبدأ نور في تحدثه إليه قائلا:

- هيا يا أمجد حل المساء ولابد أن ترتاح، انك متعب للغاية.

نطق أمجد بكلمات بسيطة:

- لا أنا بخير ولم أطمئن إلى الآن.

- ولكن حل المساء كيف ستجلس هنا في هذا الظلام الدامس؟ لا، أنت سترجع معي ونستطيع أن نأتي غدا.

- لا.. لا.. أنا لا أخاف هذا الظلام فحياتي أصبحت أكثر ظلمة، سأجلس هنا.

- اذا ستعذبه أكثر، أن يراك بهذه الحالة هنا وفي هذا الظلام هيا يا أمجد دعه يطمئن عليك أيضا، يستريح، أعلم أنك شعرت به أنه مطمئن، ولكن شعورك هذا نابع من حبك له، هيا.. هيا لكي لا تقلقه عليك أكثر من ذلك، هذا حقه أيضا.

*****

وطوال أربع أيام كان يأتي في الصباح ويغادر ليلا على مهل، ومن بعدها تكور على نفسه في غرفته لا يأكل ولا يشرب الا بفترات متباعدة، يرغم نفسه على الأكل بصعوبة، أصبح كتلة محشوة باللامبالاة، لا يتحدث مع أحد حتى مع والده، فقد البهجة والضحكة، فقد الروح الحيوية، وظل على هذا الحال لأقل من شهر حتى فؤجئ بصديقه دانى فوق رأسه، وأخذ يتحدث معه حديث من طرف واحد بعد أن أخبره والده أنه لا يتحدث مع أحد، قائلا:

- المفروض إننا أعز أصدقاء وأنا حاولت طول الفترة الماضية أرن عليك ولا أحد يجيبني وليس معي رقم هاتف لوالدك وكنت مسافرا مع والدي وحالما وصلنا أتيتك فورا وعلمت بالخبر من والدك، كان لابد أن تخبرني هذا حقي عليك.

لماذا لا ترد علي؟ حتى أنا؟ إنها الحياة ولابد أن تخرج نفسك من هذا، آسر لن يعجبه حالك هكذا، إن كنت حقا تحبه مثلما تقول عليك باجتياز الأمر.

أتدرك أنه سوف يسعد بما وصلت إليه؟! ده صندوق آسر كان قد أعطاه إلي منذ أن أقمتوا مع والدكوا هنا، وأخبرني اذا حصل إليه أي شئ أن أعطيه إليك فورا، سأتركك الآن فقط لكي تفتحه ولكني سأكون معك غدا ولن أتركك تترك نفسك تسقط في هذا الوحل.

سلام يا صديقي...

بهدوء تام وبقلب لا يعرف الأمان، وعقل متشقق بالكدمات فتح الصندوق وبدأ يسمع التسجيل الصوتي الذي به:

"أمجد اذا كنت تسمع لهذا فهذا يعني أنني لست معك ولا تحزن يا أخي، إنني أكيد في مكان أحسن، ومطمئن، إننا كنا نصلى دائما، ونحب الله كثيرا، كنا دائما نطلب حبه ورضاه عنا، ونبتعد عن ما يغضبه عنا، يقيني يخبرني أنه سيجزيني خيرا. لذا لا تحزن يا أخي وتذكر أننا وعدنا بعضنا البعض أننا سنحقق شئ مفيد، أننا سنترك بصمتنا، بالنسبة لي أنا فدوري انتهى قبل أن أفي بوعدي ولكن أنت ما زلت حيا ترزق، وعليك أن تكمل الوعد بدوني، هذا وعدك لي، إنني أترجاك أن تفي بهذا الوعد يا أخي.

إياك أن تنكسر من أجلي.. إياك أن تيأس بسببي.. إياك أن تفعل هذا من أجل وبسبب أي شئ.. لا شخص ولا شئ يستحق أن تخسر عمرك من أجله.. عش حياتك.. إنه عمرك من يضيع هباء..

اجعله مفيدا.. افعل كل ما كنا نتمنى أن نحققه.. على الأقل واحد منا يستطيع فعل هذا..

أتعدني يا أخي أن تحيا...

أبي أعرف أنه سيصمد سريعا جدا لأنه لن يترك فرصة أن يفقد ابنه الأخر لذا سيقاوم انكساره لحمايتك، متمسكا بك وعليكما أن ترعيا بعضكما جيدا.. أتعدني يا أخي..."

وهنا في هذه اللحظة سقطت أدمع على خديه ونطق "أعدك يا أخي" وفجأة رج البيت بأكمله بصوت آهاته وصراخه، وفي هذه اللحظة كان نور في الغرفة المجاورة وذهب مسرعا على صوته، بدأ حاضنا به، يحاول تهدئته وبالفعل تركه نائما بعد ساعة أو أكثر من الهياج، وهنا وضع نور وجهه بين كفيه باكيا بجانب والده قائلا:

- إنني أخسره يا أبي، ماذا علي أن أفعل؟ إنني لن أتحمل فقدانه أيضا، لن أتحمل يا أبي، سأموت خلفه.

- اصبر يا بني، وتحمل، تفائل خيرا.

- لا أعرف ماذا أفعل؟ هل أجلب له طبيب نفسي آخر؟

- نعم، إنه سيكون الثالث ولكن لنجرب.

- بالفعل علينا أن نجرب.

*****

" هناك خوف يقابلك ويواجهك في كل خطوة تخطوها، خوف يجعلك تستمر وتحاول لكن إياك أن تسمح له أن يخرج عن حده المحدد لأنه حينها سيصبح وحش فاحذر جيدا ولا تجعله يعكر صفوك أو يعطلك.. "

(13)

لقد ثقب

- سرحان في ايه؟

- ميس عهد..

- مش فاهم؟

- عايز أتقدم للميس عهد.

- حازم انت بخير؟

- أيوة أنا بخير!

- اومال بتقول كده ليه؟

- هتجنني مالك؟

- انت مش قولت مش عايز تتجوز تاني ولا أنا اللي قولت كده!

- قولت بس غيرت رأيي..

- وايه تاني؟

- هي بنت محترمه وتعاملها محترم ده غير إنها بتشغل في المدرسة كمان كاتبة، شخصيتها تحترم.

- ومستني ايه؟

- تفتكر هتوافق؟

- وليه متوافقش؟

- عشان هتقدم ليها وأنا من غير أهل ولازما يعرفوا كل حاجه عني، تفتكر هتوافق؟ أهلها هيوافقوا إنهم يجوزوا بنتهم لواحد عيلته متبرية منه؟

- جرب مش هتخسر حاجه ولازما تكون واثق من نفسك أكتر من كده ومتحطش السبب ده عقبه في دماغك.

- طب هتقدم ازاي؟ ده أنا معرفش بيتها حتى.

- الميس أسماء اللي بتشتغل في الإدارة ليها سنين كتير في المدرسة كلمها وخليها تقولها وتشوف رأيها.

- فكره حلوه، هعمل كده وربنا يسهل، المره ديه لازما أختار كويس، مش عايز أكرر التجربة اللي مريت بيها تاني.

- فعلا المره ديه هتختار بنفسك وحاول تختار صح المرادي، الانسان بيتعلم من أخطائه مش يكررها باحترافية، غلط في حاجه مش مشكلة بس يتعلم منها وميكررهاش تاني اما يستاهل كل اللي يحصله.

- صح، أنا هحط عيني وسط رأسي المره ديه، بس متنساش إني كنت عارف شخصية اللي قدامي ومستمر يعني في حالتي أنا مكنش خطأ الاختيار كان خطأ إني استمريت أنفذ كلامهم وأنا عارف إنه مش صح.

- تجربة وعدت اتعلم منها ومتوقفش عندها.

- وأهلك مش هتحاول تاني معاهم؟

- أفتكر بعد تفكير طويل عريض إن الأفضل والأريح ليهم إني أبطل محاولة وأدعي ربنا إنهم يرجعوا إلي.

- متأكد إن ده الحل؟

- أيوة متأكد فيه وقت بيجي عليك تتأكد فيه إنه بعدك عن الناس اللي بتحبهم هو الأفضل ليهم، أنا كل ما أحاول أكلمهم واسترضاهم بيتعصبوا ويتعبوا وبيكون باين عليهم، ومن غير ما أكلمهم برضه زعلانين يعني مفيش حل غير إني أبعد والأمر متروك لله يحله من عنده.

- ربنا قادر على كل شئ، قوم الحق كلم الميس أسماء وقولي عملت ايه؟

*****

وعلى الساعة الواحدة ظهرا وأثناء تناول الطعام في بيت الجد فوجئوا بأمجد يطرق الباب ويجلس معهم، كانت العيون محلقة به ونطق لأول مره مخاطبا عمه أن يعطيه العصير، الذهول عم على الجميع، إنه يتحدث، إنه هادئ وفجأة طلب أمجد من والده أن يتحدث معه.

- أبي أريد الذهاب إلى داهليا.

- ماذا؟ لماذا؟

- إنني أحاول أن أعود كما كنت بل أفضل، والهواء هناك جميل، مناخ داهليا سيساعدني أكثر، إنه مناسب لإعادة روحي، إنه مكان ملامس لقلبي، ويقويني، أريد الابتعاد عن الناس فترة ما حتى أعيد توازن نفسي، وأصل إلى السلام، أنا أحاول يا أبي وداهليا هي التي سوف تعيدني أقوى وأفضل.

تحدث نور مطمئنا:

- لا تكمل حديثك، أفهمك جيدا وستسافر لكن لن تسافر وحيدا، لن أطمئن هكذا سأسافر معك.

- ولكن عملك، إنني لا أريد أن أعطلك، عليك أن ترجع لعملك أقوى، أعلم أنك ممزق ومنهك لقد فقدت ابن، وفوق هذا متعب مقطع القلب من أجل حمايتي، لقد تعبت كثيرا يا أبي وعليك أن ترتاح قليلا.

- لذلك، لابد أن نسافر معا، لندع داهليا تصفي أرواحنا.

*****

دخلت عهد على سيدة كبيرة السن في مكتبها بالمدرسة عليها ملامح الحكمة والخبرة في مجال عملها والحياة عموما، ذات وجه مستدير، قمحية اللون، قصيرة القامة، محجبه، كانت قد أرسلت إليها أن تذهب إليها وها هي، فقالت تحييها:

- صباح الخير يا ميس ابتسام.

تحدثت السيدة مرددة:

- صباح النور يا عهد، اتفضلي اقعدي.

- بعتيلي ليه يا ميس؟

- طيب الأول تشربي ايه؟

- لا شكرا..

- براحتك أنا مش هغصب عليكي.. انتي عارفة يا عهد أنا ليا هنا أكتر من عشر سنين بشتغل هنا في الإدارة والناس هنا كلهم حبايبي وبقوا عيلتي.

بدأت عهد تفكر ما هو الموضوع الهام الذي تريد اخبارها به؟ فهذه المقدمة جعلتها تشعر بشئ غريب، نعم هي مقدمة بسيطة عادية لكنها توحي أن هناك شئ هام بعدها وقالت بأدب:

- ربنا يحبب فيكي خلقه.

تحدثت السيدة بهدوء:

- أنا جايباكي هنا عشان أتكلم معاكي في موضوع مهم، عارفة المستر حازم مدرس اللغة الألمانية في المدرسة؟

- آه عارفاه.

- جاني وطلب مني إني أبلغك إنه عايز يتقدم ليكي، وعايز يعرف رأيك، فايه رأيك؟

خجلت عهد في نفسها لكن لم تبين هذا امامها فقالت مسرعة:

- رأيي ايه؟ هو أنا أعرفه!

صاحت السيدة:

- انتي مش قولتي تعرفيه؟

تحدثت عهد موضحة:

- أيوة أعرفه شكليا، اسمه ايه وبيدرس ايه؟ بس مش أعرفه معرفة تخليني أقول رأيي في موضوع جواز.

قالت السيدة وقد فهمت:

- فهمت قصدك ايه؟ وعشان كده هتصل بيه يجي هنا وتتفقوا أكتر، أنا عليا إني بلغتك.

بعد خمس دقائق أو أكثر كان حازم يجلس معهما فتحدثت السيدة:

- أظن لازما تتفقوا انتوا الأتنين سوا.

تحدث حازم ببطئ:

- أنا كنت عايز أتقدم لحضرتك، فطلبت من الميس ابتسام إنها تبلغك الموضوع ده، فايه رايك؟

تحدثت عهد بهدوء:

- حضرتك جاي تسألني على رأيي وأنا معكرفكش طب ازاي؟ ثم مش المفروض انك تتكلم مع أهلي ونقول رأينا؟ الميس ابتسام على عنينا ورأسنا من فوق بس المفروض تتكلم مع أهلي، هتقولي معرفش العنوان هقولك الميس ابتسام بتشتغل في الإدارة يعني كان ممكن تعرف العنوان منها وتتكلم مع أهلي ده للناس اللي عايزين يدخلوا من الباب.

قام حازم من مقعده صائحا:

- قصد حضرتك ايه؟

لم تهتز عهد ولم تتحرك إنش واحد من مكانها وتحدثت بحزم وهدوء:

- قصدي واضح وصريح المفروض تتكلم مع أهلي، أنا ليا أهل لسه عايشين الحمدلله وربنا يخليهم ليا مش متوفيين لقدر الله عشان جاي تسألني رأيي ايه؟ كأنهم مش موجودين، ثم افرض لو قولت أنا لا وأهلي وافقوا أو قولت أنا أيوة وأهلي رفضوا وده مش ينفع يحصل قدام حد غيرنا ولا ايه يا مستر؟

صمت حازم وابتلع الكلمات في فمه وتحدث لنفسه قائلا:

- إنها على حق.. ايه اللي عملته ده؟

تدخلت الميس ابتسام مهدئة الجو قائلة:

- حصل خير يا جماعة.

قامت عهد من مكانها وتحدثت بنفس ثباتها الانفعالي:

- عن اذنكوا محتاجه أخلص حاجات قبل حصتي ما تبدأ.

خرجت عهد ثم التفتت واقفة في مكانها ملبية نداء ميس ابتسام التي سألت:

- ايه اللي حصل لكل ده؟

- ايه كل ده؟!

- ليه سخنتي الجو كده؟

تحدثت عهد بنبرة شديدة الحزم:

- أنا اللي سخنت الجو؟! بصي حضرتك أنا مش هبرر تصرفاتي ولا كلامي لإن كل حاجه واضحة لدرجة إني مستعجبة ازاي جاية تقولي إني أنا اللي سخنت الجو؟! أنا كنت بقول الأصول اللي المفروض تتعمل، كنت بوضح ازاي الصح يتنفذ وبأي طريقة؟ هو بقا مش عايز يمشي بالطريقة ديه يبقى براحته، ولا ايه حضرتك؟

لم تستطع أن ترد عليها وصمتت فإنها على حق في كل ما تقوله ودخلت للمستر حازم محدثة إياه:

- ايه أجبلك لمون بعد الغسيل ده؟ أنا أصلا اللي محتجاه قبليك.

- على فكره هي عندها حق في كل اللي قالته، مغلطتش في حاجه.

- هتعمل ايه؟

- هدخل من الباب مستحيل أضيع بنت زي ديه من إيدي.

*****

سأله وائل فرحا:

- قولي عملت ايه؟

- بوظت الدنيا وجيت..

- ليه؟ حصل ايه؟

- سألتها عن رأيها؟

- قامت فيا مره واحدة وقالت ليا أهل وبيت تدخل منه وتسأل عن رأينا وكلام كتير قالته خلتني مش قادر أرد عليها لإن معاها حق في كل كلمة قالتها.

- والميس أسماء كان رد فعلها ايه؟

- بقولك سكتتنا كلنا محدش عرف يرد عليها ولا حتى يعترض.

- شخصية قوية!

- جدا وده اللي عجبني أكتر.

- وهتعمل ايه دلوقتي؟

- هروح البيت من بابه.

- بجد بعد ما فحمتك!

- لا يمكن أضيعها من إيدي هي ديه اللي بتمناها..

- بس هتعرف عنوانها ازاي؟

- الميس أسماء عطتهولي وهروح بأسرع وقت.

- ربنا يوفقك...

*****

دخلت عهد غرفة أخاها صائحة:

- عرفت بالجديد؟

- وهعرف ازاي؟

- جاني عريس..

- انتي بتقولي ايه؟

- اللي سمعته.. وغسلته ونشرته على الحبل كمان...

- ازاي؟ وامتى؟ وفين؟ ومين هو؟

- هو مدرس لغة ألمانية بيدرس في نفس المدرسة اللي بشتغل فيها، وطلب من ميس تاني بتشتغل في الإدارة تبلغني إنه عايز يتقدملي واتصلت بيه وجه وسألني ايه رأيي؟ وأنا بقا قومت فيه رأيي ايه وأنا معرفكش؟ ثم أنا ليا أهل يتكلم معاهم وتسأل الرأي ولو على العنوان تقدر تعرفه من الميس، وقومت سبت المكتب وخرجت.

ضحك عمر وقال:

- بالرغم من حسن نيته بس معاكي حق..

- ده أنا خليته ما ينطقش.

- تفتكري هيعمل ايه؟

- معرفش بس كده أحسن.

- لو جه يبقى انسان متفاهم وعاقل وعايز فعلا يدخل البيت من بابه.

- أي كان بقا المهم عملت ايه في امتحانك؟

- هقفل المادة متقلقيش..

- أنا كده قلقت...

*****

جلس حازم وصديقه مع عمر وعهد والعائلة اليوم ستقرأ الفاتحة فتحدث حازم بهدوء:

- ممكن أسأل عهد عن سبب موافقتها عليا بالرغم إني من غير عيلة وجاي لوحدي وبصديقي وبس.

أخبره عمر بأدب:

- لسه مش مقتنع من جوابي ليك؟

- لا بس كنت حابب أسمع منها هي.

- رد عليه انتي يا عهد.

خرجت عهد عن صمتها تجاوبه:

- وانت ذنبك ايه؟ مش ذنبك حاجه عشان أرفضك، إنك جاي من غير عيلة مستحيل يكون ده سبب رفض.

- أنا كنت متوقع إني أترفض.

ثم توجه مسرعا يحدث العائلة جميعها:

- أنا بقول قدامكوا كلكوا إن وعد مني إني أحطها في عينيا الأتنين وهعمل كل اللي أقدر عليه إني أسعدها والحزن ميعرفش طريقها.

أجابه عمر مبتسما:

- واحنا مش عايزين غير كده.

قرأوا الفاتحة وعلت الزغاريط والفرح غمر المكان والسعادة اقتحمت القلوب وفي نفس حازم يدعوا الله أن يرزقه بحياة جميلة.

*****

أيقظ عمر عهد قائلا لها متوترا:

- اصحي يا عهد.. اصحي..

- ايه؟

- بابا وماما بيتخانقوا وشكل الخناقة مطمنش.

- اديني قايمه.

وقفوا خلف الباب فكانت المشاجرة على السلم في الدور الثاني واشتدت إلى أن وصل الأمر أن والدهم ضرب ووالدتهم فخرجوا سريعا ليبعدوه عنها وأثناء محاولاتهم ليبعدوه عنها ووسط هذا كله خرج صوت يصرخ وجسدا يحاول أن يتمسك بالسلم لم ينجج في الامساك به ويهوى على السلم ساقط إلى آخره ساكنا في النهاية متألما، فصاح صوت آخر ينادي:

- عهد.. عهد..

كان عامل الوقت ومفاجأة الموقف لم يستطيعوا انقاذها قبل أن تسقط فاستمر عمر مناديا صارخا بها:

- عهد.. رودي عليا أنا عمر.. عهد...

كانت عهد في عالم آخر جبالا من الآلآم داخلها تسمع ما حولها لكن كان هناك من يعجز لسانها عن الحديث إلى أن فقدت وعيها من شدة الألم، طلبوا الاسعاف ووجدوا أنفسهم منتظرين الطبيب ماذا سيخبرهم؟ استمروا في تضرعهم إلى الله كانت والدتها تبكي وتبكي وأخاها صامت متوتر، خائفين من المجهول ماذا سيحدث لها؟ إلى أن خرج الطبيب فأسرع عمر سائلا بقلق:

- طمني يا دكتور؟

- هي كويسة فيه كدمات جامدة وده طبيعي من أثر وقوعها من على السلم بس هتبقى كويسه.

تنهد عمر بالطمأنينة وشكر الدكتور كثيرا وشكرت الوالدة ربها كثير وهي تبكي، ساعات وكانت عهد مستيقظة ويعلمها عمر بكل ما جرى، في هذا الوقت لا يوجد مجال للتفكير كيف يتصرفون مع والدهم استبعدوا التفكير فيه الآن المهم أن يطمئنوا على عهد،بعد وقت ما أرادات أن تذهب للحمام لكن لم تستطع تحريك قدميها حاولت كثيرا ولم يجدي الأمر بالفعل كانت تشعر بشعور غريب منذ استيقاظها أنها لا تستطيع الحركة لكن وصفته بأنه ثقل من تعبها، جاء الطبيب محاولا أن يرى بنفسه، ساندوها حتى تصبح واقفة وعندما تركوها ببطئ كادت أن تقع لولا أنهم أسرعوا إليها يساندوها. تغير موعد خروجها اليوم واستبدل لغير محدد وذهبت لعمل الأشعة حتى يتبين ما يحدث؟

*****

" عندما التاريخ يذكر تصمت الأفواه للإنصات وتركز العقول للإدراك وتنبض القلوب فخرا.. "

(14)
داهليا

بعد ثلاثة أيام بالتمام كان نور وأمجد في داهليا بعد أن استطاع نور أن يظبط عمله ويتابعه من هناك، وبعد يومين بالتحديد كانوا الإثنين يسيرون في طرق داهليا وجلسوا عند البحيرة حيث كان كل شئ ملون، كانت تحفة فنية، ومروا أمام الغابة والتي كانت ساحرة، لا توجد كلمة لوصفها.

صاح نور منبهرا:

- حقا إن لداهليا جمال حازم مميز، ما هذا؟

جاوبه أمجد:

- إنها غابة داهليا، تتميز بسحرها الخاص.

- إننا لابد أن ندخلها، سنبلغ أشخاص مرشدون حتى نستطيع دخولها، وحراس حتى لا يحدث شئ سئ.

- للأسف لا نستطيع دخولها، وهذا سر سحرها كأنها تجذبك لدخولها.

سأله نور مندهشا:

- كيف؟ ولماذا؟

- توجد أسطورة هنا حول الغابة أن من يدخلها لا يخرج أبدا ولا أحد يعرف السبب حيث من يكتشفه لا يعود. لا أحد هنا استطاع أن يفسر سبب هذا، ولا أحد يقترب من الغابة نهائيا بعد هذا الحاجز الذي وضعته الشرطة. وكما ترى رجال الشرطة منتشرون حول الغابة، يمنعون أي شخص من دخولها.

- لماذا؟ لا أفهم شيئا.

- سأعلمك يا أبي: يذكر التاريخ على مر القرون أن عدد الاختفاءات تكاثرت بعد دخول الناس الغابة إلى الحد الذي بدأت الاجراءات الأمنية تكتشف هذا الأمر ومنع أي أحد بدخولها، وبدأ التعامل مع الأمر بجدية، والاجراءات السلامة وخصوصا في يوم من كل سنة، تتراقص الغابات بطريقة لا توحي بالخير، تكون الرياح شديدة بداخلها، ونسمع صوت الأشجار وهي تهتز، والرياح أيضا تشمل البلدة كلها إلى الحد الذي يشعرك أن البلدة تنهار وستختفي عن الوجود يصل الأمر إلى الحد الذي تشعر منه أنه آخر يوم لبقاء هذه على البلدة على الخريطة، تشعرك أن البلدة ستمحى عن بكرة أبيها.

وفي هذا اليوم بالذات رجال الشرطة نفسهم يبعدون عن هذا المكان، في هذا اليوم بالذات الكل يعتمد على نفسه حيث رجال الشرطة، والاطفاء، والأطباء، كل شخص في أي عمل كان لا يخرج من بيته أو مبناه أو أي مكان هو فيه لأنه لو خرج لن يعود.

من بعض الإجراءات الوقائية أن المريض الذي يعالج باستمرار ومن الممكن أن يتعب في أي لحظة، يذهب إلى مستشفيات البلدان المجاورة قبلها بيوم، في هذا اليوم تنقطع الكهرباء عن البلدة كلها لأن لو حدث حريق أو ماس كهربائي بفعل الرياح والهواء الشديد أو أي سبب كان فلن يوجد أحد يستطيع ايقافها، لا أحد من رجال الاطفاء يستطيع أن يخرج أو السكان من جحورهم، وحتى لو خرجوا سيختفوا ولن يتوقف الحريق، لذا في هذا اليوم يتم فيه اجراءات كثيرة. في هذا اليوم تصبح داهليا بلدة من العصر الحجري.

في هذا اليوم الكل يكون مسؤول عن نفسه، الكل يعتمد على نفسه، لن يوجد شخص أو شئ سوف يساعدك، لن تجد الا الله معك حاشاه عن أي مقارنة. الكل يبقى متكورا على نفسه في جحورهم، حتى الشباك لا يفتح.

تحدث نور منصدم مما سمع:

- يا الهي... كيف يحدث هذا؟ ولما نحن هنا؟ هيا لنغادر، لن نمكث في هذه البلدة ثانية واحدة.

أكمل أمجد موضحا:

- اطمئن يا أبي، هذا يحدث في يوم معين من السنة يوافق الثاني عشر من شهر أغسطس ونحن في شهر مارس أي أننا بعيدين تماما عن هذا اليوم.

- ولماذا الناس يصبرون على هذا؟ فليتركوها! لماذا الأمن هنا يعمر هذه البلدة؟! من المفترض أن تترك ويضعون رجال الشرطة على حدود البلدة لكي لا يدخلها أحد بتاتا، وتصبح منطقة محظورة، لماذا يستحملون أمر كهذا؟!

- بالفعل يوجد أشخاص كثيرون يتركوا البلدة في اليوم الذي يكون قبل اليوم الملعون ويرجعون في اليوم التالي ولكن إن داهليا لها سحر خاص، تجعلك تتمسك بها أكثر وأكثر.

- جاوبني أنت ماذا شعرت عندما أتيت لهنا؟

- كنت صغيرا للغاية لم أدرك شيئا لكن عندما كبرت وفهمت وأصبحت مدركا أحسست بشعور من الأمان يغمرني، بالراحة، أن قلبي سكن، أن بداخلي سلام نفسي، أصبحت صافي الذهن، تمنيت أن أمكث هنا دائما. غير أني لاحظت أن التعامل هنا مختلف، الكل يتعامل بمحبة، انضباط كبير، الناس هنا سعداء.

وهذا سحر داهليا لا أحد هنا يستطيع أن يأذى أحد بعمد، لأنه لو فعل، لن يعيش. ستجده بعد يوم واحد اعترف بجريمته من نفسه وبعد اعترافه يختفي من أمامنا كأنه لم يكن، لذلك لا أحد يستطيع أن يسرق، أن يقتل، أن يأذى سواء ماديا أو جسديا أو نفسيا ومن يفعل هذا بدون قصد، يعترف بجريمته ويدخل السجن.

ومع الاستمرار بهذا الحال أصبحت طبيعة النفس جيدة، جميلة، اعتادت النفس على الجمال، الفعل، الخير، المحبة، ستجد هنا الهدوء، وعدم السرعة في كل شئ، إن

العالم اليوم شعاره الصادر "لا تقف ثانية واحدة حتى لا تفقد القطار.. إن العالم اليوم سريع للغاية وعليك أن تسبق السباق.."

لكن هنا يقول لك "أنت لست آله.. انك انسان.. لست آله، تعمل طوال اليوم من هنا وهناك حتى انك لا تجد الوقت لكي تفعل شئ تحبه، أن تخلو بنفسك، أن تقف ثانية، تأخذ فيها نفسك." وبالرغم من ذلك إنها متقدمه علميا وفكريا وتكنولوجيا، متقدمه في جميع المجالات.

من قال أن سبب التقدم السرعة بل التفكير والإرادة.

من قال أن البقاء للأقوى بل البقاء من يستخدم عقله.

من قال أن البقاء للأذكى بل المفكر.

شعارات كثيرة نؤمن بها ولكنها خاطئة وتحتاج للتغيير.

هذه البلدة يا أبي قوية متميزة بتعليمها وبتقدمها، كل هذا سبب كافي لتمسك الناس بها.

سأله نور مستفسرا:

- كيف كنتوا تتصرفوا في هذا اليوم؟

- طبيعي للغاية كنا نمكث في غرفتنا ولا نخرج في هذا اليوم ابدا، ولا نقترب من الغابة الا في هذا الموضع الذي نقف عليه في باقي أيام السنة.

- حقا إنها غريبة ومرعبة.

- هذا لأنك لم تتعود عليها إلى الآن، اصبر وستعشقها.

- هيا نذهب من هنا، إنني جوعان.

- وأنا أيضا يا أبي.

*****

في هذه الليلة جلس أمجد يفكر، لماذا لا يدخلها؟ إنها مغامرة حقا ولكن ماذا سيخسر؟ إنه خسر روحه الآن، لم يتبقى له شئ. وما معنى الحياة بدون مغامرة؟ علينا أن نغامر أحيانا إن كنا نريد شئ ما، علينا أن نخاطر للوصول إلى أمنياتنا.

تحدث لنفسه بصوت مرتفع:

- كيف سأدخلها؟ فالشرطة ملتفة حولها من كل جانب وأبي لا أريده أن يعرف أني سأذهب إلى هناك، لن يقبل بالتأكيد لذا ينبغي علي أن لا يتعرف علي أحد، أني سرت إلى هناك ودخلت الغابة.

*****

تكلم عمر مع الطبيب ليفهم ما يجري؟ فتحدث الطبيب قائلا:

- كل التحاليل والأشعة أثبتت إن مفيش حاجه مصابة تأثر على رجليها ومتقدرش تمشي كل حاجه سليمة.

- اومال ليه مش قادرة تمشي؟

- يبقى السبب نفسي مش جسدي.

- والحل؟

- تتعرض على دكتور نفسي ونعرف المشكلة النفسية وتتحل وبالعلاج الطبيعي ترجع تمشي تاني باذن لله..

- يعني هي هتخرج دلوقتي؟

- أيوة تخرج واتابع مع الدكتور نفسي وهو اللي هيحدد ايه اللي يحصل بعد كده بالاتساق مع دكتور علاج طبيعي.

- شكرا يا دكتور..

أخبر عمر والدته بكل شئ بعيدا عن عهد، فقالت والدته بعد بكاء شديد:

- أنا السبب.. أنا السبب..

ترفق عمر بوالدته فأراد تهدئتها قائلا:

- لا حضرتك مش السبب هو السبب هو اللي عمره ما رحمنا ولا فرحنا هو اللي تعبك طول عمرك وبيكمل علينا دلوقتي، هو اللي زقها من على السلم هو السبب في اللي احنا فيه دلوقتي. انتي انسانه عظيمة فضلتي مستحملة وصامدة عشان احنا نعيش ونفرح، بتصرفي علينا بتضللي علينا استحملتي حاجات كتير عشان خاطرنا، لا اوعي تفكري انك السبب ابدا.

- لا يا بني أنا السبب أنا مرضتش أطلق عشان زي ما بيقولوا "ضل راجل ولا ضل حيطة" وادينى طلعت غلطانة مكنش ورايا راجل ابدا يسندني ويحميني، مرضتش أطلق عشان محرمكش من أبوكم بس اديكم محرومين، عيشتكم في حالة نفسية سيئة وادينا اهو أختك في المسشفى وأنا السبب، لو كنت اطلقت كان هيبقى الوضع غير كده، أيوة هتقابلنا مشاكل تانية بس مكنتش هتبقى أختك مش قادرة تمشي.

- لا لا مترميش اللوم عليكي هو السبب في كل ده، اوعي تفكري كده، انتي ست عظيمة وطول ما احنا مع بعض هنعدي أي حاجه تحصل، كوني قوية عشان نقولها لازما تعرف لازما تلقانا واقفين صامدين في وقت انهيارها.

ذهبوا بقلوب متثاقلة يخبروها هذا الأمر، ما أصعب أن تحمل هم اخبار شخص عزيز عليك بأمر كارثي هد حياته، كانت عهد صامتة للغاية صموت غير متوقع لم

تبكي لم تصرخ كأنها لم تعي ما قيل لها! ظلت صامتة تتحدث طبيعي جدا وهذا ما حير والدتها وأخاها!

*****

ذهب عمر إلى البيت ليجلب ما تريده والدته ولكنه دخل غرفة أخته وأخذ ينظر إلى كل شئ، جلس على مقعد المكتب ولم يستطع أن يملك نفسه فبدأ بالبكاء لا يعرف ماذا يفعل الآن؟ شعر أنه عاجز لا يملك أن يفعل شئ، أيقتل والده لكن البر يمنعه.. أيسجنه على فعله لكن عليهم أن يكونوا الأفضل.. لم يعلم ماذا يفعل؟ والشئ القاتل أنه لم يسأل عن ابنته مرة واحدة على الأقل، كان متوقع على الأقل أن يلين لكن هيهات إنه لا يعرفه حقا.. استمر في البكاء والنشيج أكثر، كان متألما للغاية وأثناء بكائه رأى دفتر ملون جذبه اسم عنوانه "أبواب" احتل حس الفضول كيانه وفتحه ببطئ وبدأ يقرأ:

*****

* دفتر *

" هذا الدفتر سيكون مثابة وصف للثواني والدقائق والساعات والأيام والأسابيع والشهور والسنوات والدهور، سيكون وصف للحياة للمواقف للذكريات للمستقبل، سيكون وصف لكل شئ وأي شئ.. "

" أتعرف عش العصفور فالقش يكون جزء من محتواه وهذا هي الحياة.. حياتنا عباره عن عش نبنيه ونحميه ونطوره ونأمنه ونعيش فيه بكل ما نلاقيه.. "

قشة 1

ما الحياة الا أبواب، وخلف كل باب حكاية تعاش وقصة تروى، أبواب منتظرة من يفتحها ويحياها بكل ما فيها منتظرة الانسان، فإذا كنت أنت خائف أن تتحرك من مكانك فمن سيفتحها؟

هنا باب وهناك باب وفي كل ركن باب يتشكل على هيئة قرار تحدده بنفسك واختيار تأخذه بوعيك ودرب تسلك فيه بإرادتك، وفي كل قرار واختيار ودرب قصة تعاش وتحفر على جدران حياتك تكتب على مر عمرك، وتستمر بتغيير الأبواب فليس هناك باب يستمر معك من نضحك من بدئك لادراك الوعي حتى الممات فأنت تدخل عدد لا نهائي من الأبواب، باختلاف القرارات والاختيارات والدروب تختلف الأبواب بعضها يحوي نجاحات أو اخفاقات أو آلآلآم أو أفراح أو حب أو صراعات وأشياء كثيرة تدرك بالعقل وتشعر بها بالقلب، كل باب بداخله حكاية معتمدة على قرارك، وإن لم يعجبك هذا الباب تغيره بباب آخر تتقلب الأبواب سريعا بتقلب الظروف والمواقف والمشاعر.

قشة 2

هناك نكسات.. هناك نجاحات..

هناك تعاسات.. هناك ضحكات..

هناك حزن.. هناك بهجة..

هناك احباط.. هناك أمل..

هناك انكسار.. هناك شموخ..

هناك هزيمة.. هناك انتصار..

هكذا تكون معنى الحياة، لن تشعر أنك حي الا أن تدرك الموت، لن تذوق حلاوتها الا بعد أن تذوق الألم، لتشعر بالسعادة عليك أن تعيش الحزن، حلاوة الحياة تكمن في مرارتها..

قشة 3

العلاقات معقدة.. فاحفظ نفسك جيدا وأنت في دوامتها.. فترك نفسك بداخلها دون حرص.. لن تجد الا روح مقطعة..

حين تدور في دائرة ماذا فعلوا؟ ولماذا فعلوا هذا الأمر؟ وهل استطاعوا فعلها؟ كيف فعلوها؟ ستخسر روحك.. فارحم نفسك.. في هذه الدائرة لن يخسر أحد الا أنت.. ستخسر روحك التي حرقتها من أجلهم.. ستخسر نفسك التي أنهكتها من أجلهم.. ستجد أنك استنفدت طاقتك بأكملها بل وأخذت من الرصيد المضاف أيضا.. وترى نفسك وأن تقع خوار القوى.. فارحمها قليلا.. أحب نفسك.. أنت تستحق الأفضل.. تستحق من يحبها بمميزاتها وعيوبها.. تستحق أن تقبل كما أنت.. تستحق أن تحب كما أنت.. ولأنك انسان فأنت تستحق كل ما هو أفضل..

قشة 4

سأسامح.. سأغفر.. لا لم يحصل شئ.. لا يهمك الأمر.. إنه بسيط.. لا لم يضايقني.. لا لم أتألم..

كلمات قليلة لكنها تحوي بحورا من العذاب، غابات مظلمة يعمي من يحاول أن يقتحمها، تراكمات وتراكمات تزداد يوما بعد يوم، كلمة تقال وتصحبها هل تضايقت؟ وتتم الإجابة عليه لا لم أتضايق، لماذا تكذب؟ لماذا تخبي؟ لماذا تراعي؟ تراعي من؟! تراعي من هونت عليه! تراعي من لم يرعاك! تقهر نفسك وتكتم بداخلك من أجل من؟ ولماذا؟

أنت انسان تستحق أن تحيا حياة جميلة.. لك حرية الاعتراض.. إنه حقك لا تتركه، ولا تعذب نفسك كثيرا.. إن كان من أمامك يستخف بك أو لم يتحلى بالذوق أوقفه عند حده.. احترامه لك سيف على رقبته، إن قلل منه يدركه السيف.. لا تعذب نفسك من أجل شخص لا يهمه أمرك..

قشة 5

في هذا الزمان إياك أن تثق في أحد، نحن أصبحنا نعوم في بئر الكذب.. ولا أحد برئ.. لا أحد برئ يا صديقي.. الكل منغمس في قاعه.. والصدق أصبح جريمة يعاقب عليها حاملها أن يتلوى من العذاب طوال عمره.. والقليل القليل من يحملها..

بقينا في حال أن الصدق أصبح جريمة.. والنقاء غباء.. والطيبة جنون.. وصلنا لحال أننا نستهزأ بمن يحملهما.. لا نضع لهما حسبان.. أصبحنا نضع ألف حساب وحساب لمن يتلون بالكذب والخداع والمكر والخبث أصبحنا نقدرهما.. وندوس بأقدامنا على الصدق والنقاء والطيبة.. الكل منغمس في القاع.. يفطرون الكذب.. ويتغدون الخداع.. ويتعشون المكر.. ويحلون الخبث..

قشة 6

داخلنا شق سحيق.. لا يصغر.. لا يلئم.. بل يكبر ويكبر.. يتمدد ويتمدد.. محطما بداخلنا أشياء تطفينا.. تفقد أرواحنا..

هناك مواقف تحدث لنا نكتمها ولا نبدي عليها أي فعل، بازدياد الأحداث وانعدام أي رد فعل منا ينتج شق يتوسع ويتوسع، يتكون جبل من التراكمات والتراكمات فوق النفس، ينفجر هذا الجبل في أي وقت حتى عند حدوث حدث صغير، هذا الشق يطفي معنى الحياة، يجعلنا لا نشعر بمتعتها، نسير بلا روح..

قشة 7

بداخلنا روح ثائرة، قادرة على الوصول إلى القمر بمجرد أن تكون مستعد..

بداخل كل انسان روح هائجة، تمسك الشمس بين يديها فقط عندما تريد، أنت فقط تعرف متى تخرجها؟ وكيف؟ طاقتك لا حدود لها إذا كنت تعلم ما تفعله..

قشة 8

لكل روح طاقة ولكل طاقة شحن ولكل شحن آخر ومع كل آخر قفل، يمنعك من الوصول إلى المميزات والسعادة، يمنعك أن تذوق حلاوته، يبعدك عن كيانه المضئ وجوهره النقي، حيئنذ ستندم على ما فعلته، ستدرك أهمية ما كان بين يديك وضيعته بإرادتك..

قشة 9

سلب رمز الثعبان من العلم الصيدلي، ووصم به رمزا للانسان، فهنيئا لنا..

نقف اليوم نطلب من الحيوانات صفات امتازها الانسان، نطلب منهم الوفاء والحب والعطاء والمرح ونستأنس بهم ونشعر بجوارهم بالامان، انقلبت القافية، لم نعد نرى الحيوانات في الانسان اليوم..

قشة 10

ظلمنا أنفسنا حين حرمناها من شغف العلم وأصبحنا نغوص في محيط الجهل..

ظلمنا أنفسنا ظلم فادح حين حرمناها من العلم، من فضوله، حرمناها أن تسافر إلى عالم آخر من المعرفة والشعور بقوة العلم، وغوصنا في الجهل فرحين، جعلنا أرواحنا تترك القيمة وتتنعم في اللاشئ..

قشة 11

الآن أصبحت كل الوجوه عارية، كاشفة قبحها، نواياها السيئة بعد سقوط قناعاتها، سقطت قناعات الحب العظيم والاهتمام الكبير، قناعات مضحكة محببة وابتساماتهم العذباء، سقطت قناعات الجمال والامان..

رفع الستار وانقشع الغمام عن العين، وتفتحت الأعين كطفل يفتح عينيه لأول مره يتعرف على العالم الجديد يتعرف على شخوصه، كمن فقد البصيرة وردت إليه، الآن أصبحت أرى ماذا تسمونها؟ كنت أرى بعين القلب والآن أصبحت أرى بعين العقل والقلب، رأيت ما لم أره من قبل، رأيت الخباثة تنطق، رأيت وجوه حرباء، وابتسامات مرسومة، وضحكات مزيفة، واهتمام كاذب، سقطت القناعات وكشفت قلوب سوداء، وأعين حقودة، وأرواح تأخذ بلا عطاء، ووجوه ذابلة من عدم الحب، هذا كله كان خلف الستار المسدول وعندما رفع رأيت الجحيم..

قشة 12

اليوم وقف الشيطان عاريا من هويته، مسلوبا اسمه، ومن سرقه؟ هم البشر، فهنيئا لكم الاسم الجديد "أباليس"..

وقف يبكي مسلوبا، خائفا، وقف حائرا بلا اسم، عاطلا بلا عمل، ويستمر في السؤال: ماذا سيكون عملي بعد اليوم؟ أريد اسمي.. هم سرقوه مني، أريد اسمي.. سرقوا أيضا عملي.. ماذا سيكون اسمي؟ ماذا سيكون عملي؟

قشة 13

ونستمر في السؤال الصداقة نعمه أم نقمه؟

علينا أن نتركها لظروفها وسندرك وقتها...

قشة 14

لا تتهموني بالتعيس.. وأنتم لم تعرفوني.. لا تصفوني بالكئيب.. وأنتم لم تعلموا ما حدث بي.. ولا تستهزوا بصعابي.. وأنتم لم تمروا بها.. ولا تقللوا من آلآمي.. وأنتم لستم أنا..

قشة 15

قيل أن الخبرة بالكبر ولكن كيف؟ فنحن ما زلنا صغار ونشعر وكأننا لنا مائة عام..

قشة 16

لا تتهموني بأنني منعزل ولم تعلموا جوهر مما حولي..
ولا تلوموني بأنني لا أحب الناس ولم تعلموا عما فعلوا بي..
فأبقوا حديثكم في أفواههكم إن كنتم واعون..

قشة 17

حسن الظن ما هو؟ سنجد كثيرا أشخاص يحكمون ويحكمون ولم يظنوا خيرا، سنجد كثيرا أشخاص يقولون كنا نحسبك شخص سئ ولكنك كنت العكس، أظنوا خيرا ماذا ستخسرون؟

قشة 18

لا تبكي على صديق هوى..

لو كان خيرا لبقى..

قشة 19

وأدركت أخيرا أن هذا العالم لا مجال للطيبة به..

قشة 20

هنا في القلب ثقوب لم تغلق بعد..

" وقعنا في الحب ففقدنا البصيرة وعندما رددت لنا من كثرة الخيبات أصبحنا نلعن هذا الحب ألف مره.. "

(15)

غابة

بعد عدة أسابيع من خروج عهد من المستشفى وبدأت تتابع مع الأطباء والعلاج الطبيعي دخل عمر إلى غرفتها، كانت عهد ممددة على السرير لكنها كانت مستيقظة وساعدها على الجلوس، وقال:

- أتعلمين أنك موطني يا أختاه ولن أترك موطني يقع، سأظل دائما في ظهرك، سأدعمك بكافة الطرق، إنني أخاك إنني سندك لكن عليك أن تكوني قوية، أريدك أن لا تنتظري من أحد شئيا، أريدك أن تعيشي حياتك بنفسك، ثم أنني لن أظل لك إلى آخر العمر قد يحين موعد موتي في أي لحظة وتظلي بمفردك فعليكي أن تقوني قوية معتمدة على نفسك.

ما زالت عهد على صمتها فاستمر عمر قائلا:

- لقد أعطيتك عدة أسابيع تبكي وتحزني كيفما تريدي لكن من اليوم عليك البدء بعيش حياتك، إلى متى ستظلي تحزنين؟ بيدك أن تنهي حياتك وبيدك تحققين المستحيل.

نطقت عهد بعيون مدمعة:

- أنا....

- أنتي قوية ألم تعلمي ذلك؟ استطعتي أن تتخطي تصرفات والدك وصمدتي أمام الحياة ووجدتي عمل وتخطيت أذية من افتكرتهم أصدقائك كل هذا يثبت أنك قوية، ثم هذه هي الحياة محن واختبارات وعلينا بالتغلب عليها ومواجهتها، هذه محنة آخرى وعليكي بالصمود لا تقعي الآن.. أختاه لقد حرمت من الأب فلا تحرميني من الأخت..

قالت عهد متثاقلة الحديث:

- لكن هذا صعب للغاية لقد فقدت أرجلي لا أستطيع السير الآن كيف سأعيش حياتي؟

نطق عمر متلهفا:

- لقد فقدتي أرجلك لكن لم تفقدي عقلك وقلبك.. بالإرادة تستطيعي فعل أي شئ تريديه لكن خذي القرار وستحققي المستحيل..

- وأنا مستعدة، لا أريد أن أجلس في السرير طوال حياتي.

- هذه هي أختي التي أعرفها..

ضحكت عهد قائلة:

- بس ايه اللغة العربية الفصحى ديه! من امتى وانت بتتكلم بيها؟!

- ايه رأيك؟ قولت عشان أعرف أقنعك أكتر.

- لا ممتاز وتاخد 5 من 5 كمان.

*****

في مساء الساعة الثامنة مساءً دوى انفجار ماهولا مكونا من عدة ألعاب نارية كبيرة في السماء وشخص يجرى نحوهم يبدوا أنه فتى في السادسة عشرة عاما ويطلب النجدة.

وكلما يقترب من الغابة تطلق أعيرة جديدة في عدة أماكن مختلفة، أقبل عليه اثنان من الشرطة مسرعان ليساعدانه حيث كان مشتعلا بالنيران، كل هذا في أقل من دقيقة، كان الطفل يتلوى على الأرض بسرعة رهيبة بطريقة هيسترية وأخذا يجري في كل مكان حتى بدأ يجري اتجاه الغابة كانت تصرفات الطفل مع النار المشتعلة مع

عدم وجود أي شئ لتغطية النار كانت كافية لعدم رد فعل غير الذهول، فحينئذ جرى الطفل اتجاه الغابة بطريقة ملتوية فكان شئ طبيعي للغاية وأخذوا ينبهونه أن عليه التوقف وجروا خلفه ولكن كان أسرع فدخل الغابة وقد توقفوا هما عند موضع معين لن يستطيعوا دخولها حتى اختفى من أمام أنظارهم.

لم يستطيعوا فعل شئ أمام كل هذا وبدأوا يتبادلون الاتصالات، في نفس الوقت كان أمجد قد توقف بعد مسافة كبيره في الغابة ضاحكا يلهث من سرعته المفرطة ومن فرط المجهود الذي بذله، وبحركة سريعة ألقى ملابسه والتي كانت ضد النار لا تصيبه بأي ضرر ورفع أيضا الغطاء عن وجهه إنه استطاع أن يخدعهم ببدلة ضد النار مثل التي تستخدم في السينما والألعاب النارية كأنه احترق.

أمجد تحدث مع نفسه هامسا:

- الآن إلى أين أتجه؟ وماذا سيحدث؟

سارع بالرد على نفسه ضاحكا من الرد على سؤاله كأنه يضحك على مدى غباء عقله؟

- ماذا سأفعل؟ سأتغول أكثر وأكثر فيها.

بعد ساعتين من السير في الغابة يتخبط في أي طريق بلا هوادة كان أمجد لا يتوقف عن الحديث مع نفسه يسليه يجعله رفيقا أكثر وأكثر يكسر جبل الصمت الذي يلف حوله حتى توقف على صوت رياح قوية وصوت اهتزاز الاشجار يزداد، فصاح سائلا:

- من؟ ماذا يحدث؟

من؟ من؟

لم يهتز أو حتى يقلق أو يتوتر في داخله.. جاءه صوت غليظ لا يعلم من أين؟ مرعبا إلى حد الموت لكنه متوجه لشخص قد غمره حس المغامرة إلى أبعد ما يكون حتى لو كانت حياته من ستدفع الثمن:

- كيف تجرؤ على دخولي غابتى؟

جاوبه أمجد بكل هدوء وثقة:

- هذه ليست غابتك إنها غابة داهليا ملك لكل شخص وليست ملك لشخص واحد ليست محتكرة لأحد.

زاد غضب صاحب الصوت قائلا:

- إنها غابتي، مملكتي كيف تجرؤ على دخولها؟!

- لا أرى هنا لافتة كتب عليها اسمك أو أي شئ يوحي بأنها ملكك.

صاح صاحب الصوت ينفجر غيظا:

- كيف تحدثني هكذا؟! إنها غاب....

قاطعه أمجد بحزم:

- وكيف تريدني أن أحدثك؟ أركع أرضا تبجيلا لك! وهذا لن يحدث لأنني لن أركع الا للربي خالقي "عز وجل" أم تريدني أن أرتجف خوفا منك؟! وكيف أرتجف وأنا لا أخشاك؟ كيف أخشى والله معي؟! أم تريدني أن أتوسلك لأجل الا تقتلني وتعفو عن حياتي! لا لن أتوسل لأحد، إنها حياة واحدة اما أحياها بشرف أو لا.

- الا تخاف مني!

- أترى إنني دخلت الغابة بكامل إرادتي بكامل وعي وإدراكي إذا أنا لم أتي لطلب التوسل أو الارتجاف هنا ولم أتي لأقتل أيضا إنني أتيت لهدف معين وسأناله وأذهب لذا لا تضيع الوقت في حديث فارغ انك ما الا جبان تتغذى وتستمد قوتك من خوف

كل من أتى إلى هنا انك شخص قد تم أذيته ولم يستطع فعل شئ لذا قرر أن يأذي غيره اعتقادا منه إنه سيلغي شعوره بالضعف والعجز والحسرة هذا الشعور الذي ينهل من الإنسان نهلا بلا رحمة أو شفقة، اذا أيما تكون عليه الآن لا أخاف منك ولن تستطيع سلبي إرادتي وقوتي.

خرج صوت هادئ من صاحب الصوت:

- انك شخص مختلف لست كغيرك ممن دخلوا إلى هنا حتى أقواهم خاف أيضا كانوا يترجوني لكي أتركهم أحياء.

رنت ضحكاته الأرجاء، ثم أكمل قائلا:

- انك تمتلك قوة نفس كبيرة وأنا أحييك على هذا، كما أن هناك شئ آخر. تتكلم عن الضعف والعجز وأنت المثل كذلك! هناك شئ دمرك شئ فقدته وعندها أصبحت تتخذ المغامرة كتحدي حتى لو كانت على موتك.

ماذا خسرت؟ ماذا فقد منك؟

*****

جاوبه أمجد بحزن:

- إنه أخي.

- كيف توفى؟

- حادثة سيارة، لقد صدمته سيارة.

- ولم تفعل شئ لأخذ حقه!

- ماذا أفعل؟ قد تم تحقيق عدالة أخي من قبل الشرطة لذا تم اتخاذ حقه.

- انظر إنني لن أقتلك، أتعرف لماذا؟

صمت أمجد ولم يجب.

- لأنك تعجبني، شخصيتك مميزة لا أعرف ماذا حدث لي؟ لكني أشعر أني ترابطت معك، إني أريدك بجانبي لذلك لن أقتلك وستكون أول شخص يخرج من الغابة حيا وكذلك سليما، هيا اخرج...

تحدث أمجد متحديا:

- لا إنني لن أخرج منها حتى أعرف ما جئت من أجله.

- انك عنيد حقا أي شخص مكانك لكان اغتنم الفرصة وهرب وهذا يثبت تميز شخصيتك، هيا اذهب خارجا ولا تختبر صبري وودي إليك أكثر من ذلك.

صاح أمجد بنبرة صوت قوية للغاية:

- أنا لم أترك أبي وأوهمه أني سافرت إلى سابو لكي أستطيع أن أجلس أكثر بمفردي وأنا أعلم جيدا أن هذا سيقع عليه بحزن شديد وسيذهب خلفي، ولم أنفذ خطة الألعاب النارية والبدلة المضادة للنار حتى أستطيع الهرب من رجال الشرطة وأستطيع دخول الغابة ودون أن يعرفوا هويتي حتى أعود خالي الوفاض، وكل هذا يضيع هباءً لا لن يحدث.

رد عليه صاحب الصوت هادئا كأنه يستمتع بهذا الرفيق الذي دخل قلبه قائلا:

- حسنا وماذا تريد أن تعرف؟

- لماذا الغابة من يدخلها لا يعود؟ لماذا في يوم الثاني عشر من شهر أغسطس من كل سنة لا أحد يستطيع أن يخرج من بيته ولا يعود من يخرج؟ لما في هذا اليوم تحدث كل الأشياء الغريبة؟

لماذا داهليا لا أحد يرتكب جريمة بها الا ويعترف بها في اليوم التالي؟ ومن يرتكبها بعمد يختفي من أمامنا ومن لا يقصدها بتعمد يسجن فقط؟! لما داهليا يغمرها كل هذا السلام وراحة النفس بالرغم كل هذا الرعب وكل هذه الألغاز بلا تفسير؟! لماذا يتمسكون بها حتى الآن؟! لماذا يوجد بها أفضل تعليم وأكثر قوة وتقدما؟ لماذا؟

كيف أنت تقف أمامي هكذا؟

من أنت؟

وماذا تفعل هنا؟

وما سر قوتك هذه؟!

وكيف تقف في السماء هكذا!

ما قصة هذه البلدة؟

ولماذا أنا أريد الحديث معك؟

لما أشعر أن هناك ألفة بيني وبينك؟!

لماذا؟

وهنا انغمر أمجد في البكاء وأخذا يتشنج ويتكلم بصوت مسموع:

- كنت أريد أخي حيا.. كنت أريده بجانبى.. إنه روحي.. لم أطلب أكثر من هذا..

لقد تركتنا والدتنا وحرمتنا أيضا من والدنا، لقد تركتنا لتسعد وحرمتنا من السعادة حرمتنا من والدنا لكي تطمئن وتسعد هى. أحببنا بعضنا وكنا لبعضنا كتف لكتف، كنا كل شئ لبعضنا كل واحد فينا كان للآخر الأب، والأم، والأخ، والصديق. حققنا المستحيل أقسمنا أن نستحوذ على المراكز الأولى دائما، إننا كنا وحيدين فوجب علينا أن نقوي أنفسنا ونحقق شئ مفيد.

خرج صاحب الصوت عن صمته موضحا:

- أعرف كل هذا ولكني أردت أن أسمع منك وأظن انك ستكون أول شخص أحكي له قصتي، أنا أيضا لا أعرف لما يغمرني شعور غريب بالألفة بيننا بالإطمئنان معك؟ كأني أعرفك من زمن! إنها أول مره تحدث لي، سأقص عليك حكايتي....

*****

دخل عمر على عهد وقد كانت صامتة فبدأ يحدثها بهدوء:

- انتي ليه مش عايزة تعيشي حياتك؟ ربنا وهبلك شخص يحبك ويختارك يبقى ليه ترفضي؟ حازم كان بيجي كل يوم المستشفى حتى بعد ما فوقتي ومكنتيش عايزة تقابلي حد كان مستمر إنه يجي كان بيطمئن عليك كل يوم وما زال لحد الآن حتى بعد ما قولتيلي أرجعله شبكته رفضها ولسه قاعدة معايا لسه عنده أمل إنك توافقي مش همه انك مش قادرة تمشي شخص عايزك انتي يبقى ليه ترفضي؟

- لإنه سرقاه السكينة دايب في الحب وأول مها هيفوق ويحس بحجم المسؤولية أيوة أنا اتعلمت إني أعتمد على نفسي بس منكرش فيه حاجات محتاجه حد يساعدني فأول ما يفوق هيقول آه ويندم على اختياره و وقتها هيخرج منه صوره ميتمناش حد يشوفها.

قال عمر بحزم شديد:

- وقتها مش هسيبه لإنه هو اللي اختار.

أكملت عهد موضحه:

- وليه؟ أنا مش عايزة ده يحصل ونخلص من الموضوع من الأول.

- وممكن يطلع مش كده؟ جربي مش هتخسري حاجه...

- أجرب ايه! هي لعبه ده جواز يعني هخسر كتير.

ضحك عمر كثيرا فأكمل:

- فكري كويس في اختيارك وكمان بيقولك إنه هيحطك جوه عينيه، انتي قبلتي بيه وهو وحيد ومن غير عيلة، اشترتيه في وقت الكل باعه ومش قصده واحده بواحده بس هو قبلك انتي.

تنهدت عهد قائلة:

- هفكر أكتر.

*****

مرت علي أشهر عديدة في خلالها كنت أتابع العلاج لم أقف يوما لكنها كانت بلا نتيجة لكني استمريت، بدأت أتعلم عمل كل شئ حتى لا أعطي فرصة لإعاقتي أن تعوقني، أما كل ما يلزم لتجهيز شقتي كنت أتمنى أن أجلبه بنفسي وأخي لم يمنعني من تحقيق هذا حقق رغبتي واشتريت كل شئ بنفسي حتى في يوم الفرح لم يجعل شيئا ناقصا زينة وفرح وبهجة، كان يحاوطني كلما أبحث عنه أجده أمامي لم يجعلني أشعر بوجود نقص ما، ومرت شهور على زواجي تعرفت على جيراني وأصبحوا يزوروني وعملت في مجال الترجمة من المنزل وهذا ساعدني كثيرا لكي أشغل وقتي، كنت أخرج بين الحين والآخر كنت أعلم مدى ثقل العمل على حازم وبعض أعمال البيت فبالرغم كنت أشعر بالضيق لم أطلب منه أن يخرجني أنا أعلم حاله جيدا، لذلك كنت خائفة أن أكون سبب شقائه أو حمل زائد عليه فكنت أحاول أن أتعلم كل شئ وأعمل بنفسي كل شئ.

غرقت في الكتب لم أجد عالم أروع منه فعالمنا به ما به كنت أسافر بها أرى دروبا ومدن وبلاد تعجبت من هذا الطائر ونمت برعب بسبب قرائتي لرواية رعب

أنا لا أقرأ هذا النوع كثيرا لأنني عندما أقرأ رواية أعايشها أمثل الشخصيات كأنها أنا أسعد وأحزن، أضحك وأبكي، وأحيانا أكون هادئة وأحيانا أتعصب من هذا الموقف، الكتب كون آخر قارات تكونت وبلاد تشكلت ومدن نشأت وقرى ظهرت ودروبا تراصت وشخصيات تحيا وكل هذا يعيش بسبب شريان الحياه وهو الحبر. أتذكر جيدا عندما أهداني حازم كتب كانت الفرحة تنطق على وجهه عندما كنت أفتح الهدية وأجد الكتب أمامي ما أجمل أن تهديك الحياه شخصا يهديك كتاب! أناس كثيره يتمنون هذا الشخص...

*****

" حين يطلب منا السماح من قبل شخص أذى نقف مشدوهين ولا نعرف كيف نتصرف؟

أحيانا السماح يكون جريمة في حد ذاته من فرط أذية صاحبها.. "

(16)

قصة

أتى عمر منزل أخته محملا بالعنب الذي يعرف جيدا أن عهد تحبه للغاية وكانت سعيدة بهذا، وحدثته:

- كتبت قصيدة جديدة تحب تسمع؟

- طبعا، قولي.

- اسمع يا سيدي:

"قلم وورقة"

كجوف بركان ثرت
مع شروق شمس موهج

وبصوت عصافير مزقزقة
جذبتني وردتي، مزهرة

وشممت عبيرها، فهنيئا لنا
بعدما قطعنا شوطا غير ممهد..

وجدتها فرعا ملقى
ضممتها لصدري، لا تجزعي

أحضرت وعاءً بأتربه
أغرقته ماء، ووهبته

مأوى، فيا سعدنا
والفرع أصبح شتلة

واليوم أول مولودنا
جلبت البيت بأكمله

ليروا عرسنا، دليل كفاحنا
والوعاء أصبح سبع أوعية

مدلدلة فروعها، مخضرة مشرقة
وهواء بيتي، يحيطني

بالرياحين والنعناع والصبار
والصبار شوكه يزعجني

لولا اخضرار لونه، وسائله اللزج
ما كنت أسامحه..

نضجت في بيت
يملأه دف أمي

ومن سطح بيتي

أودع غروب ساحرا

وفوقي سماء مزخرفة
ونهر من بعيد بموج

وأخذت أملا جعبتي
بكل حكاية وقصة

أردت ان أصافح الشمس
أن أجلس مع القمر

أن أخذ فنجان قهوة
مع نجم، فيا حبذا!

ونجلس معا في حلقة سمر

الشمس تحادثني، نعم
القمر يشكوا إلي، نعم

والنجم يسخر منهما، نعم

وسماء، ونهر، وبحر
ينصتا بترهف منعم

وبفرحة المنتصر، صنعت

قصة أرويها بفخر

فأتيت بورقة وقلم
وروحت أرسم واقعا في ورقتي

وروحت أيضا ألون خيالا في ورقتي
ونسجت لوحة تنطق القلب والعقل

فأصبحت ورقتي تصور
كل لون، وهمس

نعم، أحببت أن أكون شاعرة
أظهر الحب والجمال، وأقدره

فيا قارئي استطعم شعري
فشعري يستطعمه فقط

كل من ذي عقل رشد
وقلب صفي..

استطعم حلاوة شعر فصيحا
استطعم حلاوة لغة طيبة

صاح عمر سائلا:

- هو حازم يعرف انك بتكتبي...

- أيوة، بس يدوب قرأ واحدة بس..

- افضلي وراه لحد ما تجننيه بقا.....

*****

أثناء العمل دب النقاش في مكتب من مكاتب الشركة، صاحت صديقتها قائلة:

- انتي تعرفي أنه متضايق منك لأنك تنهي عملك بكفاءة، وأنتي تعرفيه أنه لا يحب أحد أمهر منه حتى لا يعلو عليه أمام المدير.

نطقت ببطئ:

- نعم أعرف.

- إذا لا تأخذي الأمر على قلبك اتركيه وشأنه..

- لا لن أتركه.. لن أتركه يضايقني بعد الآن، إن كان غيري صامت فأنا لن أصمت وسأذهب إلى المدير لأشتكيه.

وقمت من مكاني ولم أعطيها وقت لترد علي وذهبت إلى مكتب المدير لم أجد السكرتيرة في مكتبها ووجدت باب المدير مفتوح على مصرعيه هنا شعرت بنغز في قلبي لم أكن مرتاحة قلبي مقبوض، تقدمت خطوات نحو الباب واذا بي أرى دماء سائلة حمراء يا لحماقتي فالدماء حمراء ثم جثة.. إنه المدير تصلبت في مكاني من الصدمة، كان هناك جثة ممتدة على الأرض وحديدتين مغروزان في بطن القتيل جاحظ العينين ملامح وجهه تنم عن مدى الرعب والألم الذي لاقه، قفز قلبي من مكانه واضطربت ووقف الدم في عروقي، وهرعت اتجاه الباب كانت أقدامي تتحرك

بصعوبة كأنها ربطت بالأرض بالغراء قاومت هذا الشعور واستمريت أغادر المكتب، أغادر الدور الثاني بل الشركة كلها.

إنهم لفقوها لي لابد أن أبعد من هنا، لا أعلم لما أدركت ذلك لكني كنت أهرب بعيدا وأرى كل ممن حولي يعرفون أني القاتلة وثانية ويقبضوا علي، كنت أتلفت حولي وأنظر هنا وهناك كنت متوتره للغاية من المؤكد أنني كنت أثير الشكوك أنني مجنونة. سمعت وقع أقدام خلفي أدركت أنهم هم يلاحقونني سرعت أدق على بيت ما كان على يمين الشارع، وفتحت لي امرأة كأنها تعلم ما بي وما حل معي وأشرت لي بالدخول، لماذا دخلت وأنا أعلم أنها تعرف ما جرى لي؟ ألم أخف أن تكون شريكة معهم! ما الذي يجري هنا؟ أين أنا؟ وماذا يحدث معي؟

أخذت أدق على الباب كأني خرجت لا أعلم لما الأحداث تمر بهذه السرعة؟ وجدتها تفتح إلي تخبرني أن أهرب إنهم يعلمون أنني أختبئ هنا، وأخذت أهرب بعيدا واختبئت خلف حائط عندما انحنيت يسارا وشعرت بقدوم أحد ما كأنهم هما لكن وجدتها هي، إنها أيضا تهرب خائفة أنهم علموا أنها من خبئتني ويريدون قتلها، استمرت في الجري وأنا خلفها، انحنت يسارا وأنا معها ووقفنا في مكاننا وما زالت هي بالأمام وأنا خلفها عندما رأيناهم، كانوا هناك اثنان بملابس سوداء وابتساماتهم العريضة يخبروني أنهم لن يتركونني مهما ذهبت، سيطالونني ولا يوجد مفر من القتل، ورفعت أسلحتهم وأطلقت الرصاصات مخترقة جسد المرأة التي كانت تصلبت من الرعب والخوف من الموت، سقطت قتيلة وما زالوا واقفين أمامي يخبروني أنهم سيقتلوا من يساعدني، كنت أرغب بالبكاء أين أذهب؟ وأين سأختبى؟ إنني محاصرة وليس هناك مجال الهرب من القتل.

*****

رن هاتف عهد والذي كان سبب الفرحة الغامرة التي عمت وجهها وصاحت تسأل:

- سمر! كنتي فين؟ وليه مش بتردي على اتصالاتي؟ انتي بخير؟

جاء صوت سمر من بعيد مرتبكا:

- ممكن تسمحيلي إني أتكلم وهرد على كل أسئلتك؟

- انتي عارفه أنا كنت قلقانه عليكي ازاي؟

- غصب عني وهقولك على كل حاجه حصلت.

- أنا كنت هتجنن وانتي مختفية المدة ديه كلها حتى اتصالات مبترديش.

- أنا آسفه وهفهمك بس اسكتي وأنا هتكلم.

- اديني اسكت اتفضلي..

- ياسين مات...

- ايه؟

صمتت عهد دقيقة وأكملت مصدومه:

- ربنا يرحمه، وانتي عامله ايه دلوقتي؟

- أنا دلوقتي بخير الحمدلله، بعد الجنازة مشاكل حصلت كتير مع أهله كانوا عايزين يمشوني من أول يوم مكنوش عايزيني حتى أخد عزا حتى وأنا بلم هدومي وحاجتي عشان أروح لأهلي كانوا واقفين فوق رأسي لأحسن أخد حاجه منهم وفضلت المشاكل مستمرة لحد مخلصت الحمدلله وأول ما الأمور استقرت مسكت التليفون ورنيت عليكي.

- الحمدلله إنها خلصت.

- عارفة وهو في المستشفى بيقولي ايه؟ بيقولي سامحيني.. يعني كان مدرك لكل أذى وهو بيعمله معايا كان عارف هو بيعمل ايه ولما لقى نفسه خلاص بيموت قال أطلب

منها تسامحني، ازاي يطلب مني كده؟ وهو المفروض إني أسامح بعد ما عيشني في جحيم ودفني وأنا حيه، ازاي؟ أنا مش قادره إني أسامحه.

- أقولك ايه وأنا مش عارفه؟

- أنا فضلت أبكي الأيام اللي فاتت على حياتي معاه وكد ايه أنا اتعذبت فضلت أتحسر على حياتي ودراستي اللي ضاعت.

- فترة وعدت المهم قدامك فرصة تعيشي وتسعدي نفسك كويس.

- أنا قدمت لكذا مدرسة ومستنية الرد، الفترة اللي فاتت قعدت مع نفسي وفكرت أعمل ايه في مستقبلي.

- شاطره اتعلمي من ماضيك وخلي مستقبلك أحسن.

- بس انتي وحشتيني جدا.

- وانتي كمان أنا كنت هتجنن خالص وأنا وسهام شغالين بنفكر ايه اللي حصل معاها؟

- أنا آسفه بس كان غصب عني.

- المهم انك بخير.

استمروا قرابة ساعه يتحدثون في كل شئ، كل واحدة قصت على الآخرى ما حدث معها خلال الفترة الماضية فكانت المكالمة عباره عن حزن هنا وفرح هناك، تأثر وابتسام.

*****

استمر الدق على الباب بنغمه كانت تعرفها عهد جيدا فأسرعت تترك ما بيدها وتفتح فصاح أخاها عمر قائلا لها:

- أنا محبوب جدا، سمك.. هأكل سمك انهارده..

- وانت عارف سمك أختك.

- لا يعلى عليه.. فين المطبخ؟

دخل عمر المطبخ وقام بقليه بدلا منها وهي قامت بشئ آخر وتسامروا كثيرا فقال:

- قوليلي بيضايقك ولا حاجه.

- لا ابدا بالعكس بيحاول يرضيني دايما، ثم انتي بتسالني دايما السؤال ده مش بتتعب؟

- لا مش بتعب ولا هتعب أنا أخوكي وعايز راحتك وخايف إنه بيزعلك ومترضيش تقولي.

- أوعدك إني هقولك متقلقش.

- ليا فترة مسمعتش قصايد متقوليلي واحدة.

- هقولك حاجه جديدة، قصة صغيرة.

أنصت لها بتركيز وبدأت تقرأ له:

أشجار كثير تمتلئ بالعصافير ورجل بيده كاميره يقوم بتصوير هذه المجموعة الجميلة فتتحدث احدى العصافير وتدعى "نوجا":

- مين الراجل اللي شبه عصاية القش؟

فتجيبها عصفورة آخرى تدعى "تونا":

- دول اللي اسمهم بنادمين جايين يصورونا عشان بنادمين تاني يتفرجوا علينا...

فسألت نوجا وقد ظهر عليها العصبية والضيق:

- ويصورونا ليه هو احنا فرجة؟

- أصل معندهمش جمال كجمالنا بيغيروا مننا يا بيبي، انتي تعرفى انهم فضلوا يحاولوا ويحاولوا عشان يطيروا زينا وركبوا جناحات كمان...

صاحت نوجا بدهشة بالغة:

- يا قشتى!!! وعملوها ولا لا؟

- أيوة قدروا يطيروا، انتي يا بنتي مبتشوفيش طيارات؟

- بشوف وبستغرب عليهم بس عملوها ازاي؟

- فضلوا يحاولوا ويحاولوا لحد متقريبا طاروا..

- ده هما مسبوش حاجه الا وعملوها.

- هما فعلا مسبوش حاجه الا وعملوها بس احنا الأصل، قدروا يطيروا بس مش زينا عمرهم ما هيقدروا يوصولنا ديه ميزتنا اللي بيتمنوها.

- هما بيغيروا مننا كده ليه؟ مش كفاية واخدين نعمة العقل!!

- نعمل ايه يا حبيبتى؟! هما زي القرع بيمد لبره... بس عارفة ممكن عشان عندهم نعمة العقل فده دايما بيخليهم يفكروا ويعملوا اختراعات...

- طب ما يكونوا راضيين بميزتهم ولا عايزين ياخدوا كل حاجه.

- طماعين بقا هنقول ايه؟!

وعندما انتهت عهد من قرائتها ضحك كثيرا وفي نفس الوقت أتى حازم من الخارج قادم إليهم مبتسما يخبرهم:

- ياريت مكنش جاي متأخر والقعدة الحلوه ديه ضاعت عليا؟

*****

استيقظت عهد وبدا على وجهها الابتسام فأمسكت ورقة وقلم وبدأت تكتب:

أحلامي.. لم ألقى وصفا لك..

فمسكت ورقة وقلم وروحت أتلاعب بألف عباره وعباره.. حاولت أن أتراقص بالكلمات.. وأقص من الحكايات..

أحلامي عجيبة.. كأنها سوبر مان..أم باتمان.. أم سلسلة من خوارق غريبة..

أحلامي خارقة للطبيعة.. خارقة للزمان.. تكسر قيوده المخباه..

فعندما أغطس في نوم عميق.. تتسلل أحلامي إلي..

أحيانا أشجار تنطق.. جبال ترقص..

وأحيانا أمواج تترك شاطئها لتتغزل بالرمال الصفراء..

وأحيانا تأتيني دفعة واحدة كأنها تتحد معا علي.. تتجاوز المنطق.. تتجاوز خيوط الزمن..

فماذا بك؟ هل صاحبك عاقل أم مجنون؟

فمن المؤكد أنني مجنون.. مختل..

شخص عجيب أنا..

ولكني أتمنى أن لا تتغيري.. استمري.. فما أروعك أحلام!!!

فمن الجنون أن لا يوجد شخص مجنون..

المجنون اليوم هو الأسعد.. المجنون اليوم يكون نابغة هذا الزمان..

وهذا سؤالا يطرح نفسه:

من منا المجنون؟ من!

*****

حين تسأل ما أصعب شئ في التغيير؟ ماذا ستجاوب؟ تجيب التنفيذ سيكون صعب ومجهد! أم سيكون الموارد المالية! سيكون هناك نقص ربما يعيق! أم سيكون نقص موارد بشرية لتشارك التنفيذ! كل هذا ليس الأصعب إنما أصعب شئ في التغيير هو اقناع الغير بالتغيير، أن تغير فكر انسان تربى عليه فكر قائم منذ دهور فربما تأخذ سنوات وسنوات لكي تأخذه على شفا أول خطوة للتغيير أو لا تستطيع بتاتا وهذا قد قابل عهد وهي تحدث جارتها عندما أتت ووقعت عيونها على كتب تتحدث عن كيفية تربية الأطفال؟ فصاحت تسألها:

- ايه ده؟

- دول كتب بتتكلم عن كيفية تربية الأطفال؟ بقرأهم عشان النونو الجاي..

- وديه محتاجه كتب بتتقري عشان تعرفي تعملي ايه؟! انتي بتربي العيل وتاخدي بالك من أكله وشربه وصحته وتخلي عينك دايما عليه ولو عمل حاجه غلط على دماغه واديه..

- بس ده مينفعش إني أربي الطفل بحكم ديكتاتوري، لازم أقعد معاه وأفهمه بالعقل عشان يقتنع تماما، مها ممكن أزعق وميعملهاش وأول ما أديله ضهري يعملها علطول.

- وقتها يتحمل اللي يحصله.

- وليه أستخدم الأسلوب ده؟ مها ممكن أخليه ميعملش الغلط باقتناع مش بخوف واكراه، إنه يكون قرار الابتعاد عن الخطأ صادر منه شحصيا مش فرط عليه.

- لا أنا مفهمش كده.

- انتي تعرفي كمان فيه كتب عن كيفية التعامل مع الجنين؟ وازاي أبدأ أتصرف أول ما أعرف إني حامل؟

- وده اللي لسه جنين هيفهم حاجه!

- بالتأكيد بيفهم ويحس ويدرك وبيتعلم كمان أنا ممكن أعلم طفلي وهو جنين إنه يحب دينه ويتحلى بالأخلاق ويحب العلم والقراءة وأعلمه كل العادات الحميدة وحاجات كتير أووووي.

- يا سلام!

- أيوة، كمان لازما أراعي مشاعر الطفل امتى أعطيه مساحه لطفولته وامتى أدخل لازما أكون عارفه امتى أترك الطفل يضحك وامتى أتركه يبكي ويدلع ويتحزم، مثلا لما يبكي وأنا أزعق عشان يسكت أو لما يضحك وأنا أزعق عشان يسكت لإني مش مستحمله صوته أو بيكون معايا حاجه مهمه بعملها وأنا منعته لدرجة إنه بقا خايف يعمل أي تصرف أو إني وصلته لحالة إنه مبقاش عارف يعبر عن أي موقف، مثلا يحصل موقف معين مطلوب منه إنه يضحك بس بلقاه ساكت أو بيبكي وقتها أنا هستغرب والناس هتستغرب ويقولوا كمان إنه طفل كئيب أو لما يبكي وأسكته عشان ازعاجه وموقف يحصل والمفروض إنه يكون حزين وقتها ممكن يضحك أو مش يحزن وساعتها برضه أنا هستغرب والناس هتستغرب ويقولوا كمان إنه معندوش احساس وكمان مش متربي، أنا كده قتلت مشاعره خليته متلخبط ومبقاش عارف امتى يضحك؟ وامتي يبكي؟ وامتي يسكت؟ وامتى يتكلم؟ وخصوصا لما يكبر وأطلب منه إنه يستخدم مشاعره معايا أو يشعر بغيره طب ازاي وأنا منعته إنه يستخدمها

ويعرفها. تربية الأطفال صعبة جدا ولازم أكون مركزه ومجهزة نفسي لأي موقف، ولازما أكون ليهم أم وأب وأخت وأخ وصديقه وصديق وبنتهم كمان.

- ايه كل ده؟ أنا معرفش في الكلام ده هو العيل عندي يسمع كلامي ولو معملش كده يبقى يا سواد أيامه، أنا أمه والمطلوب منه طاعتي. عيشنا وشوفنا التربية عملوها كتب.

- بقولك ايه سيبك من الكلام وقوليلي عامله ايه أكل انهارده؟

غيرت عهد الحديث عرفت أنها تتحدث بلا نتيجة فقررت التوقف ومجاراتها سترهق نفسها ولن تقبل حديثها هذه مشكلة كبيره حقا التغيير صعب للغاية، لقد ذكرت جزء ضئيل ضئيل من مشكلة التربية وهناك الكثير لم تخبرها به ولو تطرقنا للتربية سنجد أهمية معرفة هل العروسان المقبلان على الزواج يعرفان مسؤوليات تكوين أسرة ومسؤولية تربية الأطفال؟ هل يشعران بمدى مسؤولية الأمر حتى تتكون أسرة سعيدة وتنشئة أبناء وبنات تنشئة سليمة قادرون على مواجهة الصعاب؟ الأخطر من هذا أن الجيل الحالي والذي يتعلم الآن في الجامعة ويعرف هذه المشكلة ومشاكل آخرى كثيرة تحتاج للتغيير وأيضا ينتقدها ولا يوافق عليها ولكن عندما يأتي التطبيق يصبحون مثل الجيل الماضي نسخة أصلية ليست مقلده يفعلوا مثل ما فعلوا آبائهم معهم أو مع تغيير بسيط هذه تعد كارثة مضحكة، أهم من كنا نراهم جيل المستقبل الذي سيحمل الدنيا على أكتافه نحو التطوير الحميد أم سيأخذها وينسحب بها إلى ما وراء عصور الجاهلية؟ ومع ذلك ينتظرون التغيير ولكن كيف يحدث وهم جالسون في أماكنهم لا يتحركون من أجله؟! لكي نغير لابد أن نتغير، لابد أن نتعلم من أجدادنا وآبائنا ونكمل عليهم ونطور حتى نغير كل ما هو سئ وننشر كل ما هو خير وجميل.

*****

أمسكت هاتفها ورنت على صديقتها "سهام" تطمئن عليها:

- عروستنا أخبارها ايه؟

- عروسة ايه! أنا متجوزة ليا شهرين.

- هما بيقولوا لازما تعدي 3 شهور وبعد كده تطير العروسة.

- بتضحكي أكيد مريتي بده عشان كده بطلعيهم عليا.

- ده أكيد...

- اسكتي المدرسة تعباني جدا، العيال أشقية جدا وصعبين وبيفهموا بالعافية.

- أيوة ما أنا عارفة من غير متقولي، اومال انتي فاكره ايه؟

- انتي كنتي مستحمله ازاي؟

- كنت صبوره جدا معاهم وأروح البيت أتجنن براحتي.

- شغل الترجمة أخباره ايه معاكي؟ شكلي هغير.

- هو كويس بس مش سهل، غير إني لو مكانك هستمر في المدرسة على الأقل أخرج بدل أنا محبوسة في البيت.

- لا اوعي تروحي مدرسة انتي في نعمه.

صمتت عهد برهه فقالت بهدوء:

- نعمه! مشلولة ونعمه!!!

أدركت سهام ما قالته ودعت أنها لم تقوله:

- أنا آسفه مكنتش أقصد أنا بس... معاكي حق أنا هصبر وأستمر.

أغلقت سهام الهاتف وأدركت أنها تتعب في وظيفتها كثيرا لكن غيرها يتمناها اذا عليها الحمد والشكر أنها تمتلك نعما كثيره.

*****

على طريق من طرق داهليا كان نور يقود سيارة بأقصى سرعته لم يكن يعرف طريقه يسير بلا هوادة ملامح الحيرة نقشت بكل وضوح على وجهه كان يتحدث مع والده متوترا:

- ماذا أفعل يا أبي؟ إنني أفقد عقلي لا أستطيع فقدانه يا أبي.

- اهدأ يا نور حتى تستطيع أن تفكر.

- كيف أهدأ؟ إنه وحيد ومنكسر الآن لا أعلم ماذا سيحدث له؟ إنه بدا وكأنه واعي لما يفعله! هل هو يهرب مني؟! هل كان كل هذا خدعة حتى يتركني وينحدر في قاعات الظلام؟

- توقف عن هذا التفكير الآن؟ اعثر عليه وبعدها فكر وافعل ما تريد؟ أين أنت الآن؟

- أبحث في البلدة بأكملها عليه، وإن لم ألقاه سأذهب إلى سابو وأبحث عنه هناك، أخاف أنه يكذب علي وأذهب هناك وهو يكون هنا.

- حسنا يا نور اهدأ حتى تعرف ماذا تفعل معه عندما تجده؟

- يا أبي أجده أولا.. أجده أولا..

وانتهت المكالمة ثم تبعها و...

- ولن أدعه يغيب عن ناظري ابدا....

*****

" ما أحلى أن تجلس متربعا وتستمع بقصة تروى بفخر.. "

(17)

مغناطيس

بدأ يقص صاحب الصوت حكايته:

- كنت عالم فيزياء ا...

قاطعه أمجد معترضا:

- أتقص علي حكايتك قبل أن تخبرني اسمك!

ابتسم صاحب الصوت خجلا وأوضح:

- معك حق.

ضحك أمجد على ذلك.

- حسنا اسمي "عدي".

- وأنا "أمجد".

سأله عدي مستفسرا:

- هل أستطيع أن أكمل الآن؟

- بالطبع استمر...

- أعشقها عشقا كبيرا حيث كان والدي من الصغر يتمنى أن أصبح عالما، أهتم بدراستي كثيرا، كنا أسرة متوسطة الدخل لكن مستورة الحال. أتذكر أننا كنا نستيقظ جميعنا وقت صلاة الفجر ونذهب مع أبي إلى المسجد ونفطر بعدها، وبعدها بساعة أو اثنين أذهب إلى الكُتاب أتعرف كان يضربني بشدة عندما أنسى حرفا واحدا أو لم

أحفظ جيدا لكنني حفظته بأكمله وأنا في عمر التاسعة، كانت فرحة البيت كبيرة جدا أتعلم أن أبي وقتها كان حاله أشبه بمن تزوج.

ضحك عدي ضحكات كثيرة كاد لا يتنفس من كثرة الضحك، ثم أكمل عندما هدأ:

- كنت طفل لا أعرف معنى المسؤولية بعد ولم ألقي لها بالا، يا ليتنا نرجع صغارا، هذا مطلب البشرية جميعها لكن هيهات فالعمر لا يعود مهما تحايلت، كان البحر يحيط داهليا من جم....

قاطعه أمجد مندهشا:

- داهليا!!! هل يعقل الاسم ما زال هو؟ لم يتغير إلى الآن!

- ماذا؟ أتتوقع أني سأسمح بذلك!

- كيف؟

- اصبر وستعرف.

- آسف الفضول غلبني.

- كان يحيطها من جميع الجهات، تتسم بالجمال والرقة، كبرت وأصبحت عالم، سهلت كثير من الأشياء وإذا بأيام ما رصدوا خبرائنا ارتفاع منسوب المياه توقعوا بأنه سيرتفع كثيرا وكثيرا سيصل الأمر أنه سيغرق البلدة بأكملها كان هناك السفن ولكنها لن تكفي أعداد سكان البلدة بأجمعها وإذا قررنا صنع سفن أكثر فحتى الوقت لم يكن لصالحنا كان لابد من إيجاد حلول بأسرع وقت ممكن.

أترى إننا كنا نشاهد ارتفاع منسوب الماء يوما بعد يوم، وعكفت على نفسي في غرفتي أحاول إيجاد حل ما أيام كثيرة كنت أحسبها يوما عن يوم خوفا من وقوع الكارثة أما لو كانت تحسب على العمر لنقل أنها ملايين من الدمار النفسي من الوحدة

والعزلة التامة عن أهلك وبنو جنسك أياما مرت كالدهور علي وأخيرا وجدتها وهرولت سريعا أخبر المختصين.

أخبرتهم أننا نستطيع أن ندفع البلدة إلى الأعلى أي تثبت في السماء ستسأل كيف؟ سأخبرك: يوجد هنا جاذبية الأرض وهي من تسقط الأشياء وإذا انعدمت هذه الجاذبية فلن تسقط الأشياء ابدا، اذا علينا أن نخترع قوة مضادة لها ونأتي لجزء آخر، علينا أن نرفع الجزيرة لأعلى، كيف؟

وهي عن طريق قواطع تشبه أذرع المروحة ولكنها أكبر حجما وأطول وتمتاز القواطع بأنها حاده للغاية، ونقوم ببعض الغواصات وببعض المناورات ونثبت القواطع بها ونقترب من حافة قاع الجزيرة المرتبط بالأرض ومن ثم تدور الغواصة بسرعة شديدة مع المحافظة والثبات والحذر الشديد حتى لا يوجد دمار في نفس الوقت نكون قد صنعنا قوة مغناطيسية كبيرة للغاية ونشبع الجزيرة بها وتصبح باطن أرض الجزيرة مبطنة بقوة مغناطيسية أكبر من الأرض وهكذا نرتفع بوضع ثابت وهكذا أنقذنا نفسنا.

صاح أمجد غير مصدق:

- هذا مستحيل! كيف سيحدث هذا؟ التنفيذ صعب!

- نعم ولكننا استطعنا فعل ذلك.. وبعد عدة أيام شاهدنا فيها المياه تعلو كما توقعنا كانت ستطيح بنا وتهلكنا، الكل تهلل وحفلات أقامت بهذا النصر، الفرحة لحياة آخرى.. لفرصة جديدة.. إننا عيشنا من جديد.

*****

أتى عمر إلى عهد متضايقا فسألته:

- مين مزعلك كده؟

أجابها بضيق:

- خناقة مع الأستاذ.

- وايه الجديد ما احنا اتعودنا خلاص، اضحك وأنا هكملك جزء من باقي القصة.

- قولي...

- لا بلاش الحزن ده اضحك.

بدأت عهد تقص عليه راغبة أن يضحك ويخرج من حزنه:

صاحت العصفورة "نوسا" عندما رأت الرجل يصورهم، وهي معروفة بجمالها البديع وهذا قد أصابها بالغرور:

- انت بتصور! صورني صورني ده أنا جميلة ومفيش حد في جمالي وابقى وانت ماشي خد امضاء مني عشان تتفشخر بيها.

تحدثت العصفورة "سوسه" وهي كانت تعترض على كل أفعالها ومعها الحق، إن التكبر شئ سيئ للغاية:

- هى دايما كده واخدة فى نفسها أووووووي، ما تقوليلها تقعد بدل مها فرسانا كده.

أجابتها العصفورة "ميمي" متضايقة:

- متبقاش نوسا إن مكنتش تغيظ فينا.

- أوقعلها العش ونرتاح.

- وتتطردي بره العش بعدها علطول.

- نبقى نفكرلها في حاجه عشان نخلص منها أنا قربت يجيلي الضغط بسببها.

انتهت واستطاعت أن تضحكه وتخرجه مما به...

- عارفة ايه أكتر حاجه كنت خايف منها لو اتجوزتي؟

- قولي ايه هي؟

- إنه ياخدك مني وأنا مليش غيرك انتي وأمي.

- احنا هنفضل طول عمرنا مع بعض ومحدش هيقدر يفرقنا..

- وايه كمان اللي كنت خايف منه؟

- ايه شغل الفضول ده ما تقول علطول؟!

- إني أتحرم من الحاجات الحلوة اللي بتقوليها ديه.

- لا متخفش اومال مين هصدعه؟!

*****

كانت عهد جالسة تشاهد التلفاز فأتى من خلفها صوت حازم كان نائما من فرط العمل فحياها:

- أخبار شغلك ايه؟

- كويس جدا.

- بقولك ايه أنا عايز أسمع اللي بتكتبيه.

- أول مره تقولي كده بس هسمعك:

استمر تحدث العصافير فكان هناك عصفور صغير يدعى "حمص" يصيح ويصرخ ويبكي كثيرا:

- ماما.. ماما.. ماما...

فهاجت به والدته العصفور "نورا" غضبا لتصمته:

- ايه؟ ايه؟ سمعت من أول مره.. ليه الصوت العالي ده؟

- أنا جعاااااااان يا ماما...

- انت يلا واكل يا بني؟

- بس أنا جعان يا ماما...

- الغدا قرب وهنأكل..

- بس أنا عايز أكل دلوقتي يا ماما...

- اصبر شوية، انت كل وقتك اما أكل أو لعب مفيش نتعلم شوية..

- حاضر يا ماما هتعلم..

- كويس يلا بينا..

- بس بعد ما أكل يا ماما...

- اقعد ساكت بدل أنفيك وأوديك للبني آدم ده..

- على الأقل هيكون عنده أكل يا ماما...

- صح ويحبسك في قفص ويلعب بيك وقت ما هو عايز ويسيبك برضه وقت ما هو عايز..

- لا يا ماما خليني معاكي...

- يبقى تسكت ومسمعش صوتك..

- بس أنا عايز أكل يا مامااااا...

وفي عش المجاور تعصب العصفور "قفوش" وتضايق كثيرا:

- إياك تصورني.. أنا بقولك اهو.. بقولك متصورش.. متصورش.. طب كده اديني سايبها ليكوا مخضرة..

أجابه العصفور "قرطوس" مهدئا له:

- خليك يا قفوش وملكش دعوة بيه..

- لا.. لا أنا ماشي.. أنا زعلان دلوقتي ومش قادر أشوف حد..

- طول بالك يا قفوش ومتبقاش عصبي كده علطول لازم يكون عندك صبر أكتر من كده..

- أنا عصبي! أنا معنديش صبر!!

- طب تعالى نتكلم مع بعض..

- لا أنا ماشي مها أنا عصبي...

ومع انتهاء عهد من القراءة ضحك حازم كثيرا حد البكاء وعلق:

- حمص ده بيجوع بسرعة جدا، وقفوش عصبي ومش ضايق نفسه.

*****

جلست عهد ووالدتها والتي كانت تأتي باستمرار لتسليها فتحدثت عهد متضايقة:

- مش أول مره الخناقات متزعليش يا ماما.

- أنا اتعودت على الخناقات ديه أنا كنت خايفة عليكوا وما زلت خايفة.

- ريحي نفسك يا ست الحبايب شوية احنا كلنا كويسين اهو خلي بالك انتي بس من صحتك، واضحكي كده عشان خاطرنا:

- أنا عشان خاطركوا أعمل أي حاجه...

- ربنا يخليكي ليا ولا يحرمني أبدا منك....

الحب ليس مقتصرا فقط على حب الحبيب والحبيبة هناك حب آخر جميل لا ينقص منه الزمن شئيا حب يأتي خلفه تضحية كاملة بدون ذرة ندم، حب فطري غريزي هو حب الأم لأطفالها تفعل كل ما بوسعها لتسعد أطفالها وترى الابتسامة على وجوههم، تضحي بحياتها إن تطلب الأمر حب غرزه الله سبحانه وتعالى بها، لا تعلم ما طبيعة هذه الغريزة القوية حتى تحب الأم أطفالها لدرجة التضحية بحياتها ونستعجب أكثر عندما نراها في الحيوانات؟!

لو كنت تملك قطة مثلا ستراها وهي تكبر وعندما هي تعرف أنها حامل سترى سلوكها يتغير تبدأ بالخوف عليهم فتبدأ الحرص في حركتها، وعندما تلد تجد اهتمامها ينصب على أطفالها سبحان الله تعلم أن لها أطفال عليها برضاعتهم والاهتمام بنظافتهم وتحميهم وإذا شعرت بالخطر تقاوم وتدافع عنهم بكل قوتها وجسارتها، وتوزع حنانها عليهم وتأخذهم في حضنها حتى في أوقات مرضها، تعلم أن هناك في البيت في هذا الركن أطفال، أطفالها ومهما تلف بالبيت بأكمله تعود لهم لتطمئن عليهم وتعطهم اهتمامها بالكامل، هذه غريزة فطرية يغرزها الله سبحانه وتعالى بها، وترى بأعينك أن غريزة الأمومة أقوى مما تتخيل.

*****

" الحياة قادرة على تغييرك جذريا فكثيرا من الناس يفقد انسانيته وطيبته في دوامة المحن والقهر فعليك المحافظة على نفسك جيدا والصمود وأن تتمسك بأخلاقك والخروج بانسانيتك.. ؟

(18)

شجرة قديمة

وأثناء الاحتفالات وجدت الحاكم يعلن عن الشكر لقاداته وعلمائه ورجاله ولم يذكر اسمي ابدا! تجمد عقلي وتصلبت أوصالي وراح أمام أعيني انعكافي في غرفتي عندما بعدت عن الناس وأخذت أفكر ليالي، ليال كثيرة وأنا أفكر وأيام كثيرة وأنا أعمل معهم لم أنم جيدا إذا ماذا يحدث؟ أين اسمي؟ أين شكري؟ أين حقي؟ ولماذا لا أخذ أموال مثل هؤلاء؟ كيف ينسبوا فكرتي إلى هذا الرجل؟ أين أنا من كل هذا؟!

تقدمت وسط الجمهاير رفعت صوتي عاليا بكل ما في إنني الآن أدافع عن حقي المسلوب عن حياتي: أنتم كاذبون هذه فكرتي أنا من خططت لها، أنا من تعبت كيف تنسبونها لشخص غيري؟ فتقدم نحوي ظابط شرطة قائلا لي بكل صرامة: ما الذي تقوله يا سيد؟ هل تعرف مدى خطورة حديثك هذا؟ اصمت وعد مكانك ولا تعكر صفو الحاضرين بحديثك المخادع هذا وأنا سأعتبر لم تقل شيئا هدية بنصرنا.

صحت بتحدي أكثر:

- لا لن أرجع.. هذا حقي.

صاح ظابط الشرطة في غضب هادر:

- كيف تقول هذا؟! أتشكك في ذمة وحكم قادتنا! هل هذا جزاء انقاذهم لنا؟ لقد تعبوا أياما حتى ينقذونا وبدل أن نشكرهم ونضعهم فوق رؤوسنا نقوم باتهاماتهم واشهار سمعتهم! هل هذا يكون جزائهم؟! ارجع إلى الخلف كما أمرتك وكلمة آخرى وسأقبض عليك.

- لا لن أتزحزح من مكاني إنش واحد، هذا حقي وهم سرقوه.

- لذا أنت من جنيت على نفسك لقد تسامحت معك كثيرا ولكن الآن ستعاقب على أفعالك، على اشهار أشخاص شرفاء، ولمخالفتك أوامري.

دقائق وكنت أُجر في الساحة كما تجر... لا.. لا يوجد حيوان يجر على الأرض كما جررت أخذت أصرخ وأصرخ لم يكن أحد يسمعني الكل مصدق أنني شخص دنئ خبيث شخص كاذب، حقا إن الناس يوم عليك ويوم لك تجدهم في غمضة عين في صفك محبين لك كأنك ستدخل الجنة فورا وفي غمضة عين آخرى يقلبون عليك كأنك ابليس ولا تستحق أن تحيا ودخلت السجن وبداخلي سجن من الآلآم والعذاب وحقي الضائع وانكسار نفسي من الحياة وروح محطمة من قسوة العالم.

*****

ويوم ما دخل عليا الحاكم ومساعده قائلا:

- هل توقعت أن يكون لك مكانا بيننا؟ أن تأخذ شرف هذا العمل! هل جننت؟ لكي أريحك ستحاكم ويحكم عليك بالاعدام أتدري لما أصرنا على أن ألا تظهر لأحد من العلماء والرجال الا على عدد محدود اختارنهم نحن! حتى لا يعرفك أحد ويعرف أنك صاحب الفكرة أنك العالِم الذي أنقذ البشرية كلها وتأخذ الشهرة وتصبح المنقذ وتتنعم في الرخاء لا لن ينعم بهذه الجلالة شخص مثلك، أمثالك لا يستحقون هذه المكانة.

جاوبته بهدوء تام:

- أتكذبون على الناس أم علي أم على أنفسكوا مهما فعلتوا ستبقى هذه حقيقة واضحة لا تستطيعوا محوها من أي سجل تمتلكوه أنتم أنقذتم بسببي، هذه فكرتي، ولن تستطيعوا إخفائها للابد ستظهر حتما.

- لا لن تظهر كن متيقن من ذلك لانك ستختفي للابد، المحاكمة غدا سأحرص أن يأتيك ملاك الموت بأسرع وقت لا تقلق من ذلك هذه مهمتي.

*****

حزن، اكتئاب، غضب، قهره بل حالات كثيرة غمرتني أو خليط ممزوج بكل هذا ماذا أفعل؟ لا أستطيع انقاذ روحي حتى عندما وقفت أمام القاضي كنت مستسلم تماما فاقد الأمل فالحكم منطوق قبل نطقه، معلن قبل اعلانه حكم علي قبل محاكمتي، أهذا ثمني! أن أُعدم! فعلت الخير ورد لي شر! أنا لا أريد الموت، لقد حكم علي القاضي بالموت في هذه الحالة الإستثنائية حيث أني أشهرت بأناس أنقذونا من كارثة محدقة وحتمية وهذا ما أفعله جزاء لهم! أسرع محاكمة مرت في تاريخ البلدة بأسرها، السبب الواضح للعلن أن هذا ما أستحقه لجريمتي حتى أكون عبره لمن يفكر مجرد التفكير أن يرتكب هذا الجرم ولكن السبب المخفي والحقيقي هو أن يخلصوا مني في أسرع وقت ويهدئوا لأن وجودي حيا يمثل خطر داهم عليهم، عقبة في طريق استكمال حياتهم ولابد من ازالتها واراحة أدمغتهم.

لقد كان الناس يهتفون بموتي، يلعنوني، يلعنون أبي لأنه أتي بابن مثلي مجرم سئ أنغص عليهم حياتهم، وجعلها مقبحة دمر لهم يوم مبهج بعد أيام من الخوف نكد عليهم في أسعد أيام حياتهم في وسط حفلاتهم.

وبينما كنت في سجني أنتظر موعد اعدامي أصبح كل شئ راكد من حولي كأن الوقت و..... بل لا يوجد وقت من الأساس، الجو كان حبل يخنق، كنت في حالة من التوهان حالة شبه السكر كنت سكران بلا شرب! برده تستطيع أن تنقلها في أي مكان تشاء لن تجد مقاومة لن تجد انسان يقاوم لن تجد روح انما برده فقط. إذا لا مفر من الموت سأموت وبما أني سأموت سأدمر كل شي أريد أن أخذ حقي، أن أعاقبهم جميعا، وبما أن الموت سيحضر لا محالة فعلينا في فعل الأشياء الممنوعة، طلبت طلب ولقد تكرموا علي ونفذوه أريد شكرهم حقا، لو كانوا يعرفوا أنه سيكون سبب شقائهم فيما بعد لكانوا منعوا عني الهواء حتى.

كنت أريد شخص معروف بسحره ويعرف بكل الأمور بهذه الأشياء ولو كنت طلبت باحضاره صراحة كانوا سيقتلوني فورا ولن ينتظروا اعدامي على الساحة لذا دعوت صديقي أيمن وأخبرته بالآتي:

- أنت تعلم أني سأقتل بعد ساعات من الآن...

قاطعه أيمن قائلا:

- أعلم يا صديقي أعلم.

- وأنت تعلم أني برئ، وسأقتل ظلما.

- نعم.

وبدأ الحزن والدموع تتحضر في عيني صديقه.

- تعرف كم سجنت نفسي في غرفتي لأجد حلا لهذا، لم أجلس مع أهلي وأصدقائي وجيراني أو أتمتع بالهواء، أو أفعل أمور يفعلوها الشباب في نفس عمري والتمرغ في النعم والرفاهية والسعادة الا متناهية.

- لماذا تقول كل هذا وأنا أعرفه كل المعرفة، يا صديقي لا تبرر نفسك أمامي أنا أعرفك كنفسي أنت لا تستطيع أن تؤذي نملة لا أن ترتكب جريمة كهذه، وأعرف أنك صاحب الفكرة والخطة كنت معك خطوة بخطوة أعلم كم ظلموك يا صديقي، أنت برئ مما يقولوه وينسبوه إليك، كن مطمئنا أنا أثق بك كنفسي.

- اتركني أخبرك ما أريد.

صمت أيمن كما طلب مفسحا المجال لكي يخبره صديقه ما يريد ويشعر أنه يخفي شئ سيقوله الآن...

- وأنت تعلم أني تعبت وسهرت الليالي لكي أصل بفكره تنقذ الأمر وكم تعبت في تنفيذها والعمل خطوة بخطوة معهم، أنت كنت بجانبي طوال الوقت وتعلم ذلك.

وهنا بدأت الدموع تنهمر من عدي ويتشنج بالبكاء وصدره يعلوا ويهبط فتحدث أيمن يهدئه:

- اهدأ يا صديقي أعلم أن هذا صعب احتماله لكن تماسك.

- إنهم سيقتلونني وأنا لا أريد الموت.. لا أريد الموت.. ولكن الموت محتم وبما أني لا أستطيع الفرار من أيديهم سأعاقبهم سأدمرهم سأجعل من حياتهم جحيم سيتمنون أنهم لم يقتلونني.. وأنت تعلم أني برئ لذا عليك أن تنفذ ما أطلبه منك يا صديقي إنها آخر أمنية أريد تحقيقها وأنت الوحيد من يستطيع فعلها لي.

أجابه أيمن بسرعة:

- بالطبع سأفعل لك أي شئ تريده أؤمر وستجده محققا.

- أريدك أن تذهب إلي مسعود.

وبسرعة وقبل أن يكمل عدي حديثه صرخ صديقه فزعا:

- الساحر المعروف!!!

- أحفض من صوتك سيسمعوننا.

- ماذا تقول؟! ولماذا؟!

- سمعتني جيدا لن أكرر حديثي، انصت إلي...

سأموت لا محالة ولابد من عقابهم ولن أرتاح حتى أخذ حقي ولكي أستطيع فعل ذلك فلابد على هذا المسعود مساعدتي فأنت ستذهب إليه وتخبره بأنني أريد روحي تعلق هنا بجانب أني أريد أن أكتسب قوة غير طبيعية لكي أفعل ما أريده، أما بالنسبة للمبلغ الذي سيأخذه فاذهب إلى والدي وأخبره أنني أريد شراء شئ أمنية أريد تحقيقها قبل قتلي طلب أخير...

ساد الصمت للحظات وعاد عدي مكملا حديثه:

- أستفعل هذا من أجلي يا صديقي.

- عدي أتعلم خطورة ما تفعله!

- نعم أدركه جيدا لا تقلق من هذا الأمر.

- عدي أعد تفكيرك إن ما تفعله ليس شئ أخلاقي ستفقد انسانيتك...

- أفقد ماذا؟! وماذا يحدث إن فقدهم؟! أتعلم ماذا سيحدث؟ سأعيش مطمئنا سأحكم سأكون مُهدِد ليس مُهدَد وأعاقبهم على فعلتهم لن أتركهم ينعموا ويهنوا لحظة أو يناموا أو يرمش لهم جفن سأريهم الرعب وأدخل الخوف في قلوبهم سيتمكن الفزع في أرواحهم. ثم قل لي ماذا جنيت بتمسكي بأخلاقي؟! وماذا فزت وأنا بانسانيتي؟! أتعلم ماذا أخذت بالمقابل؟!

لم يجاوبه أيمن وصمت...

- سأخبرك: لقج مسحوا بكرامتي الأرض، سلبت إرادتي، لعنت ونبذت وداسوا علي بأقدامهم، لم يرحمونني بل سيسلبوا روحي أيضا.

لماذا صمت؟ أجبني؟ ستفعلها أم لا؟

- سأفعلها يا صديقي سأفعلها من أجلك، سأفعلها ولكني لست موافق على هذا ولكني لا أعرف كيف أقنعك أو أنقذك؟

*****

- لماذا تأخرت كل هذا؟

- بل تم انجاز الأمر بسرعة كبيرة في وقت قليل وهذه تسمعى معجزة.

- توقعت أنك لن تأتي.

- ماذا كنت تتوقع؟! أكنت تريد أن أحضر في ساعة مثلا! كان لابد من فعل أشياء كثيرة لكن مسعود استطاع أن ينجز بأسرع وقت حقا إنه داهية!

- شكرا يا صديقي لا أعرف كيف أشكرك!

- لا تقل هذا، هذا لا يستحق الشكر إنني ألقيك بيدي إلى التهلكة، إذا لا تشكرني أنا لا أستحق الشكر.

- ما زلت غير موافق حسنا... هل أبي أخبرك شيئا؟

- لا، لأنني لما أذهب إليه أنا الذي دفعت المبلغ حتى لا أشغل همه لا أعرف شعور ما غمرني أن لا أذهب إليه.

- ما أخبار أبي وأمي وأخواتي؟

- حالتهم جيدة لا تفكر الا بنفسك الآن.

- أنت تكذب يا صديقي، هل حدث لهم شئ سئ؟ هل تعرضوا لهم بشئ؟

- لا لا صدقني لم يحدث لهم شئ، الكل بخير ولكنهم مدمرين من أجلك يتمنوا رؤياك أن تكون معهم بخير وصحة هذا كل شئ ولا أريدك أن تتعب نفسك أكثر من ذلك يكفي ما بك.

تنهد عدي بالارتياح حيث أكمل أيمن:

- لكني لا أعلم كيف أكون صديقك وأوافقك على فعلتك هذه؟! كان لزاما علي أن أعدلك عن الأمر هذا الجنان ولكن ما حدث قد حدث.

- لا تضغط على نفسك يا صديقي ولا تحمل روحك شيئا أنا المسئول عن قراري وأنت ليس بيدك شيئا تفعله غير هذا.

- لكن...

لكن عدي قطعه قائلا:

- ليس هناك وقت للمجادلات يا صديقي علينا أن نسرع فالوقت يداهمنا.

ما هذا؟

- إنه شئ سيلبي رغبتك.

- أهذه فروالة!

- نعم عليك أن تأكل هذا الطبق بأكمله ولا تشرب ولا تأكل أي شي بعده.

- ماذا سيحدث بعدها؟

- سيتحقق لك طلبك كما أرد وستصادقهم ويحققوا لك ما تريد.

- كيف عبرت بها من الحرس؟

- أخبرتهم أنها أمنيتك أن تأكلها وعبروني بها باستهزاء.

تساقط الدموع من عينيه كان يتحسر بشدة وقلبه يعصر آلما فطبطب عليه صديقه قائلا:

- كن قويا ولا تجزع.

*****

جلسوا عهد وعمر على طاولة الطعام وبيدها دفتر وتتهيأ للحديث مبتسمة:

- عمر.. عمر.. عمر.. انت مبتردش ليه؟

- هو انتي عطياني فرصه إني أرد؟

- عايزة أقولك باقي القصة..

- هسمعك وأنا بأكل..

بدأت تقرأ وهي تضحك على ردة فعله:

في عش آخر صاح العصفور "نوام" متضايق مما يحدث حوله:

- عايز أنام.. عايز أنام.. حرام عليكوا بطلوا صوصة.. عايز أنام.. اخلصوا...

حدثه العصفور "صحيان" حيث ملامحه توحي بالحكمه وسنين الخبره:

- يا صديقي قوم احنا في وقت مبروووك والرزق كتير متبقاش نوام كده..

- أنا مش هشتغل دلوقتي شوية وهقوم بس عايز أنام دلوقتي...

- قولتلك ده وقت مبروووك..

- أنا هقوم هشتغل بس أنام شويه...

- بتتكبر على الشغل يا نوام وده أكبر غلطه هتفهمها بعدين..

- أيوة هفهم بس بعد أنام...

- هتفضل كده عايز تنام علطول لحد ما يقرصك الجوع..

وفي عش بعيد عنهم صاح العصفور "كبير" باندهاش شديد:

- انت كنت فين امبارح؟! دورت عليك في كل مكان وملقتكش..

أجابه العصفور "دقدق" بكلمات هادئة:

- كنت بشوف الزعيم عشان أمشي من العش ده وأورح العش اللي في الشجرة التانية...

- ليه بس كده؟! ده هنا فيه حبايبك وقراييك وصحابك..

- مهو ده السبب اللي همشى عشانه...

- انت بتقول ايه؟

- مهو ده اللي مزعلني...

- يبقى ايه اللي هيمشيك؟

- عايز أصحى من نومي على مكان جديد أغير وأستمتع بأماكن جديدة...

ضحك عمر كثيرا لدرجة أنه كاد أن يختنق من الطعام والضحك..

*****

" الأمان انقشع والثقة تلاشت وما بقا بيننا الا خيالات مهترئة.. "

(19)

سقوط

بعد سويعات بسيطة كانت قطعة من القماش تغطى وجهي في وسط ابتسامات الناس وصياحهم يهتفون بموتي إنهم يشمتون بحالي يتمتعون بتعذيبي ويتلذذون بموتي.

- أصبحت أرى أناس أحياء أموات.. موتى العقل والقلب.. موتى الحب والإحساس.. فأين أنتم يا بشر؟

وبدأ يلف الحبل على رقبتي ويضيق ويضيق وشعور بالاختناق يغمرني وبينما بما أنا فيه يأتيني صوت ينادي:

- هيا اقتلوه.

والحبل يضيق والاختناق يزيد ورأس يدوخ وقلب مُداس حتى بدأت بالانهيار ولم أعلم ماذا حدث؟ لا أدري لما شخص معلق على المنصة.

- يا الهي إنه مشنوق....

توقفت لحظة مرعوبا من هول الأمر، لما هو معلق في الهواء هكذا؟! هذا الشخص ملابسه تشبه ملابسي وأيضا طوله وحجمه! يا إلهي إنه أنا!!! إنني قُتلت!

- هل الأمر نجح؟ لا أعلم، أنهم يهتفون فرحين بموتي ووالدي وصديقي يتعذبون يبكون أمامهم، سحقا لكم أجمعين ستدفعون ثمن أخطائكم ولنرى أين ستفرون؟

وجدت نفسي معلقا يطيح بي الهواء أينما اتجاه وأنزل إلى الأرض وأؤخذ للمقبرة كيف عرفت بما يدور بعقلهم؟ لا أعلم.. ركزت مع ما يجري حيث لم يسمح لأحد أن

يأتي خلفهم حتى والدي قد تم منعهم وعند اصرارهم بالذهاب حاصروهم بل لم أذهب لمقبرة العائلة بل مكانا بعيدا قد تم حفر حفرة به وألقيت بداخله وألقوا علي التراب وعادوا مسرعين وضحكاتهم تهز الأرجاء.

*****

أخذت أتنقل بين الدروب درب وراء درب وتنقلت بين منازل الحاكم ومساعديه اذا الحاكم يستيقظ على جدران بيته تهتز كأنها تعلن عن سقوطها وهرول مع عائلته للخروج من المنزل ويتصلب خوفا في مكانه بمجرد سماعه صوتي وأنا أخبره بصوت يخلع القلب الساكن:

- لا تحاول انك مسجون هنا مع عائلتك ولن يخرج أحد أو يدخل إلا بموافقتي.

صاح الحاكم مذعورا:

- من؟ من هنا؟ من أنت؟

- الا تعرفني! لم يمر الا سويعات ونسيتني!

- وكيف أعرفك؟ صدقني لا أعرفك، هل تعرفني؟

- قتلتموني ظلما، والآن حان وقت عقابكم سأجعل منكم عبرة لأي شخص تسول له نفسه أن يفعل مثل فعلتكم.

- عدي!

- أتذكرت الآن من أنا!

- سامحني... سامحني...

- أسامحك!

- طمعي وجشعي هو السبب لن أفعل فعلتي هذه ثانية صدقني.

- أكنتم تتوقعون أنكم ستفلتون بفعلتكم هذه! أن تنعمون بالحياة بعدما فقدتموني إياه!

- لن أفعلها وإن فعلتها افعل بي ما تشاء.

- لن تبقى لتفعلها.

- أرجوك ارحمني.. ارحمني..

- أرحمك! لا تطلبها أتفهم لم ترحمني أنا، لم ترحم والدي.

- لن أفعلها ثانية، لن أفعلها.

- سأحسركم واحد تلو الآخر.

- "يُسر".. ابني.. أرجوك اتركه لم يفعل لك شئ.

- وأنا لم أفعل لك شيئا وقتلتني.

- أرجوك ليس من أجلي بل من أجل والدته.

- لن أرحمه، لم ترحمني أنت، أنا أيضا ابن لوالد ووالدة تحسروا على ابنهم أتشعر الآن ماذا فعلت بهم؟

- أرجوك إنه يختنق.

- وهذا ما أريده.

- أرجوك...

- لو يستطيع الحديث كان سيخبرك كم هو مؤلم.

- أنت لست مثلنا ارحمه.

- والفضل لك ما أنا عليه الآن نتيجة لما وصلتني إليه، هذا حصاد زرعك تحصده الآن.

- أرجوك.. أررجوك.. أرجووووووك.....

- لماذا تصرخ؟

- سعدددددددددد...

- إن كنت تريد ألا يلحق بالآخر عليك أن تنفذ ما سأمليه عليك الآن.

- سأنفذ كل ما تقوله ولكن اتركه، أنا أخبرتك من البداية سأفعل لك أي شئ تريده.

- نعم لقد أخبرتني أنا لا أكذب أنت أخبرتني لكن كان عليه أن يموت كان لزاما عليك أن تفقد ابن من أبنائك وتشعر بشعور انتزاع قلبك من جسدك، ما شعوره؟ أخبرني؟ ذنبه الوحيد أنك والده، انصت جيدا لي: الغد ستجمع الناس وتخبرهم الحقيقة كاملة تعترف بجريمتك من دون نقص حرف واحد، كل ما فعلته أنت ومساعدينك بي، أفهمت؟

- نعم فهمت سأنفذ كل ما تريد لكن اترك ابني أرجوك..

- سأتركه ولكن إن تلاعبت لن تستطيع أن ترواغ وتهرب لأنني لا يهمني إن عرف الناس الحقيقة أم لا، كل ما يهمني هو أن تعاقب.

- سأفعل كل ما تريد.

- خذه...

*****

بعد انتصاف الشمس في السماء احتشد الناس أمام المنصة مرة ثانية وفوقها جلس الحاكم ومساعديه وملامحه ترسم ما يختلج ويتصارع في قلبه من الرعب والخوف وبدأ الحديث:

- اجتمعت بكم اليوم لأخبركم شئ في غاية الأهمية شئ اقترفناه اتجاه شخص برئ لا يوجد لدي أي مقدمات لخطابي هذا الا حقيقة تكتشف إننا اقترفنا إثم كبير، أنتم تعلمون خطتنا لإنقاذ بلدتنا والمحافظة على حياتنا ونجاحنا في ذلك ومن ثم ظهر شخص أثناء الاحتفال وبالمناسبة اسمه عدي عالم فيزيائي وكذب حديثنا ونسب هذا النجاح له وقد تم اعدامه البارحة بسبب فعلته هذه، جئت أخبركم أنه كان يقول الحقيقة هو صاحب الفكرة ونحن: أنا، ومساعدي، ورجالي نسبناها لنا حتى ننعم بنجاحها والاستمتاع بقمتنا وقمنا باعدامه حتى نتخلص منه ونستريح، أخبركم الآن حتى أعمل ما علي وتعرفون الحقيقة وافعلوا بنا ما تريدوا.

حينئذ اختفى الحاكم ومساعديه كأنهم تآكلوا تبخروا في الهواء ودب الرعب في قلوب الناس وارتفع الصياح وتعالت الصراخات فورا، في نفس الوقت هبت عاصفة رملية هائجة تطيح بهم يتخبطون ببعضهم وبأي شئ امامهم ويا سعده من يستطيع أن يمسك بشئ صلب مثبت في الأرض جيدا وفي وسط حالة الهرج والمرج هذه جاء صوت عدي يحدثهم كالأسد الهائج:

*****

- أصدقتموني الآن! كنت أتوسل إليكوا أنني برئ هذه خطتي هذا حقي لكنكم كنتم أسوأ منهم استهئزتم بي ضحكتم علي أهانتموننني لعنتموننني لعنتم أبي وأمي، حقا لا تضع ثقتك بأحاديث الناس كلها أقوال مزيفة ضحكات كاذبة ومشاعر ممثلة بئس أناس مثلكم!

أنصتوا إلي جيدا من هذه الدقيقة داهليا ستحكم تحت أوامري لن يستطيع أحد منكم أن يظلم أو يفسد فيها ومن يفعل ذلك سليقي عقابا مثل هذا وأكثر، كما أن الغابة محرمة عليكم جميعا أصبحت ملكي أنا فقط ومن يدخلها لن يخرج منها، ويوم قتلي لن تخرجوا من بيوتكم سترجعون ضعفاء مهددين في أي لحظة سيدب في قلوبكم الرعب، هذه أوامري وبأيديكم الاختيار.

ثم توجه بالحديث إلى أمجد مكملا:

- أتعرف يا أمجد لقد ارتكبوا جريمة وراء جريمة نهب وراء نهب وفساد وراء فساد سنه خلف سنه وأنا أنفذ ما حذرتهم به لم يدركوا قولي جيدا ظنوا أنهم سيفلتون مني حاولوا فعل كل شئ لمقاومتي ظنا منهم أنه سيفلح سيتغلبون علي لكني كنت أطرح بهم أرض كنت أتركهم أحياء حتى أشاهدهم يتحسرون ويتعذبون، وبدأوا أن يتعاملوا مع الوضع ويتأقلموا وقرن وراء قرن وبعد عدة قرون أصبحت داهليا على ما تراها الآن.

تحدث أمجد بكل اندهاش:

- حقا قصة مبهرة! معاناة لكنها مذهلة، ولكن والداك ماذا كانت ردة فعلهم؟

- لم أقابلهم يوما ولا حتى رأيتهم بعد يوم اختفاء الحاكم ومن معه من المتورطين والتحذير للبلدة.

- وصديقك؟

- حتى صديقي.

- لماذا؟

- لأنني كنت أتمنى العيش معهم كنت أريد أن ألعب مع أولادي مع أني لست متزوج لكني تمنيت الزواج وأن يكون لدي أبناء وعيش حياة طبيعية. لم أكن أريد رؤياهم حتى لا ينفطر قلبي أكثر من هذا لم أستطع حتى ولو نظرة خاطفة من بعيد.

*****

دق جرس الباب وأسرعت عهد تفتح بابها وفوجئت بصديقتها سمر امامها فتحدثت الأخيره ضاحكه:

- ايه مش مصدقه ولا أنا؟!

خلصت شغلي وقولت أعدي عليكي، لينا فترة كبيره متكلمناش ومتعرفيش إني اشتغلت فقولت أعدي عليكي.

- بجد! مبروووووك...

- مكنتش مصدقه حياتي تتغير كده، كنت فاكرة إني طلقت يبقى مش هتجوز تاني ولا هشتغل وهروح أقعد عند أهلي ومخرجش منه غير على مقبرتي بس كل حاجه اتغيرت في ثانية والمره ديه مش هسمح إني أختار غلط.

- المهم انك تتعلمي..

- اتعلمت وأخدت دروس عمري ما هنساها، كأني بعيش من تاني.

- تعرفي ايه عن العصافير؟

- وليه بتسألي السؤال ده؟

- جيتي في وقتك ادخلى المطبخ ساعديني.

- عهد هتخليني أطبخ؟!

- ايه يعني تأكلي من غير ما تعملي حاجه...

- فين المطبخ؟

*****

ذات يوم دب الصراخ عاليا بين عهد وحازم حيث اشتدت بينهما خناقة شديدة صوتهما كان مرتفعا للغاية وكان سبب الخلاف هو أن حازم يريد فتح مشروع خاص له ليست هذه المشكلة، المشكلة أنه اكتشف فكرة المشروع منذ أسبوع ويريد أن يبدأ فيه الآن بدون دراسة مسبقة وفهم هذا التخصص، كان مصرا على تنفيذه في وقت أصغر بكثير حتى أن يتنفس وعهد كانت تحاول أن تفهمه ذلك، أحيانا السرعة مطلوبه وتعد تحقيقا للمستحيل وأحيانا تعد تهورا كارثيا كان يستمر بقوله:

- أنا عايز أكبر نفسي واعمل لنفسي كيان..

أجابته عهد بسرعة البرق:

- وأنا مقولتش انك تقف مكانك أنا بقول خد وقت كافي انك تفهم التخصص وتعمل دراسة جيدة للمشروع مش تكتشف الفكره انهارده وتعملها بكره.

- أنا ذكي وسريع شحصيتي كده ولا عايزاني ابقى بطئ زيك واقعد جنبك.

تخطت جملته ولم تركز فيها وأكملت:

- سريع ايه اكتشفت الفكره انهارده وهتنفذها بكره! ديه مش اسمها سرعة ولا ذكاء.

- الكل بيتحرك بسرعة شديدة دلوقتي ولا عشان انتي قاعدة على كرسي متحرك عايزة الكل زيك!

هنا لم تصمت وتخطيها فسألت:

- انت بتقول ايه؟

- بقول أنا لازما أسبق السباق ومش هسمحلك انك تقيديني، كفاية إني بضطر أعمل دورك عشان مش قادرة تعمليه.

- انت ازاي تقولي كده؟

- كمان مش عايزاني أقول لا أنا هقول ونص أنا متجوز واحدة قاعدة على كرسي متحرك، عبئ عليا حمل زياده على أكتافي انتي قيديني ومش عارف أتحرك بسببك، لو من غيرك كنت هبقى حر أنا غلطت في اختياري واتعميت بشماعة الحب.

- لحد هنا وتسكت أنا مش هسمحلك انك تتكلم معايا بالأسلوب ده، أنا مغصبتكش على حاجه انت اللي اخترت بنفسك وأنا اللي كنت رافضه وأنت اللي صممت.

قاطعها عمر قائلا بغضب:

- كنت مغفل...

أسرعت عهد تكمل في قمة الغضب:

- أنا رفضتك وانت اللي جريت ورايا مليون مره عشان أقبل إني أوافق.. كنت عامله حساب اليوم ده وفهمتك وانت اللي أصريت وجاي دلوقتي تتكلم... لا أنا مش هسحملك، ثم أنا عبئ وحمل عليك ازاي؟ أنا بعمل حاجات كتير في البيت وانت بتشارك بجزء وكمان بشتغل من البيت وبالمقابل انت بتشارك بجزء من أعمال البيت أنا بصرف بجزء من مرتبي عليه والمفروض انت الراجل انت اللي تصرف مش أنا، بمعني انت مش بتمن عليا بحاجه ولا فيه حمل زيادة عليك لإن لو أنا مش بشتغل انت هتشتغل شغلانتين عشان تقدر تصرف اذا الحكاية متساوية جدا حتى الخروج مبطلبش منك انك تخرجني عشان عارفة أشغالك كويس مع إني بكون بتخنق بس عمري ما طلبت منك تخرجني، فاعرف اللي عليك واللي ليك كويس جدا قبل ما تتكلم.

ثم دخلت عهد غرفتها بدون اعطاء فرصه أن يرد عليها وبعد فترة من الزمن دق على الباب عدة مرات يحاول أن يعتذر لها مبررا أنه كان عصبيا ولم يدرك نفسه وأنه مضغوط في عمله لكن لم تجبه فصمت، كانت قد أخذت وقت كبير لتفكر وتأخذ قرارها.

*****

بعد مغادرة حازم للمنزل اتصلت بأخاها تطلبه أن يأتي بسرعة كبيره وعندما جاء متلهفا فصاح يسألها:

- ايه اللي حصل يا عهد؟ قلقتيني؟

صمتت ثواني قبل أن تجيب وقد انهمرت في سيل من التشجنات والبكاء المفرط وهي تخبره:

- عايرني إني مشلوله مش قادره أتحرك، قالي إني عبئ عليه وحمل زايد، إنه مش قادر يعيش حياته بسببي، إنه متقيد بيا، إنه مش حر.

لم تستطع السيطرة على بكائها وتشجنها، كانت قوية بما يكفي لتصمت حازم وتوقفه وتعلمه حدوده لكن وها هي بين أحضان أخيها تركت لآلآمها العنان، وسألها عمر بغضب:

- ومقولتليش ليه إنه بيعمل كده ولا ديه أول مره؟

- لا ديه أول مره يقولي كده بس ليه فترة متغير بيحسسني إني عاله عليه وأنا كنت بكبر دماغي وبديه فرص.

- أنا هعلمه ازاي يعمل كده؟

- لا، اسمع كلامي أنا عايزة أطلق.

- تطلقي! انتي فكرتي كويس ده طلاق وانتي حامل.

- عمر هو انت عايزيني أفضل معاه بعد اللي عمله فيا؟

- لا طبعا أنا اللي كنت هقولك اطلقي بس أنا بسأل لإن مكنتش متوقع أصلا انك قوية لدرجة انك تطلبيها بنفسك وانتي عارفة كل المشاكل والمسؤوليات اللي هتقابليها وطبعا أنا هكون في ضهرك بس مستغرب انك قويه للدرجه ديه!

- أنا منكرش إني قلقانه وخايفة بس مينفعش أفضل معاه بعد كده.

- متقلقيش أنا معاكي، وطول أنا معاكي متخافيش من حاجه.

- ركز معايا.

اتجهت عهد إلى الدولاب وفتحت خزنة صغير، كان بها أموالا وجلبت له شنطة صغيرة ووضعتهم بها وأعطتها لأخاها تخبره:

- دول حوالي مائتي ألف جنيه كنا أنا وحازم محوشينهم أنا ليا فيهم ستون ألف جنيه والباقي ليه، الفلوس ديه هناخدها حرصا عشان لو لقيناه مش ماشي مظبوط معانا وهيتعوج أما لو خلصت الحكاية على خير فلوسه هترجعله.

- عندك حق بتفكري صح.

- روح وديهم البيت وهات معاك المأذون وصاحبك وأنا هتصل بصاحبه وتعالوا على هنا بسرعة وخلي بالك من نفسك.

- خلي انتي بالك من نفسك أنا مش هتأخر.

*****

أتى عمر بالمأذون ومعه صديقه وبعد دقائق وصل صديق حازم وحكت عهد لهم ما حدث، طوال هذا الوقت كان حازم خارج المنزل فقاموا بالاتصال به، وبالفعل عهد قد جهزت حقائبها وكل ما يخصها وعندما أتى حازم وجد الأربعة منتظرينه وحقائب معده في ركن من الصاله فتحدث محيا الجميع وسألهم:

- تحبوا تشربوا ايه؟

أجاب عمر بضيق:

- شربنا ومستنينك.

- من الواضح إن عهد قالتلكم على كل حاجه وعشان كده أنا بعتذر ليها قدامكوا كلكوا.

ثم توجه ناظرا لعهد يخبرها:

- أنا آسف مكنتش أقصد اللي قولته كنت عصبي ومضايق، أنا عارف إني قولت كلام يضايقك بس أنا آسف.

تدخل عمر بينهما حتى أصبح حاجزا بينهما وأجابه:

- شوف يا حازم هي كلمة واحدة.. طلقها..

- عمر! هدي النفوس مش كده، كون انت عاقل وسطينا.

- أهدي ايه؟ أنا أهدي في كل حاجه الا ديه، أنا مش عايز أدخل في تفاصيل ولا أفضل أفكرك إن انت اللي حفيت علشان نوافق ولا هقول أي حاجه بس عشان متشوفش مني وش مش هيعجبك وعشان أنا ماسك نفسي عليك بالعافيه فهدي النفوس انت وبلاش كلام كتير وطلق.

- عمر أرجوك...

- انت بتفكر ازاي؟ لا يمكن أسيب أختي معاك، أختي ليها بيت يشيلها جوه عينيه ويحافظ عليها ويقدرها.

توجه حازم بالحديث إلى عهد يخبرها:

- عهد أرجوكي اسمعيني، أنا مليش كلام غير معاكي انتي، رأيك ايه؟

عهد كانت صامته للغاية فخرجت عن صمتها وتحدثت بهدوء:

- قولتلك قبل كده إن ليا أهل وكلامك معاهم، انت مش بتتعلم ليه؟

- أنا آسف مش هعمل كده تاني، صدقيني.

- ما دام قولتها مره وهان عليك تقولها يبقى هتقولها تاني وتالت ورابع...

- لو عملت كده تاني ليكي الحق تعملي فيا اللي انتي عايزاه.

- ليك فترة متغير وبتحسسني إني عاله.

- أنا آسف اعملي فيا اللي عايزاه بس بلاش طلاق.

- طلقني.

- صدقيني قولت من غير ما أقصد، كنت عصبي ومضايق ومكنتش عارف بقول ايه.

- فيه حاجات بتتقال وفيه حاجات عمرها متتقال، طلقني.

صمت حازم دقيقة لقد عرف أن لا نتيجة لذلك فخلع آخر ثوب له وقال:

- خلاص براحتك أنا مش هتحايل عليكي أكتر من كده بس انتي اللي طالبه الطلاق.

هنا تدخل عمر سائلا:

- قصدك ايه؟

- أقصد إنها تتنازل عن كل حقوقها وأنا أطلق، أنا مش هدفع حاجه ليها.

- وابنك اللي في بطنها.

- وأنا مالي بيه أنا مش عايز أعرفه ولا يوريني وشه ومش هصرف على حد.

صدم عمر من حديثه فقال:

- انت بتقول ايه؟ يا بني انت راجل؟! انت مدرك للنقطه ديه؟!

- أنا عيل يا سيدي لو كان عاجبك.

تدخل وائل قائلا:

- ايه يا حازم اللي بتقوله ده؟ أنا ساكت من الصبح ومتكلمتش بس الصراحة انت اللي غلطان، ازاي تقولها كده وتعمل معاه التصرفات ديه؟ وليها الحق إنها تطلب الطلاق بعد اللي حصل بس كمان رايح تعمل كده ده مش تصرفات واحد عاقل ابدا.

جلس حازم على الكرسي براحه وهدوء شديدين وقال:

- ده اللي عندي.

- يا حازم أنا بحاول أعقل كلامك ده مش تصرف، أنا أول أشوفك كده.

- الدنيا بتتغير ولازما نتغير معاها.

- معقول! كأني معرفكش!

- حازم مات واللي قدامك حازم جديد، أخدت ايه من حازم القديم؟ مأخدتش غير ألم وعذاب ،أخدت ايه من الطيبه والحب والأخلاق؟ مأخدتش غير إن الكل داس عليا برجليهم، فضلوا يبيعوا ويشتروا فيا عشان كده أنا لازما أتغير عشان متعبش ويداس عليا وأفضل أتألم وأتعذب، أنا متجننتش أنا كنت مجنون وعقلت.

صمت وائل من هذه الصدمه وتدخلت عهد لتنهي الأمر قائلة بهدوء:

- وأنا موافقة هتنازل عن كل حاجه وانت تطلق قدامهم والمأذون هنا ونخلص.

تم الأمر وتنازلت عهد عن حقوقها وتطلقوا، ودخل حازم غرفته وخرج غاضبا من الجميع يصيح بعهد سائلا:

- فين الفلوس؟

وقف عمر عائق بينه وبين أخته:

- فلوس ايه؟

- هي عارفة كويس بتكلم عن ايه؟ أيوة عشان كده وافقت انها تتنازل عن حقوقها وأنا أقول ليه وافقت بالسهولة ديه؟! لإني عارف شخصيتها كويس جدا مبتستسلمش بسهوله، فين فلوسي؟

أجابت عهد بحزم:

- دول مش فلوسك لوحدك، ليا فيهم جزء والباقي تعويضا عن الحقوق اللي اتنازلت عليه واللي متساووش برضه يعني لسه ليا عندك حقوق، ده غير ابنك اللي لسه هصرف عليه أنا يعني ليا عندك حق كبير جدا وهسيبه لربنا ياخده منك.

- ده انتي بتحلمي لو فكرتي انك هتطلعي من هنا بقرش واحد.

تعصب عمر وقال بحزم:

- هنطلع وورينا هتعمل ايه؟ لحد دلوقتي بنعاملك بصوت العقل بس لو انت عايز غير كده هتلاقي.

هموا الجميع بالخروج وأسرع حازم يدخل المطبخ وخرج حاملا في يده سكين وهجم على عهد لولا واجهوه الرجال وتشابكوا معه حتى غرزت السكينه بقوة في جسد المأذون، سقط الرجل والدماء تسيل منه وجثا عمر على ركبتيه فزعا يحاول أن يفعل له شيئا وبسرعة كبيره اتصل على الاسعاف وتجمع الجيران والناس من الشارع على الصوت وصديق عمر ووائل يحاولان أن يمسكا حازم جيدا وأسرعوا

الناس بمساعدتهم والذي أصبح عنيف للغاية وعهد بمجرد أن غرزت السكينة في جسد المأذون هبت واقفه من كرسيها صارخه ولم يكن هذا وقت مناسب للصدمة أو الدهشة أنها وقفت على رجليها وسقطت بعد دقيقه لم تكن رجليها تحملاها جيدا.

*****

" أتحاشا النظر في عيون الناس حتى لا يروا كم أنني بئر حزين.. "

(20)

فك القفل

بعد ساعات كانوا جميعا في المستشفى، جلس عمر بجانب أخته يطمئنها بعد أن هدئوا مما حدث وبدأ يتحدث إليها حتى لا يدعها تفكر وتضايق قائلا:

- حاولي تتماسكي، أنا عارف إن كل اللي حصل صعب عليكي.

تحدثت عهد وكانت قد هدئت تماما:

- المأذون اخباره ايه دلوقتي؟

- في العناية المركزة.

- ربنا يشفيه، أنا خايفة لأحسن يحصله حاجه هو مش ذنبه أي شئ.

- ربنا معاه، وحقه هيجيله.

- وعمر وصل فين دلوقتي؟

- قبضوا عليه وهو دلوقتي في القسم، ضيع نفسه بايده كان عايش عيشه كويسه، هو اللي اتهور وفقد كل حاجه كان بيمتلكها.

- فعلا.

- مبروووووك انك رجعتي تمشي تاني، الدكتور قال إن الصدمة كانت شديدة عليكي لحظة غرز السكينة لدرجة انك من غير ما تحسي رجعت قدرتك للمشي تاني وإن سقوطك ده طبيعي جدا بسبب إن ليكي سنه ونص مش بتمشي فطبيعي انك متقدريش تمشي علطول بس هتقدري بالتدريج وبالعلاج الطبيعي هتبقي بصحه جيده.

- كان نفسي إني أرجع أمشي تاني في ظروف غير ديه.

- ربنا عايز كده.

في هذه الحياة من لم يحافظ على نفسه جيدا وسط دوامتها سيفقد نفسه وأخلاقه وانسانيته فها هو حازم من لم يستطع مواجهة الحياة بكل ما فيها فتغير إلى شخص سئ كان عليه أن يتغير للأفضل لكنه اختار هذا الدرب بيده وضيع عمره ومستقبله، السرعة مطلوبة لكن بالعقل لأنها لو خرجت عن العقل تصبح تهورا وطيشا يدمر كل شئ مثلما فعل حازم خسر ما بين يديه وخسر مستقبله أيضا وكل من يكمل إلى النهاية ولم يتغير للأسوأ يستحق تصفيق لمثابرته وقوته.

وبعد ساعات رجعوا للمنزل وقد أرهقوا للغاية كانوا محتاجين للنوم أكثر من أي شئ آخر، فركنوا أحزانهم وأفراحهم في ركن بعيد ودعوا للنوم أن يسيطر عليهم.

*****

- لدي سؤال.

- ما هو؟

- لما لا تتوقف الآن؟! لم لا تستريح؟! لقد عاقبتهم جميعا وحققت ما تريد، لقد أخذت حقك، كما أنك بنيت بلدة حلم من الخيال انظر جيدا إلى ثمار ما فعلته فلماذا لا تتوقف؟ ماذا تريد أيضا؟

- أريد الحياة، الا ترى أني قتلت بواستطهم، وسأعاقب كل من يفعل ذلك...

أتريد أن أتوقف؟ أتريديني أن أتركهم لحالهم اذا سيدمرون هذا الجمال، أتتوقع ماذا؟! أن يستمرون في تطويرها يرسموا الحكايات الجميلة والحياة الملونة وثمار الخير وظلال الأمن يفرد ريشه وتصبح رسمة مزخرفة لا ينقصها نقطة. لا إنهم بشر ومن

طبائع البشر أن يدنسوا كل شئ جميل يحرقوا كل روح تتنفس ويحطموا كل أمل يولد ويمحوا كل ذرة خير تصنع، الانسان يوهم نفسه أنه صانع الحياة، لكنه أخطر عدو للحياة... لا لن أتوقف.

- ومتى تستريح؟ لما عليك أن تكون الشخص الحامي لاستمرار داهليا وحمايتها لا أقل أن لا تكون الحامي فكل شخص من واجبه أن يحمي ويفيد لكنك فعلت ما عليك، فعلت كل ما باستطاعتك فعله بل قدمت حياتك فداء لعملك وأتى وقت الراحة وجني ثمار عملك فلماذا لا تستريح؟ الآن لديك الحق في أخذ نفسك، لن يتغير شئ، أنت قتلت ومهما عاقبت مهما فعلت مهما بنيت لن تعود للحياة هذه حقيقة عليك تقبلها.

لما لا تتقبلها؟ أم أنك تراوغ وتماطل حتى لا تواجهها! إذا أنت لا شئ ضعيف تستمتع في دور الضحية سعيد بذلك، انظر لنفسك جيدا ماذا ترى؟ أمدرك ماذا فعلت؟ أنت أصبحت مثلهم أيضا تقتل وتقتل حتى ولو كان بريئا خالف أوامرك ودخل الغابة أو خرج من بيته في اليوم المحظور، أنت أصبحت الشئ الذي تكرهه.

- اصمت، ماذا تقول؟

- أقول لك ما لن تقوله لنفسك ولن تجد أحد يقوله لك.

- اصمت...

- لا لن أصمت، لماذا لا تريح نفسك، خلص نفسك، حررها من القيود التي قيدتها بها، حررها من سجنك، أصبحت السجين والسجان، فارحم نفسك، كفى ما حدث بها.

- إذا لن ترى داهليا أبدا بعد ذلك.

- سحقا لداهليا، لا أريد أن أراها على حياة شخص يتعذب يتحمل فوق طاقته، ألم تتعب! ألم تجلس بمفردك وتتمنى أن تتنفس!

- داهليا...

- أخبرتك لا أريد أن أراها إن كانت على حساب حياة انسان.

- انسان! أنا لم أعد انسان بعد الآن..

- ارحم نفسك..

- اخرج من هنا، اتركني...

- لا لن أخرج، ولن أتركك...

- ماذا تريد مني؟

- أريد أن تأخذ مكافأتك.

ساد الصمت بينهما حتى قاطعه عدي قائلا بهدوء تام:

- حسنا سأفكر...

- ما هذا التغير المفاجئ؟! أعدني بذلك.

- أعدك لكن عليك أن تحسب أنها قرون مرت لذلك قرار مثل هذا لن يؤخذ في بضعة دقائق، ولكن عليك أن تعدني أيضا أن تعيش الحياة أن تخرج من دنيتك الحالكة التي دخلت بها وترى النور، أتعدني.

- نعم، أعدك لقد قررت من فترة أن أحيا كل لحظة فيها، كيف أعرفك أنك اتخذت القرار؟

- ستعرف سأتيك بنفسي وأجلبك هنا، إلي... سلام يا صديقي.. هيا اذهب، والدك قلق عليك ولا تقلقه أكثر من ذلك.

- أشكرك لقد أرحت في شيئا وسأتذكرك دائما.

- بل علي أنا شكرك ستبقى معي دائما.

- سلام يا صديقي.....

*****

- أمجد... أين أنت؟ ولماذا تركتني؟

- أبي الهاتف ليس مناسب للحديث نستطيع أن نتحدث في البيت جيدا..

- أين أنت؟

- أنا في داهليا..

- ما زلت هناك.. حسنا اذهب إلى البيت الذي كنا فيه وسأتي إليك.

- لا يا أبي أذهب إلى بيتنا ونتقابل هناك توفيرا للوقت.. أين أنت؟

- أنا في سابو.

- أنا حقا آسف يا أبي لكني كنت محتاج أن أكون بمفردي..

- حسنا نتحدث في البيت.

بعد ساعات جلس أمجد ووالده في البيت صامتان إلى أن بدأ نور الحديث قائلا:

- أثناء وصولي إلى هنا فكرت جيدا إن كنت حقا قد أصبحت جيدا وهذا ساعدك أما لا؟ لن نتحدث في الأمر كثيرا لكن بعد ذلك لن تفعل أي أمر مفاجئ لأنني لن أصمت وقتها وسيكون هناك عقاب أتفهمني؟

- نعم أفهمك لك الحق في ما تفعله أنا حقا آسف يا أبي..

*****

فتحت أعيني بالكاد لا أعلم أين أنا؟ أو ماذا يحدث؟ كنت أرى لون أبيض وأجساد سوداء كلما أفتح عيني، كنت كلما أفتح أعيني تغلق مرة ثانية وأخذت أفعل ذلك مرات كثيرة حتى استعدت وعي إلى حد ما، وجدت نفسي أستطيع الكلام بصعوبة، كنت متعبا للغاية، تائه لا أعلم ماذا يدور من حولي؟ وأخيرا تحدثت:

- أين أنا؟ وماذا يحدث؟

- أمجد لقد أستيقظت حمدا لله..

بعد سماع هذه الجملة ركزت أكثر كنت ما زلت لا أعرف من صاحب الصوت لكني صدمت لقد عرفته إنه آسر.. وأنا أحاول أن أفهم ماذا يجري؟ استمر في الحديث قائلا:

- أخيرا يا أخي أنت معنا الآن..

ركزت في وجهه إنه باهت كمن تسابق في ألف مضمار وقاتل ألف مقاتل، جسده هزيل كأنه انقطع عن الطعام والشراب، وبالرغم من ذلك كانت روحه تهيج بالفرحة وسعادة غامرة تحتل كيانه، نظرت إليه بعيون متسائلة فوضح قائلا:

- لقد حدثت لك حادثة لقد صدمتك سيارة ودخلت في غيبوبة فترة كانت بالدهر كله والآن أنت معنا...

- لكن... كيف؟

- نحمد الله لقد نجوت بأعجوبة نحمده على كل شئ...

- لكن... أنا...

- ماذا؟ أنت ماذا؟

لا تقلق كثيرا، من الطبيعي أن تكون مشوش قليلا، أرح نفسك ولا تضغط على نفسك كثيرا..

فسأل أمجد نفسه حائرا:

- إذا أين كنت أنا؟

*****

دخلت والدة عهد عليها وكانت في حالة من الهيجان والبكاء الشديد، قد بدأ الأمر للوهلة الأولى أنها فقدت عقلها، فأسرعت نحوها تسألها ما بها؟ لكنها لم تجيب واستمرت في البكاء، فنادت على أخيها وعندما أتى اتقبض قلبه ضيقا وآلما من أجلها واستمروا في سؤالها عن حالها حتى انفجرت في وجهيهما قائلة:

- أنا تعبت.. أنا تعبت يا عمر.. بتقطع مليون حته وبموت من جوايا كل لحظة مبقتش خلاص قادرة مستحملة، أنا واحدة مش واثقه من نفسي، الفرح مبيعرفش طريقي الكل فاكر إن الحزن ميعرفش طريقي مع إنهم ميعرفوش إن الحزن قاعد من جوه وقافل الباب والفرح تايه في ملكوت الله مش لاقيني، أنا مجنونه بركز في كل حرف في كل كلمه في كل لحظة في كل فعل كل موقف، أنا تعبت بخبي واداري على مين؟ أنا ناجحه جدا في ده الكل مصدق إني القوية السعيدة بس محدش عارف ايه اللي جوايا؟ بضحك على مين؟ على الناس ولا عليكوا ولا عليا بس كفاية خلاص أنا جبت آخري ومعدش فيا طاقه أكمل.

في هذا الوقت كان عمر ينصت لهذه المفاجأة بقلب متقطع ودموع تنهمر على جبينه يحاول أن يساعدها واستمرت تخرج ما بها قائله:

- خد الكبيره بقا أنا عندي اكتئاب عارف يعني ايه اكتئاب وخد الأكبر أنا مش بعيش معاكوا أنا بعيش في عالم تاني عالم من خيالي أنا قصص وحكاوي من تأليفي أنا بسيب العالم وأروح أعيش فيه بكون معاكوا بس عقلى في حته تاني، بدعم وأقف

جنب الكل مع إني أكتر واحدة محتاجه الدعم ده أنا نفسي أقابل نفس أووي كانت هدعمني جدا.

ثم انهارت ساقطه على الأرض ونشيجها يزداد وصدرها يعلوا ويهبط، أخذت تبكي بحرقة شديدة حتى خارت قواها وفقدت وعيها فأسرع عمر بها إلى الطبيب.

الآن حان الوقت لأخرج عن صمتي فلم يعد في الطاقه رصيد لأستمر، صمت كثير وأخذت من الصمت عنوان لحياتي نهجا أسير به، الصمت أفضل من الحديث ونظل نعتقد هذا ونؤيده حتى تنتهي البطاريه فنرفع أيدينا معلنين عن استسلامنا، إننا بشر نمتلك قوه كبيره تفعل أي شئ لكن عندما نكون مستعدين، نظهر إننا ضعفاء ضعفاء للغايه لكن نمتلك قوه مهوله قادره على انجاز المستحيل عندما نريد، في رأيي كنت خاطئه في أن أصمت لما لا أحكي لشخص عزيز عليا يشاركني همومي، لكل منا عليه أن يكون معه هذا الشخص ليس عليه أن يكون وحيدا يواجه هذه الدنيا بمفرده، عليه أن يجد شخصا يخرج ما به من حزن أو غضب يظهر ضعفه، شخص يعرف كل كبيره وصغيره، علينا أن نجد شخصا نتكئ عليه في هذه الدنيا، ليس علينا أن نكون وحيدين، أحيانا الصمت يدمر الذات، وأحيانا الصمت يجلب عاصفة خلفه، وأحيانا يكون هو الحل الأفضل، لذا الموقف هو من يحدد الصمت أفضل أم لا وفي حالتي كان الصمت أسوأ قرار.

*****

" لم تكن الحياه سلسة، لكني واصلت..

فلن تكون سهلة، ولن أكون مغلوب.. "

(21)

قطف الثمار

الاكتئاب مرض خطير تستهون به ولا تعلم أنه ينسل ببطئ ليتمكن منك، يحرق روحك جزئيا جزئيا حتى يصل الأمر أنها أصبحت رماد بعثر في الهواء، تأكل سعادتك، تسرق عقلك وقلبك لتجد نفسك في حالة من التوهان تسير بلا هدى تسير بلا مشاعر ليس لك درب محدد بل تسلك هذا لتخرج منه وتسلك آخر وتتخطاه وتسلك هذا وتستمر تأخذ وتسلك وتتخطئ وتسير بلا نهاية مسلوب المشاعر لا تعرف معنى الفرح والحزن معنى أن تضحك معنى أن تبكي هذا مرض خطير كالمحتل يسرق أفكارك مشاعرك يمحي تاريخك ينهب مستقبلك يدمرك فكريا وينهكك جسديا حتى تنخر قواك وتسقط صريعا، مرض لابد من الاحتساب له وصاحبه لا يترك نفسه مستسلما له، سيفقد شهيته للحياه، لا يهنأ بلحظة سعيدة، سينهش في خلايا عقله، ويقتل القلب ضيقا وخنقا، فعليك أن تتعالج منه، أن تنقذ نفسك من تلاتيبه المحكمه، وتتخطئ أشواكه المسممه، وتفلت من حباله المظلمة، أن تخرج من الظلام إلى النور.

الشخصية الحساسة صاحبها لا يعرف معنى الحياه أو الاستمتاع باليوم، روحه متوفيه، جسده يأكل يشرب دون أن يستمتع، يجلد نفسه بلا رحمه، لا يرأف بحاله يقطعها ألف وألف قطعه، لا يكل ولا يمل ويستمر في تعذيب نفسه بلا هواده مهما كان الأمر صغيرا أو كبير، كمثال: إذا قال شخص له صباح الخير ولم يرد التحية لأسباب عده: مثلا كان مشغولا لدرجة لم يكن يستطيع الرد أو لم يسمع ما قاله وعندما تذكر الأمر استمر يسأل نفسه هل قال أم لا؟ ويستمر في جلد نفسه لو كان قال كيف لم يرد عليه؟ من المحتمل أنه تضايق وحرج ويستمر في تأنيب نفسه حتى يفقد وعيه من التعب، وأمثلة كثيرة تقطع الروح وتتعب الجسد وتقتل الحياه.

صاحب هذه الشخصية تمتلك قدرا حازما من طيبة القلب ونقاء الروح وصدق التعامل، ويمتلك قدر حازم من الحساسية يخاف أن يؤذي نملة لا أن يؤذي شخصا، أن يؤذي أحد بكلمة أو فعل ويتعذب لو فعلها بدون قصد ويجد سيولا من جلد الذات ينهمر عليه، أي كلمة تقال له تحوي معنى سئ أو استهزاء أو حتى ولو كانت صغيرة تجرحه وتدمره فعليك التعامل بحرص مع صاحب هذه الشخصية.

لنتخيل سويا ماذا لو اجتمع الاكتئاب مع الشخصية الحساسة في شخصية واحدة؟ أتعلم ماذا ستكون حالة صاحب الشخصية؟ ليكن الله في عونه فهو يخوض حرب لا نعلم عنها شئ ومجرد تخيلها سنصاب بالصدمه.

*****

جلس عمر بمفرده وقد أخبره الطبيب بحالة أخته كانت هذه هي شخصية عهد نقية الروح طيبة القلب صادقة المشاعر لاقت الكثير في حياتها الوالد المبهم والأصدقاء الزائفون والحياة الشاقة، وضحله الطبيب أنها تمتلك شخصية حساسه تنهشها ليلا ونهارا واحتل الاكتئاب كيانها كل هذا وكانت صامدة ثم لاقت الزوج الخائب والآن لم تعد تتحمل وسقطت أمام كل هذا، حاربت الكثير ولم يعد في الطاقة بقية لتستمر، لكن لما لم تخبره؟ تشتكي له دائها؟ تحمل عليه الآلآمها؟ تلقي على أكتافه ما يتعسها؟ ويشد بوزرها ويأخذ بساعدها، يخرجها من ظلامها للنور، لما أخفت عنه ما بها؟ هكذا عمر حدث نفسه بدموع جزعة على تؤأمه خائف أن يفقدها.

أخبره أيضا أنها هربت من كل هذا هربت من عالمها وذهبت لعالم آخر أصبحت تحيا في قصص من خيالها أصبحت جزء منها كانت تعيشها في أي وقت تريد، تدير ظهرها لمن حولها وتأخذ عقلها للسفر هناك وتحيا بأمان، هي حاولت الخروج من هذا وكانت تنجح كثيرا لكنها كانت تعود في كل عاصفة شديدة تضربها ولم تقدر الصمود امامها أو صمدت ولم تستمر طويلا، طمئنه أيضا أنها تطلب العلاج لذا

سيكون الأمر سهل ليس صعب، نعم هو سيكون صعب وسنحارب المستحيل لكن هناك فرق عندما نقابل مريض لا يرغب بالعلاج نجده مهزوما للغاية ولا يبدي أي تصرف لكي يتعالج وبين مريض مهزوما للغاية ولكنه يطلب المساعدة لأنه يوجد مرونه بيننا وبين المريض لن نقابل عائق بيننا وسيكون هناك توافق، ووقت العلاج سيكون أقصر اما المريض الذي لا يطلب العلاج سيأخذ وقت أكثر حتى نستطيع أن ينسجم معنا ونتوافق مع العلاج.

*****

دخل عمر على عهد في صمتها المطبق فبدأ حديثه:

- القمر موجود في العالم ده ولا في حته تاني؟

ضحكت عهد وكانت هادئة تماما وقالت:

- لا لسه في العالم ده مروحتش لمكان تاني.

- كويس عشان كنت هزعل جدا لو مش أخدتيني معاكي المرادي.

- أنا آسفه تعبتك معايا.

- آسفه على ايه؟ أنا أخوكي يعني سندك، أنا اللي آسف إني مكنتش حاسس بيكي للدرجه ديه مكنتش واخد بالي من كل ده.

- متلومش نفسك أنا اللي كنت شاطره في إني أخبي.

- وده اللي مزعلني انتي لو خبيتي على الدنيا كلها متخبيش عليا أنا، أنا هنا معاكي أنا أكتر واحد هيقف جنبك، وما دام انتي تعبانه كده ليه مقولتيش؟ ليه خبيتي علينا؟ كنا هنساعدك.

- مكنتش عايزة أحملكوا هموم فوق همومكم، مكنتش عايزة أضايقكم بمشاكلي، كفايه اللي فيكوا آجي أنا كمان أزود عليكوا وأكون حمل زيادة وانتوا مش ناقصين، المفروض إني أنا اللي أخفف عليكوا وأخد بايديكوا.

- وانتي بشر برضه زيك زينا ليكي أوقات قوه وأوقات ضعف وزي ما بدعمينا احنا كمان ندعمك ولو فضلنا مستنين منك انك تدعمي وتعطي من غير ما احنا نعطي وندعمك في أوقات حزنك يبقى منستهلش حبك زي ما بتشاركينا أفراحك تشاركينا أحزانك.

- أنا بحبكوا فكنت عايزاكوا بعيد عن الحزن وعايزة الفرح يحاوطكم دايما.

- ننسى اللي فات ونبدأ صفحة جديدة، اوعديني انك متخبيش عني حاجه.

- أوعدك...

- هسيبك ترتاحي دلوقتي تصبحي على خير.

كثيرا منا يخبي أحزانه ومشاكله عن من يحبوهم حتى لا يضايقوهم، نحبهم لدرجة أننا نريدهم بعيدين تماما عن أي حزن أو مشاكل أو أي شئ يعكر صفوهم، نريد أن نحاوطهم بغلاف يجعلهم في مكان جميل، إننا حتى لا نرغب أن الهواء لا يعكر حياتهم لذلك نخبي ونبتلع أحزاننا ونخرج لهم بثوب جميل فرح ونفعل كل ما يتطلبه الأمر حتى ننجح في ذلك.

*****

وجدت نفسي مؤخرا أمسك كثيرا الورقه والقلم فقلت أكتب عنهما، أكتب عن القلم، عن الورقة، عن الكتابة فأمسكت بورقة وقلم وبدأت أكتب:

أكتب وأكتب ولماذا لا أكتب؟! ما دمت أتنفس سأكتب.. أخرج ما بي، مشاعري، آلآلآمي، ضحكاتي، وأحزاني، أكتب فرحة هنا وانجاز هناك فتضحك ورقتي وتفتخر بي، وأكتب حزن هنا وفشل هناك فتحزن ورقتي وتواسيني وتأخذ بيدي فلماذا لا أكتب؟! حتى إن كنت لا أجيد الكتابة سأكتب، ظالم من يقول أن لا يملك الموهبة لا يستطيع أن يمتلكها ابدا بلى يستطيع، يستطيع أن يتعلمها، بالحب والجهد أستطيع سأكتب وسيرى قرائي قلة الكلمات ونقص الجماليات حتى بالنهاية يرون بلاغة العبارات ونسج الحكايات، ظالم من يحكم الكتابة على قلة ما ويقول الكتابة ليست للجميع، الكل يستطيع الكتابة ما دام يرغب ويتعلم، القلم والورقة أدوات للكتابة لا بل أشخاص يكتبون معي حيث:

قلم يكتب.. وقلم يرسم..

والحياه تتراقص مرحا..

قلم يضحك.. وقلم يبكي..

والقلب ما زال ينبض شجنا..

قلم يهوى.. وقلم يكره..

والجسد ينضج أشواقا..

وقلم ينثر علما.. وقلم ينثر فكرا..

وما زال العقل مستنيرا.. يطرح مائة سؤال وسؤال.. منتظرا ألف إجابة وإجابة..

قلم يسكب حبره على الورقة فيرسم ويلون ويزخرف ويبني بناء جميل تأسر القلب أسرا..

قلم يغرز في الورقة فتخطوا حروف.. تغدوا كلمات.. تشكل جملا.. وتبني صفحات.. فتصير قصة..

أينشد الحق والخير أم يطيح بالأرض فسادا وجورا..

فقلمي وورقتي شخصان يتنفسان، قلبان ينبضان، يفكران ويدركان.. يفطنان بما يدور في خلدي..

*****

ذهب عمر إلى حازم في السجن كما أراد الأخير تقريبا وبدأ الأخير يسأل حزينا كأنه يبحث عن شخص ما:

- فين عهد؟

أجابه عمر مقتضبا:

- وهو انت متوقع إن عهد هتجيلك؟!

- نفسي أشوفها؟

- بأي صفة؟ انت طلقتها يعني دلوقتي مش تقربلها حاجه ولا أبوها ولا أخوها ولا جوزها يبقى تشوفها بأي حق؟

- ممكن لو قابلتني أعرف أخليها تسامحني.

- انت بتضحك عليها ولا عليا ولا عليك؟

- عهد قلبها طيب، شخصيتها جميلة ونقية، صادقة في تصرفاتها وعشان كده هتسامحني.

- عشان كده دوست عليها وأذتها وكنت هتقتلها.

- أنا عرفت غلطتي.

- متأخر بالنسبه ليها، ضيعت نفسك بتهورك وطيشك وموت راجل ملهوش ذنب غير إنه كان بيأدي عمله وحرمته من أسرته وحرمتهم منه، متخيل قهرتهم وحسرتهم ازاي؟ أنا معرفش ازاي اتحكم عليك 25 سنه سجن بس كان المفروض اعدام.

- أنا عايز أقابلها.

- مش عايزة تشوفك أنا جاي انهارده عشان أقولك الكلمتين دول ابعد عننا أحسنلك.

- وابني؟

- ابنك! مش هو ده ابنك اللي مليش دعوه بيه، ومش هصرف عليه، ولا يوريني وشه! جاي دلوقتي تسألي عليه ليه؟ هيفتخر بيك ازاي دلوقتي؟

- خليها تاخد بالها منه.

- عهد مش محتاجه حد يقولها خلي بالك على ابنك، ربنا يهديك...

عهد شخصية ذات قلب طيب، نقية الروح، صادقة المشاعر وهذا كان ثمنها جرحها بكل عزمه وأراد أن يبريها من كل حقوقها ويرفع يده عن مسؤولية الطفل وبالنهاية أراد قتلها، والآن قلبها طيب وروحها نقية وصادقة ستسامحني، سأعتذر لها، سأفعل لها أي شئ وستسامحني لأنها طيبه، ليس هذا حاله فقط بل هذا حال نصفنا، عندما نجد شخص حازم نقائه وصدقه وطيبته حازمه نستمر في الضغط عليه بشتى الأنواع وهو صامت يتلقى الطعنات بقلب مبتسم لا يظهر لك شيئا لكنه من الداخل قد تصلب من كثرة آلآمه وعندما تنتهي طاقته بل ويتحمل فوق طاقته.

هنا ينتهي كل شئ وسيقطع علاقته بك، سيتركك بكل سهولة، سيتركك حتى لو أحبك، ثم تأتي تسأل ماذا حدث لتقطع علاقتك بي؟ ماذا فعلت لك؟ ماذا جرمت في حقك حتى تفعل بي هذا؟ كأنك لم تعلم! أنت البرئ ويصبح هو في النهاية هو الظالم لا المظلوم، أو تأتي وتطلب السماح والبدء من جديد وتقول أنت طيب، ستسامح وتتوقعون أنه سيعود لكن لم تعلمون أن هذه النوعية من البشر حينما تغادر لا تعود،

عندما تأخذ قرار أن تغادر ستغادر ولن تنظر للخلف مرة ثانية، لن تستطيع أن تكمل حتى لو جلبت لها القمر بين يديك، فعلت به كما شئت وعندما أدركت أنه ابتعد جئت تطلب السماح لأنه طيب وسيسامح، أهذه ورقتك الأخيرة؟ سيسامح! لو كنت تحبه حقا لما كنت أذيته من البداية! أنت شخص لا تحب الا نفسك، كل ما تعرفه هو الاستغلال ولا تعرف معنى الحب.

*****

- لسه على قراك انك تسمي الجميل اللي هيجي باسم "جاسر"؟

- أيوة اسم جميل وقوي..

- كنت فاكر بعد الشهور ديه كلها ممكن تغيري الاسم.

- لا يمكن هو عجبني جدا..

لفت نظر عمر شئ على المكتب فسأل:

- هي ديه قصيده جديدة؟

- أيوة بس لسه بكتب فيها.

- يا سلام رجعنا تاني نكتب أول ما تخلصيها عايز أقرأها، على فكره الدكتور بيقول انك اتحسنتي عن الأول بكتير وفيه تقدم كبير أنا فرحان جدا انك قدرتي تتغلبي على كل ده وتنجحي.

- والفضل ليك بعد ربنا انت وقفت جنبي في كل ده.

- انتي الي قوية.. عهد انتي شخصيتك قوية جدا قدرتي تتغلبي على شخصية والدك وعلى أصدقائك المزيفين والمشاكل عموما وتتغلبي على الاكتئاب وتعيشي الواقع

معانا هنا ومش تهربي لعالم من خيالك انتي محتاجه تكافئي نفسك على ده خلي بالك من نفسك ده الأهم.

صمتت عهد قليلا فقاطع عمر صمتها قائلا:

- اوعي تكوني سرحتي مني في قصة تانية خليكي هنا معايا أحسن.

ضحكت عهد كثيرا حد البكاء وقالت:

- لا معاك اهو هروح فين؟

- بقولك متقوليلي كنت بتألفي قصص ايه وتعيشي فيها؟

- هقولك مثلا زي قصة عن "أخين اسمهم أمجد وآسر عايشين لوحدهم، أمهم سابتهم عشان تعيش حياتها وحرمتهم من أبوهم عشان مش يكرهوها مع إن فعلتها ديه خلتهم يكرهوها فعلا، بتمرض وتقرر إنها تقولهم على الحقيقة ويتلم شملهم، وفجأة يموت آسر في حادثة وأمجد يكتئب ويرجع للمدينه اللي كانوا عايشين فيها في الأول ويبدأ هناك يعرف قصة البلده العجيبة."

وقصة تاني بس ديه صغيرة جدا "إن فتاة بتشتغل في شركة واللي بيرأسها مش عايز حد أحسن منه فبتروح تشتكي للمدير وبتلقاه مقتول وبتهرب عشان حست إنها لفقت ليها وبتستخبى عند امرأة وبيعرفوا مكانها وبيقتلوا المرأة."

وغير قصص تانية كتير بس قصة الأخين تبقى أطول واحدة فيهم عالمهم زي عالمنا بالظبط ومدينتهم داهليا زي مدينتنا بالظبط كأننا عايشين في داهليا..

- ممكن تحوليها لقصة، عهد حولي آلآمك دايما لطريق تمشي عليه نحو الأفضل، اتعلمي من أخطائك وابني برج كبير عليه وافتخري بيه، خدي عبره من الماضي انك متوقفيش في حياتك واستمري.

غاصت عهد في أفكارها وبدأت تحدث نفسها قائلة:

- يا أخي لقد تعلمت شئ هام لقد تعلمت الحب، أحب نفسي مهما فعلت، أفتخر بها مهما أخطأت، أرفع رأسي شامخة مهما سقطت، أتعلم دائما أحب نفسي، لما لا أحبها؟ ماذا فعلت لي حتى أكرهها؟ أكبر عدو للانسان هو نفسه، فأنا بشر أخطئ وأصيب، أنا بشر أخطئ وأتعلم، وإن كان هناك أحد يريد ملاك فليذهب بخياله بعيد عني، فلابد أن أخطأ حتى أتعلم، لا أن أعاقب نفسي وأجلد ذاتي حد الموت، لماذا أفعل ذلك؟ أخطأت نعم اذا أقوم من مكاني وأنظف التراب من على ثوبي وأتعلم درسي وأبني طريقا نحو القمة، سقطت إذا ماذا؟ أندب على حظي وأقف في مكاني! أنظر إلى الماضي وأتحسر! إذا سقطت ستكون بداية القمة.

إذا خسرت كل شئ فسأستمر لأنني خسرت كل شئ ولم يعد لدي ما أخسره سأستمر، سأستمر وأنا لدي كدمة هنا وهناك، كدمة من عزيز، كدمة من قريب، كدمة من صديق، كدمة من عدو، جرح من شوكة في الطريق، جرح من سكين وأنا أطبخ حياتي سأستمر، سأقم بعملي وأنا حزين، سأقم بعملي وأنا مجروح، وأنا خائب سأقم بعملي، وأنا مكسور سأقم عملي، مهما عاقني سأقم بعملي، مهما حصل بي سأقم بعملي، إذا فشلت سأقم بعملي مرة آخرى، لماذا أقف في مكاني وأنا قادر على المضي قدما؟! سأجعل شعاري دائما "قم بعملك" لقد تعلمت أسلوب حياة، تعلمت كيف أحياها؟ وهذا ما علينا أن نعرفه جميعا قبل بدء حياتنا.

*****

مبنى جميل يوحي بثرائه حيث يعبر على من به، الدور الخامس، وبمكتب كبير وإذا شخص ينادي:

- عهد.. عهد.. عهد انتي فين؟

سألت عهد باستغراب:

- أمير! انت هنا من امتى؟ وبتصرخ ليه كده؟

- ليا ساعه بنادي عليكي وانتي ولا هنا، كنتي فين؟

- كنت في مشوار طويل ودلوقتي بحتفل بحصادي.

فهم عن ماذا تتكلم؟ فسألها؟

- والحصاد كان طازج ولا لا؟

- ثمره كان طازج وكله خير.

- وأنا كنت ثمرة خير ولا لا؟

- انت لسه بتسأل؟ كنت القمر اللي زين الثمار.

صمت ونظر إليها بعيون تملأها الحب الصادق، فسألته:

- ايه سبب الزيارة المفاجأة؟

- انتي نسيتي! معقول! أخيرا هقول وهبقى أول واحد كل مره كنتي بتسبقيني، كل سنه واحنا طيبين.. انهارده عيد جوازنا.

نظرت إليه ضاحكة وأخرجت من الدرج شئ مغلف وقالت:

- واحنا بخير وسعاده دايما.. بس مين قالك إني نسيت؟ أنا منستش وهديتك اهي...

وأخذت تضحك كثيرا وامتعض وجهه وقال:

- انتي مش بتنسي ابدا!

- فيه حد ينسى حياته؟

- مستحيل... كان نفسي أقول لحياتي بس حياتي عندها ذاكره قوية...

- اسبقني على العربية وأنا هحط كل حاجه مكانها وأجيلك.

- بس متتأخريش، جاسر وسامر وياسمين انهارده شغالين في محادثات مع بعضيهم فاكرين نفسهم مش شايفهم بس على مين شكلهم مجهزين حاجه مش طبيعية...

- اظهار كده مش هتقدر تسكت غير لما تعرف الأولاد بيفكروا يعملوا ايه؟

- أيوة لازما أعرفها، هروح استناكي في العربية ومتتأخريش.

جهزت نفسها للمغادرة واتجهت إلى الباب لكنها وقفت وعادت بالنظر خلفها إلى مكتبها واللوحة التي تتوسطه وكتب عليها "مدير الإداره" ثم نظرت إلى الحائط الذي كتب عليه "شركة داهليا للسياحة"، كانت تنظر نظرة افطار بعد صيام، راحه بعد عناء، أغلقت الباب واتجهت إلى السياره وأثناء الطريق استمرت تحدث وتسأل نفسها وتجيب:

لما تذكرت الآن حياتي؟ كنت أنظر إلى الخلف كثيرا نظرة مقارنة وأستمر في سؤال نفسي: هل أنتي أفضل الآن؟ هل حققتي ما تريدي؟ هل تشعرين بالرضى الآن؟ أمطمئنة؟ زوج وبنون ومال وسلام نفسي لقد استطعت تغيير حياتي إلى الأفضل، كنت كثيرا على شفا الانهيار أو انهرت لكني قمت وأزلت الغمام من على أعيني، قمت بعملي تعلمت وتقدمت، وصبرت وحصدت، قاومت ونجحت، تعبت وهكذا كوفئت.

أناس كثيره تقول أننا صبرنا وتعبنا ولم نكافئ أو نسعد هذا لأنكم لم تتحركوا من أماكنكم، ليس عليكم الصبر فقط بل أن تتعلموا وتتغيروا للأفضل وتقوموا بعملكم وتغيروا السئ، أن تفعلوا شيئا لتتحركوا للأمام، لم تقاوموا لتصبحوا الأفضل لم تفعلوا شيئا الا الانتظار كنتم تتواكلوا على الله ولم تتوكلوا عليه هنا فرق كبير.

الآن أرى الطريق بكل مشاقه وأشواكه، أراه بحلوه ومره، تعبت ووقعت وتحطمت لكني لم أقف يوما، كنت أقم بعملي دائما هذا شعاري "قم بعملك"، وبجانبه شعاري الآخر يدعمه "استمتع بعملك" أرى صعاب الماضي أصبحت فخر اليوم، أرى أن الحياة تصبح تافهة إن لم يكن لك هدف تحيا من أجله، ولن تعرف روحك

الراحه وأنت تسير بلا هدى، رجعت للخلف ولم أرى شيئا كان يستحق مني أن أقف في مكاني ولا أقم بعملي، لم أرى شيئا كان يستحق أن يوقفني أن أحيا وأستمتع بكل ما هو جميل، إن الانسان أقوى مما يتخيل وحينما يدرك هذه القوى سينجز المستحيل.

ولا تخف من عيوبك لا تخجل منها فهي تميزك قم وافتخر بها لأنك تعلمت منها وتقدمت ومن قبل مميزاتك ولم يقبل عيوبك اتركه فهو لا يستحقك إنه لا يحبك أنت إنه شخص يريد أن يأخذ دائما ولا يريد أن يعطي، وأخطئ وتعلم هون على نفسك من ذنب الخطأ انك انسان تخطئ وتصيب وأخطائك تصنعك الأهم أنك تتعلم، الحياه بسيطة فاجعل كل ما بها بسيط لا تهول الأمور إنها بسيطة، والآن بعد كل هذا أستطيع أن أمدح نفسي بعلو صوتي وأخبرها:

- "أحسنتي فلقد وصلتي"...

..تمت..